

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى
ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م

الجزء السابع عشر

القسم الثاني

شعراء المغرب والأندلس

تحقيق
أ. د. محمد عبد القادر خريسات
د. عصام مصطفى عقلة
د. يوسف أحمد بني ياسين



مركز زايد للتراث والتاريخ

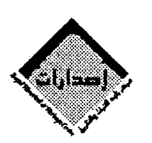



مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

رقم التصنيف	:	ديوي 81116، الشعراء العرب ـ العرب ـ الأندلس ـ المغرب
المؤلف ومن هو في حكمه	:	ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٩م
تحقيق	:	أ د. محمد عبد القادر خريسات - د. عصام مصطفى عقلة - د. يوسف أحمد بني ياسين
عنوان الكتاب	:	الجزء السابع عشر القسم الثاني (شعراء المغرب والأندلس)
الموضوع الرئيس	:	ترجمة لـ ١٣٦ شاعراً من شعراء المغرب والأندلس مع قصائدهم
قيد الكتاب	:	تم قيد الكتاب بوزارة الاقتصاد ـ مكتب المصنفات الفكرية رقم (٢٦٩ ـ ٢٠٠٧م)
الناشر	:	مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ـ ص.ب: ٢٣٨٨٨
ملتزم الطبع	:	دار البارودي ـ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب	:	مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٢٤٦ صفحة
الرقم الدولي	:	ISBN 9948-06-148-9

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م



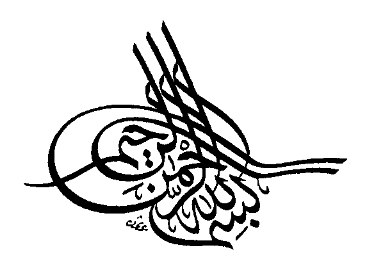
مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7815166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة المركز

يسر مركز زايد للتراث والتاريخ أن يقدم للقراء العرب، وبخاصة المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، واحداً من أضخم الأعمال الموسوعية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها، ألا وهو كتاب «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ ـ ١٣٤٩م).

وقد تبنى المركز نشر هذه الموسوعة بتوجيهات كريمة من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، حيث حرص سموه على الإعتناء بالتراث العربي المخطوط ونشره ليكون في متناول أيدي الباحثين والمختصين لذلك تأتي هذه الموسوعة التاريخية الهامة ضمن خطة المركز الطموحة لنشر التراث العربي الأصيل وتقريبه للقارىء العربي وخدمته.**

وقد اعتمد المركز نشر الكتاب من خلال خطة تقوم على الحفاظ بداية على تجزئة الكتاب كما أراده المؤلف وسيكون بعون الله في ٢٨ مجلداً تتبعها الفهارس العامة للكتاب ولما كانت الموسوعة بهذه الضخامة والأهمية فقد قام المركز بتكليف أساتذة أكاديميين من ذوي الخبرة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات لتحقيق الكتاب وجمع مخطوطاته لمقارنتها مع بعضها بعضاً للوصول إلى أكمل نسخة من الكتاب، وكذلك فلا بد من تقديمها مع دراسة تجلي الجوانب المختلفة من حياة مؤلفها، وتبين أهمية الكتاب ومنهج المؤلف وأسلوبه مع دراسة كاملة لمخطوطات الموسوعة المستخدمة في التحقيق التي ستكون بعون الله في المجلد الأول حيث لا يمكن إنجاز هذه الدراسة إلا بعد استكمال تحقيق أجزاء الكتاب كاملة.

والمركز إذ يقدم هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الأدبية فإنه يأمل بذلك أن

يكون قد خدم المكتبة العربية بهذا المرجع الضخم، وأن يقع من نفوس القراء والباحثين الموقع الحسن، نسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة تراثنا وتاريخنا رمز حضارتنا العربية والإسلامية، ومبعث افتخارنا واعتزازنا.

واللّه ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسرنا أن نقدم للمكتبة العربية وللباحثين السفر السابع عشر القسم الثاني من أسفار موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، والمتعلق بشعراء المغرب والأندلس من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن الهجري، والذي اشتمل على مائة وست وثلاثين شاعراً.

وقد اعتمدنا في إخراج هذا السفر على مخطوطة وحيدة هي التي نشرها الدكتور فؤاد سزكين عن معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا سنة ١٩٨٨م وهي صورة عن مخطوطة باريس، المكتبة الوطنية رقم (٢٣٢٧).

ويمتاز هذا السفر كغيره من أسفار موسوعة المسالك بالعديد من الميزات أهمها ما يلي:

أولاً: ترجمته للعديد من الشعراء المعاصرين له.

ثانياً: انفراده بإيراد العديد من القصائد الشعرية التي لم ترد عند غيره.

ثالثاً: يعد هذا القسم مع القسم السابق له أكبر موسوعة لشعراء المغرب والأندلس.

رابعاً: الاعتماد على رواية شفوية في أخبار الشعراء الذين ترجم لهم، ونقل تلك الرواية عن أئمة أعلام من أمثال شيفه أبي حيان، وأبي عبدالله العقيلي الألبيري.

خامساً: الاعتماد على مصادر مفقودة احتفظ لنا بجزء جيد منها مثل كتاب الملح العصرية لأب القطاع.

سادساً: الاعتماد على كتب مطبوعة، فقد جزء منها، وحفظ لنا ذلك المفقود ومن الأمثلة على ذلك ما نقله من كتاب الذخيرة لابن بسام، والقلائد لابن خاقان وتلك النقول غير موجودة في المطبوع منهما.

سابعاً: قدم في بعض تراجم الشعراء نقداً أدبياً لتلك الأشعار.

ثامناً: حفظ لنا في هذا الجزء معلومات قيمة عن حياته وبعض أشعار هي غير موجودة سوى في هذا الجزء.

المحققون

[٢٥٠] ومنهم:

١ ـ الضرير الحصري(١)

علي بن عبدالغني الفهري المقري الحصري القيرواني. الشاعر المشهور رحل لم يكفه أنه من فهرٍ في ذؤابها، وعلى حياض العرب حيث يزود بعصاه لعرابها، حتى نال من الآداب أقصى رغائبها، وآل بأبهى طلابها. وآن لتجار دارين معه أن تنفض ما في حقائبها.

أدباً بزغ، وشعراً دق أنوف العرب وفرّع، وبياناً هو الصباح لا بل هو النهار وقد متع، وفصلاً هو الغمام لا بل هو الروض لمن رتع، علماً كثر عنه الأخذ، وظهر ولا سبيل عليه للمأخذ.

قال ابن بسام في حقه(٢):

كان بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة. طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة بعد خراب وطنه من القيروان. والأدب يومئذٍ بافقنا نافق السوق، معمور الطريق، فتهادته ملوك طوائفها تهادي الرياض النَّسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم. على أنه كان فيما بلغني يتلفَّت إلى الهجاء تلفّت الظمآن إلى الماء. ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعه، وتراجع طبعه.

قال ابن خلكان(٣):

وهذا أبو الحسن ابن خاله أبي إسحاق الحصري صاحب زهر الأدب وقال: ولما

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١/١٩٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣١/٣.

(٢) الذخيرة: ق٤ م١/١٩٢.

(٣) وفيات الأعيان: ٣٣٢/٣.

كان مقيماً بمدينة طنجة أرسل غلامه إلى المعتمد بن عباد فأبطأ عنه، وبلغه أن المعتمد لم يحتفل به فقال:

حمصٌ الجنَّةُ قالت   لغلامي لا رجوعا
رحم الله غلامي   مات في الجنَّةِ جوعا [٢٥١]

وحكي أن المعتمد بن عباد بعث إلى أبي العرب مصعب بن محمد الزبيري خمسمائة دينار، وأمره أن يتجهز بها، ويتوجه إليه، وكان بجزيرة قبرص، وبعث بمثلها إلى أبي الحسن الحصري وهو بالقيروان. فكتب إليه أبو العرب(١):

لا تعجبنَّ لرأسي كيف شاب أسى   وأعجب لأسود عيني كيف لم يشبِ
البحر للروم لا تجري السفينُ به   إلا على غَرَرٍ والبرُّ للعربِ

وكتب إليه الحصري(٢):

أمرتني بركوب البحر أقطعه   غيري لك الخير فاخصصه بذا الراءِ
ما أن نوحٌ فتنجيني سفينتهُ   ولا المسيح أنا أمشي على الماءِ

ثم دخل الأندلس بعد ذلك. وامتدح المعتمد، وتوفي بطنجة(٣).

ومنهم:

٢ ـ ابن الفرضي(٤)

عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الأندلسي القرطبي، أبو الوليد، عرف بابن الفرضين فاضل غلب الشعر عليه، وسلب باقي ما لديه، لبس منه جلباباً، وتدفق منه

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣٣/٣.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣٤/٣.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣٣/٣ ـ ٣٣٤. وتوفي سنة ٤٤٨هـ.
(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٦١٤/٢، ابن بشكوال، الصلة: ٢٤٦، ابن سعيد، المغرب: ١/ ١٠٣، ابن خلكان، و فيات الأعيان: ١٠٥/٣، المقري، النفح: ١٢٩/٢.

عُبابا، وأعاد به زمان ذوي الهيئات من يمنٍ في غطاريفها، وقسّم لها مآثر قديمها، وله مفاخر طريفها.

قال ابن خلكان وقد ذكره[1]:

«كان فقيهاً عالماً في فنون من علم الحديث والرجال والأدب البارع، وغير ذلك. وله تاريخ علماء الأندلس، وهو الذي ذيَّل عليه ابن بشكوال، والمؤتلف والمختلف، ومشتبه النسبة.

وكان في شعراء الأندلس، ورحل إلى المشرق، فحجَّ وسمع وأخذ عن العلماء، وكتب من أماليهم، وأنشد له بيتين كرهما بتغيير في البيت الثاني عما أنشده. والذي أنشدته أقوم بالمعنى، وهما كما أنشدنيهما الحافظ [٢٥٢] الرحلة الأديب أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري[2]:

يا من سقامي من سقام جفونه	وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه	واليوم أقنع بالخيال ودونه

ومنهم:

٣ ـ القزاز القيراوي[3]

محمد بن جعفر التميمي المعروف بالقزاز القيراوي، أبو عبدالله. فاضل عزٌّ بالمعز، وعُدَّ له منه معدّاً آوى منه إلى حرز، وألّف له كتباً ما سُبق إلى طريقها، ولا سُرق مهزُّ الغصن إلّا من وريقها، أكثرها في النحو واللغة، كان لها في ذلك السوق نفاق، ونحو أصلها اتفاق اكتسب بسببها جُملاً، واكتسى حللاً.

وأجازه المُعز ثلثمائة ألف درهم على كتاب في النحو ألف ورقة، وأجرى عليه

---

(١) وفيات الأعيان: ٢/١٠٥.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/١٠٦. وفيهما اختلاف بيِّن في الرواية كما أشار المصنف نفسه.
(٣) انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/٣٧٤.

كل هلالٍ بدرة للنفقة، وحلّ في صدر تلك الدولة محل التكرمة. وأثرى بنوءِ كلٍّ مكرمة.

وله شعر منه قوله(١):

لـو انـبـسـطـت لـيَ الآمـال حـتـى ... تُـصَـيّـر مـن عـنـاك فـي يـمـيـنـي
صـنـتـك فـي مـكـان سـواد عـيـنـي ... وخـطـت عـلـيـك مـن حـذرٍ جـفـونـي

ومنه قوله(٢):

ألا من لـركـبٍ فـرّق الـدَّهـرُ شـمـلـهـم ... فـمـن مـنـجـدٍ نـائـي الـمـحـل وقـتـهـمِ
كأنَّ الردى خاف الردى في اجتماعهم ... فـقـسَّـمـهـم فـي الأرض كـل مـقـسِّـمِ

ومنه قوله(٣):

أحـيـن عـلـمـت أنـك نـورَ عـيـنـي ... وإنـــي لا أرى حـــتـــى أراكـــا
جعلت مغيب شخصك عن عياني ... يـغـيِّـب كـل مـخـلـوق سـواكـا

[٢٥٣] ومنهم:

٤ ـ أبو عبدالله القزاز(٤)

محمد بن عبادة القزاز، أبو عبدالله، صاحب الموشحات الموشعات، والكؤوس المشعشعات، والبدائع التي لم يحصرها الوزن، والوشائع التي لم يلبس مثلها روض الحزن، والروائع التي لا عنت في درها إلا أنه لم يُدخر بالخزن.

قال ابن بسام(٥):

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٧٥/٤.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٧٦/٤.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٧٦/٤.
(٤) انظر ترجمته: الخريدة: ١٨٢/٢، المغرب: ١٣٤/٢، الوافي: ١٨٩/٣، النفح: ٤١١/٣. أزهار الرياض: ٢٥٢/٢، الذخيرة: ق١ م٨٠١/٢.
(٥) الذخيرة: ق١ م٨٠١/٢ مع المقارنة.

فيه أكثر ما ذكر اسمه، وحفظ[1] يظهر في أوزان الموشحات التي كثر استعمال[2] أهل الأندلس لها. وهذا الرجل ممن رقم ديباجه، ورصّع تاجه.

وأنشد له[3]:

يا دَوْحةً بظلالها أتفَيَّأُ ... بل مَعْقِلاً آوي إليه وألجأُ

رمدت جفوني مُذْ حللت هنا ولو ... وكُحلتْ برؤيتكمْ لكانت تَبرأ[4]

فخبئتُ عنك وإنَّما أنا جوهر ... في طيٍّ أصدافِ الحوادثِ أُخبأُ

يا مَنْ إذ انتسبَ البرايا للثرى ... فلَهُ من الشُّمسِ المنيرةِ ضيضئُ

لم أخترعْ فيكَ المديحَ وإنَّما ... من بحرِكَ الفيَّاضِ هذا اللؤلؤ

وقوله[5]:

انظرْ الفحمَ قد علاهُ بياضٌ ... وكسا لون وجههِ تتريبا

لونَ شعر الشبَّابِ كان ولكن ... حُرَقُ النَّارِ أورثته المشيبا

ومنهم:

٥ ـ بنو القوطية[6]

هكذا ذكره ابن خلكان، وضبطه على ما يأتي. هم ثلاثة كثلاثة الراح، وثلاثة الأشراق وجه الحبيب، والمصباح والصباح. لم يكن مثلهم ثلاثة إخوة في قديم ولا حديث كأنما حمدت لأجلهم أهل النجامة الثلاث.

قال الفتح[7]: هم للمج كالآثافي، وما منهم إلَّا موفور القوادم، والخوافي، إن

---

(١) الذخيرة: وحفظ نظمه.

(٢) الذخيرة: استعمالها عند.

(٣) الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٤.

(٤) في الأصل: ومدت.

(٥) الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٥.

(٦) قلائد العقيان: م١/٤٢٩ «بنو القبطرنة».

(٧) قلائد العقيان: م١/٤٢٩.

ظهروا زهروا، وإن تجمَّعوا تضوَّعوا، وهم صفوٌ[1] وكلٌّ [٢٥٤] واحدٍ منهم لصاحبه كفؤ. قلت فمنهم:

٦ ـ ابن مزاحم الأندلسي[2]

أبو بكر محمد بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي الإشبيلي الأصل، القرطبي المولد، من أعلم أهل زمانه باللغة العربية مع مشاركةٍ في الفقه والحديث والخبر النادر، وأروى للأشعار.

ولم يكن بالضابط لرواته.

نسبته إلى قوط بن حام بن نوح نسبة إلى جده جدِّه إبراهيم بن عيسى، وهي سارة بنت المنذر بين خطيبه من ملوك القوط بالأندلس.

فمن شعره قوله[3]:

يـا أخـي قُـمْ تـرى الـنَّـسيـم عـلـيـلاً ... بـاكـرِ الـرَّوْض والـمُـدام الـشـمـولا[4]
لا تَـنَـمْ واغـتـنـم مَـسـرَّة يـومٍ ... إنَّ تَـحْـتَ الـتُّـراب نَـوْمـاً طـويـلا

وقوله[5]:

هَـلـمّ إلـى روضِـنـا يـا زَهَـرْ ... ولُـجْ فـي سـمـاءِ الـمـنـى يا قـمـرْ
وَقـعْـتَ مـن الـقـلـبِ وقَـع الـمُـنـى ... وحُـسّـنـتَ فـي الـعـينِ حُـسن الـحـورْ

وقوله[6]:

---

(١) قلائد العقيان: ماؤهم صفو.

(٢) انظر ترجمته: الذخيرة: ق٢ م٢/٧٥٣، الإحاطة: ٥٢٠/١، التكملة رقم ١٧٣٤، الخريدة: ٤١٦/٢، المغرب: ٣٧٦/١، قلائد العقيان: م١/٤٣٥.

(٣) قلائد العقيان: م١/٤٣٥، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٧٣.

(٤) قلائد العقيان والذخيرة: شمولا.

(٥) قلائد العقيان: م١/٤٣٧.

(٦) قلائد العقيان: م١/٤٣٨، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٦٧.

بـالـحَـيْـرِ لا عَـبَـسـتْ هـنـاك غَـمـامـةٌ إلّا تُـضَـاحِـكُ إذخـراً وجَـلـيـلا[1]

يـومـاً ولـيـلاً كـان ذلـك كُـلُّـهُ سَـحَـراً وهـذا بُـكـرةً وأصـيـلا

لا أدركـتْ تـلـكَ الأهـلَّـةَ دُهـرهـا نَـقْـصـاً ولا تـلـكَ الـنُّـجـومُ أُفُـولا

وقوله[2]:

مَـضَـى الأُنـسُ لَـوْعـةٌ تـسـتـفـزُّنـي إلـى الـصَّـيـدِ ألّا أنَّـنـي دون شـاهـيـن

خُـمـر لـي بـه ضَـافـي الـجـنـاحِ كـأنَّـه على دُستبانِ الكفِّ بَعضُ السلاطين[3]

إذا أَخـذتْ كـفَّـاهُ يـومـاً فـريـسـةً فـمن عـقـد سـبـعـينِ إلى عـقـدِ تـسـعـينِ

[٢٥٥] وقوله يرثي زوجته[4]:

يـا رَبَّـةَ الـقـبـرِ فـوقَ [الـقـبـر] ذو حـرقٍ يرثي له القبر من شجوٍ ومن شجنِ[5]

قد خالفَ القلبُ فيكَ العينَ من كَمدٍ فـاسـوَدَّ بـالـفـمِّ وابْـيَـضَّـتْ مـن الـحَـزنِ

وقوله مما كتب به إلى مسجون[6]:

أُتَـتْـني عـلى رغـمي فـمـا شـئـتَ عَـبْـرةٌ أرشَّـتْ بـهـا عـيـنـاي طـلُّـهُـمـا وَبْـلُ

ولا عَـجَـبٌ إنْ ضـمَّـك الـسِّـجـنُ إنَّـهُ لـعـمرُ الـعُـلى غَـمْـدٌ وأنـتَ لـه نـصـلُ[7]

وذكره ابن بسام، ولم يزد في نسبه على أن قال[8]:

أبو بكر ابن[9] عبدالعزيز بن سعيد الطوسي. ثم قال: أحد فرسان الكلوم والكلام،

---

(١) الحير: موضع خارج باب اليهود بقرطبة. قلائد العقيان: م١/٤٣٩، ياقوت الحموي، مادة حير الزجاجي.

(٢) قلائد العقيان: م١/٤٤٢.

(٣) القلائد: فمُنَّ به.

(٤) القلائد: م١/٤٤٢. وزوجته ابنة الحضرمي.

(٥) القلائد: يا ربة القبر فوق القبر ذو حزنٍ.

(٦) قلائد العقيان: م١/٤٤٢.

(٧) القلائد: به نصلُ.

(٨) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٥٣.

(٩) الذخيرة: أبو بكر عبدالعزيز.

وحمله السيوف والأقلام، من أسرةِ أصاله وبيت جلالة، ولله في دُرِّه[1]، فإنه وأخواه[2] أبو محمد طلحة، وأبو[3] الحسن محمد، ثلاثة كهقعة الجوزاء، وإن أربوا على الشمس في السَّناء[4]، امتروا أخلافَ الفخر فأمطرتُهم شَبْعا وريًّا، وهزُّوا بجذع الأدب فاسَّاقطت عليهم رُطباً جنيًّا. ولم يحضرني من أشعارهم، ومستطرف أخبارهم، إلا ما أثبتُّه لأبي بكر منهم خاصة، وهو عَلَمُ بُرْدِهم، وواسطة عقدهم.

ومما أنشد له في جواب كتبه إليه أبو محمد بن عبدون منه[5].

شوقي بني عبدالعزيز وما أنا ... بناب إذا التفَّتْ عداً ونوائبُ[6]

لعاً لسرورٍ لم يقمْ منكمُ به ... مُحييٌّ على طولِ المدى أو مُخاطبُ

ولم تنبسوا حرفاً عليّ وأنتمُ ... ثلاثةُ كُتَّابٍ وما أنا كاتبُ[7]

من قول أبي بكر الطوسي، صاحب هذه الترجمة ما نذكره[8]:

لك الخير شكّت رحلك العيسُ حُطّهُ ... قليلاً، وعرِّس قد شكتك السباسبُ[9]

[٢٥٦] على أنَّ للأيَّامِ فينا وقائعاً ... نبا شاعرٌ فيها وأَفْحمَ كاتبُ

وأما امرؤ القيسِ السَّواري فإنَّه ... رأى الدرب حقًّاً فاتلُهُ أنت صاحبُ[10]

يغنِّيه غرِّيدُ الدُّجى فإذا ونى ... يغنِّيه ساقي من دمِ الساقِ شاربُ

---

(١) الذخيرة: ولله دره.

(٢) الذخيرة: وأخويه أبا.

(٣) الذخيرة: وأبا.

(٤) الذخيرة: في السَّنا والسفاء.

(٥) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٦٥.

(٦) الذخيرة: سيوفي بني.

(٧) الذخيرة: ولم تكتبوا.

(٨) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٦٦.

(٩) الذخيرة: الخير ملّت.

(١٠) الذخيرة: فابكه أنت.

وقال[1]: قوله امرؤ القيس السواري يعني أبا بكرِ بن سوار الأشبوني. وكان أُسرَ في طريق قورية، وبقي بها مقيَّداً[2] إلى منَّ الله بانطلاقه[3] من وثاقه وأشار بذكر[4] امرءِ القيس في قوله:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونَهُ البيت[5]

وكذلك أنشد له قوله، يذكر بفزةً أخذها له الريق[6] صاحب قلمريه[7]

وأفقدنيها الريق أمّاً حَفيَّةً ... إذا هي ضُفَّتْ أُلّفتَ بين رفدينِ
تعنِّفُني أمي على أن ريثتُها ... بشعري وأتبعتُها الدمَ من عيني
لها الفضلُ عندي أرضعتني أربعاً ... وما بلَّغتني درّها رأس حولين[8]

وكذلك قوله منها[9]:

وفجَّعني ذا الريق لا درّ دُرُّهُ ... بأمٍّ عيالٍ ما عرفنا بها الجدبا
ترى فخذيها يحملانِ خِزانةً ... إذا افتحتها أُصباً ملأتْ وطبا[10]

وقوله يستهدي صقراً[11]:

حَلّيتَ بالنِّعمِ الجسامِ سماحةً ... عُنُقي فحلّ يدي كذاك بأجدلِ

---

(1) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٦٦.
(2) ساقطة من الذخيرة.
(3) الذخيرة: بإطلاقه.
(4) الذخيرة: بذكر الدرب إلى قول امرئ القيس.
(5) عجز البيت: وأيقن أنا لاحقان بقيصرا.
(6) الريق أو الرنق: هو الفونسو هنريكز صاحب قلمريه.
(7) في الأصل: قلمويه.
(8) الذخيرة: وبالرغم ما بلغتني رأس ...
(9) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٦٩.
(١٠) الذخيرة: إذا فتحتها.
(١١) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٦٩.

وامـنـنْ بـه ضـافـي الـجـنـاح كـأنَّـمـا حُـذَيـتْ قـوادمـه بـريـح الـشـمـالِ[1]
أغـدو بـه عـجـبـاً أصـرِّفُ فـي يـدي ريـحـاً وآخـذ مـطـلـقـاً بـمـكـبَّـلِ

وقوله[2]: [٢٥٧]

وما الشِّعر من همِّي ولكن خواطري تـغـالـبُـنـي فـيـه وهُـنَّ غَـوالـبـي
أُقـلِّـلُ مـنـه مـازحـاً غـيـر طـالـبِ وأكـثـرُ فـيـه فـاخـراً غـيـر كـاذبِ

وقولهن ما ذكره مفرقاً له من قصيدةٍ فضممته، وألَّفتُه بعضاً إلى بعضٍ، ولممته وهو[3]:

لـعـيـنـيـك وعـدٌ من فـؤادي مـكـذوبُ مـضـى عـهـدُهُ إلَّا سـهـادٌ وتـعـذيـبُ[4]
وقد شُقَّ هُدبُ الليل عن شملةِ الضَحى ببرقٍ على ثوب الدُّجى منه تكتيبُ[5]
كـأنَّ أهـازيـجَ الـذُّبـابِ أسـاقـفٌ لـهـا مـن أزاهـيـرِ الـريـاضِ مـحـاريـبُ

أخوه أبو محمد:

شقيق نسبه، وشقيق روض أدبه، ورحيقُ سُلافةِ المُتبسِّم عن جبيه. ومن شعره قوله[6]:

ومُـنـكـرةٍ شـيـبـي لـعـرفـانِ مَـوْلـدي تُـرجِّـعُ والأجـفـانُ ذاتُ غُـروبُ
فقلتُ يسوقُ الشَّيبُ من غيرِ وقته زوالُ نـعـيـمِ أو فِـراقُ حـبـيـبُ[7]

أخوه أبو الحسين الحسن[8]:

---

(١) الذخيرة: بريح شمأل.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٧١.
(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٧١.
(٤) الذخيرة: معنى عزمه.
(٥) الذخيرة: ومن شقَّ ... شهلة.
(٦) قلائد العقيان: م١/٤٣٢.
(٧) القلائد: قبل وقته.
(٨) قلائد العقيان: م١/٤٤٤ وفيه أبي الحسن.

ثالث النيِّرين المشرقين، والفرقدين داما غير مفرقين.

ومن شعره قوله(١):

ذكـرتُ سُـلـيـمـى ونـارُ الـوغـى ... كـقـلـبـي سـاعـةَ فـارقـتُـهـا(٢)

وأبـصـرتُ بـيـن الـقـنـا قَـدَّهـا ... وقـد مِـلْـنَ نـحـوي فَـعـانـقـتُـهـا

وقوله(٣):

رأى صاحبي عَمْراً فكلَّف وصفَهُ ... وحمَّلَني من ذاك ما ليسَ في الطَّوقِ

فقلتُ له عمروٌ كعمرٍو فقال لي ... صدقْتَ ولكن ذاك شبٌّ عن الطَّوقِ

ومنهم:

٧ ـ الحكم البكري(٤)

الحكم بن محمد بن غلام البكري، أبو الحسن. أديبٌ ما كحَّلَ وسن طرفِه بسهد، ولا شُبِّه جني ريقه بشهد، ولا بات من حبيبٍ على وعدٍ يقلِّبُه، [٢٥٨] ولا بُعُد مدىً يودُّ أنَّه يقربه لمساعدة القدر، ومساعفة الليالي له بالقمر.

قال فيه الفتح(٥):

طلع في سماءِ الدولة العبَّادية حجماً، وصار لمسترِّق سمعها رَجْماً، وكان له فيها مقام محمود، ووقود لم يغيره خمود(٦)، ثم استوفى طَلَقْه، ولبسَ العمر حتى أخْلَقه. وأنشد له قوله(٧): [الطويل]

---

(١) القلائد: م١/٤٤٤.

(٢) القلائد: وحر الوغى ... كجسمي.

(٣) القلائد: م١/٤٤٤.

(٤) انظر ترجمته: الذخيرة: ق٢ م٢/٥٦٣، المغرب: ١/٣٤٨، الخريدة: ٢/٥٩٦، البغية، ٢٦٥ رقم ٦٩٢، القلائد: م٢/٩٠٢، النفح: ١/٦٥٧.

(٥) القلائد: م٢/٩٠٢ مع المقارنة.

(٦) القلائد: وتوقد لم يعده خمود.

(٧) القلائد: م٢/٩٠٢.

ألاحت وللظَّلماء من دونها سدلُ عقيقةَ برقٍ مثل ما انتضى النصلُ[1]

أطارتْ سناها في دُجاها كأنَّها تَبلُّجُ خدٌّ حَفَّهُ فاحمٌ جَثْلُ

لدى ليلةٍ رُوميةٍ حَبشيةٍ تغازلنا من شُهبها أعينٌ شُهْلُ

تودُّ عيونُ الغانياتِ لو أنَّها إذا مُرِهت عند الصباح لها كحلُ[2]

بدت في حُلاها فاتقينا نجومها بأنجمِ راحٍ في الشِّفاه لها أَفْلُ

إلى أن بدا للصُّبح في طُرَّةِ الدُّجى دبيبٌ كما استقرت مدارجها النملُ

وقوله[3]: [مخلع البسيط]

أرَّقني بَعْدَك البعادُ فناظري كَحَّله السُّهادُ[4]

يا غائباً وهو في فؤادي إنْ كان لي بعدَهْ فؤادُ

حَسبُ العدى مِنكَ ما رأوهُ لا وَرَيَتْ للعِدى زِنَادُ

لم يعلمِ الصائدونَ منهم أنَّك عنقاءُ لا تُصادُ

وأنَّ في راحتيك سعداً تَنْدُّقُ من دونه الصعادُ

والليثُ شبعانُ لا يبالي إذا نزت حولَهُ النِّقادُ[5]

وحكى الفتح في ترجمة ابن وهبون[6]:

أنَّه ركب في جماعة من الأدباء بأشبيليته في نهرها في ليلةٍ تنقَّبت بظلمائها، ولم يَلُج قمر[٢٥٩] في سمائها، وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللُّجة، وزاد في تلك البهجة، وأنشد ما قاله ابن وهبون في ذلك، وهي الأبيات الدالة في ترجمته ثم قال: وكان معه غلام البكري متعاطياً للرَّاح، جارياً في ميدان ذلك المراح. فلما جاء

---

(١) في الأصل: ألاحيت والتصحيح من القلائد.

(٢) القلائد: إذا رَمِدتْ.

(٣) القلائد: م٢/٩٠٥.

(٤) القلائد: كحلة سهاد.

(٥) القلائد: إذا قذت.

(٦) القلائد: م٢/٧٢٧ مع المقارنة.

عبدالجليل بما جاء، وحلَّ للإبداع الجوانب والأرجاء حَسده على ذلك الارتجال، فقال بين البطء والاستعجال[1]. [الكامل]

أعْـجِـبْ بـمـنـظـرِ لـيـلـةٍ لـيـلاءِ ... تُـجـنـي بـهـا الـلَّـذاتُ فـوق الـمـاءِ
فـي زورقٍ يُـزهَـى بـعـزَّةِ أغـيـد ... يـخـتـال مـثـل ألـبـانـهِ الـغَـنَّـاءِ
قـرنـتْ لـديـه الـشـمـعـتـان بـوجـهـهِ ... كـالـبـدر بـيـن الـنَّـسـر والـجـوزاءِ[2]
والـتَّـاجُ تـحـت الـمـاء ضـوءٌ مـنـهـمـا ... كـالـبـرقِ يـخـفـقُ فـي غَـمـامِ سـمـاءِ

وقد ذكره ابن بسام فقال[3]:

«وأبو الحسن في وقتنا بحر من بحور الكلام، قذف بدُرِّ النظام، فقلَّده أعناق الأنام. أسحر من أطواق الحمائم، وأبهرَ من النجوم العواتم، من شعراء الدولة العبَّادية. ولما انجابت غُيومها، وأمْحَتْ نجومها، تَخلَّع[4] صاحبها، خلعَ أبو الحسن صنعة الشعر، خَلْع النجاد وتبرأ منها تبرؤ العباسية[5] من دعوة زياد. إلَّا إلمام الطِّيفِ بعين الفِرق، والتفات الدليل إلى ثُنيَّات الطرق[6]. وقد أثبَّت لــه

من الشعر ما يقضي له بالفرق[7]، ويحفُّهُ بقصبات السيق. ومما أنشد له قوله[8]:

مَضيتُ كما يمضي الحسامُ المصمَّمُ ... وأبـتَ كـمـا آب الـحـيـا والـمـتـبـسِّـمُ
سـيـعـلـمُ مـن نـاواك أنـك لا الـذي ... يُخيمُ على الحرب العَوانِ ويحجمُ
[٢٦٠] لتربابك الأيام عن حدثانها ... فـإنَّـك فـي يـهـمـاء دهـرك مَـعْـلَـمُ
لـك الـخـيـرُ إنَّ الـقـلـبَ واعٍ وإنَّـمـا ... يـبـوحُ بـمـا فـيـه الـلـسـان الـمـتـرجـمُ

---

(١) القلائد: م٢/٧٦٩.
(٢) القلائد: يداه الشمعتين.
(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٦٣.
(٤) الذخيرة: خلع.
(٥) الذخيرة: العبادية.
(٦) الذخيرة: بينيات.
(٧) الذخيرة: بالفوق.
(٨) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٦٦.

ومنه قوله[1]:

تـدرَّعـتُ قـلـبـي جـرأة وحـزامـةً ... ومن يدَّرِعْ قلباً يُهُنْ عنده الدرعُ
أرى النقص عاراً في الجوارح والنُّهى ... فما لفمي أخذٌ ولا ليدي منعُ

ومنه قوله يصف مصنعاً عمله المعتمد[2]:

أقـرنُ الـغـزالـةِ أم مَـعْـقِـلُ ... يـكـادُ الـجـمـادُ بـه يُـعـقـلُ
قـرارةُ أُنـسٍ يَـبُـثـنَ الـظـبـاء ... بـه والـضـراغـمـةُ الـبُـسـلُ[3]
تـجـرّدُ أفـواهـهـا فـي الـصـفـاء سيو ... فـاً بـشـمـس الـضـحَـى تـعـتـقـلُ
ولـيـسـت سـيـوفـاً ولـكـنَّـهـا ... لـظـامـي الـثـرى مَـنْـهـلٌ سلـسـلُ
تـشـق الـمـيـاهَ بـهـنَّ الـمـيـاهُ ... كـمـا شـقَّ فـي الأمـةِ الـمـنـصـلُ
مـحـاسـنُ لـلـروضِ فـيَّـاضـةٌ ... بـهـا تـضـعُ الأرضُ مـا تـحـمـلُ
تُـرضِّـعُ أطـفـالَ أشـجـارهـا ... ضـروعُ مـتـاعِـبِـهـا الـحُـفَّـلُ
يـلـي الـحـوضَ مـذنـبـهُ مـثـلـمـا ... جـنـا الـردف وانـدمـجَ الأيـطـلُ
تـلـفُّ الـثـرى فـي بـرود الـربـيـع ... إذا عـزَّت الـروضـةِ الـشـمـألُ
وفـي صـحـنِ صـحـفـتـه مـجـلـسٌ ... شـرودُ الـلـحـاظِ بـه يُـعـقـلُ[4]
كـأنَّ تـمـاثـيـلَ جُـدرانـهِ ... عـلـى مـن يـقـابـلـهـا تُـقْـبـلُ
كـأنَّ أعـالـيـه روضـةٌ ... ومـرمـرٌ أسـفـلـهِ جَـدولُ
يـنـمُّ سـنـاه بـأسـراره ... فـتـعـلـم عـيـنُـكَ مـا تـجـهـلُ
[٢٦١] وتـكـتـرع فـي مـاءِ لآلائـهِ ... ظـمـاءُ الـعـيـونِ ولا تُـنـهـلُ
فـلـو أنَّ زهـرتـه لـلـهـجـيـر ... بـدا وردهُ وشـدا الـبـلـبـلُ

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٦٧.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٧٠.
(٣) الذخيرة: تبنُ.
(٤) الذخيرة: صحن مساحته.

ومنهم:

٨ ـ الشنتمري[1]

عبدالله بن محمد بن سارة البكري الأندلسي الشنتمري الشاعر المشهور، أبو محمد شاعر ينجز إذا وعد، ويسبح إذا رعد، ويجوز النجم إذا صعد. يقوم بميزان الشعر إذا قعد، ويسبق أجل الغمام ولو أنَّه معه قد اتعد، ويرعب بنانه شعاع الشمس فلا غرو لا فكله إذا ارتعد.

انتهى نسبه البكري إلى بكر بن النطَّاح لفخر بكونه من أبنائه، أو سار جده ساره لما سأل إلا عن أبنائه، وخلَّد من الشعر ما تختطفه الأسماع، وتقتطفه غضُّ الإبداع.

ذكر ابن بسام وقال[2]:

«وأولع بالقصار فأرسلها أمثالاً، ورشق بها نبالاً، لا سيما قوارعُ كررَّها على مَرَدَة عصره، ووسم بها أنوف أحسابهم، وخلَّدها[3] مثلاً في أعقابهم، ومَلَّح في شكوى زمانه، ودلَّ[4] بها على علو شأنه حتى لو أنَّ أبا منصور الثعالبي رآه، أو سمع شيئاً مما نحاه، لأضرب عن كثير ممن به أغرب، كابن سُكره وابن لنكك، ومن سلك ذلك المسلك.

وكان ضيِّق المجال، زُحليَّ الانتقال لم يسعه مكان، ولا اشتمل عليه سلطان، وكانت قصاراه تتبع المحقَّرات، وبعد جهدٍ[5] ارتقى إلى كتابة بعض الولاة، فلما كان من خلع الملوك ما كان، آوى إلى إشبيلية أوحشَ حالاً من الليل، وأكثر انفراداً من

---

(١) انظر ترجمته: التكملة: ٨١٦، القلائد: م٢/٨٠٩، الخريدة: ٢/٣١٥، بغية الملتمس: ٣٣٦، رقم ٨٩٩، المغرب: ١/٤١٩، الشذرات: ٤/٥٥، زاد المسافر: ٦٦، وفيات الأعيان: ٢/٩٣، بدائع البداية، ٣٧٦، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٤ وجاء فيه ابن صارة.

(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٤.

(٣) الذخيرة: وتركها.

(٤) الذخيرة: دلَّ.

(٥) الذخيرة: وبعد لأي.

سهيل، وتبلَّغ بالوراقة وله منها جانب، وبها بصر ثاقب، فانتحلها على كساد سوقها، وخلو طريقها، وفيها يقول[1]:

أما الوراقة فهي آلة حرفةٍ ... أوراقها وثمارها الحرمان[2]
[٢٦٢] شَبَّهتُ صاحبها بصاحب إبرةٍ ... تكسو العُراة وجسمها عُريانُ[3]

وقوله[4]:

وإن فمي يُشافهُ راحتيه ... فيُعرفُ فيهما عرفُ السيادة

وقوله[5]:

ومهفهفٍ أبصرت إطراقه ... قمراً بآفاق المحاسنِ يُشرقُ[6]
تقضي على المُهجاتِ منه صعدةٌ ... متألِّقٌ فيها سنانٌ أزرقُ

وقوله:

أسنى ليالي الدهر عندي ليلةٌ ... لم أخلُ فيها الكأسَ من أعمالِ
فرَّقت فيها بين جفني والكرى ... وجمعتُ بين القرط والخلخالِ

وقوله:

وصاحبٍ لي كداءِ البطن عشرته ... يودني كوداد الذئب للراعي
يثني عليَّ جزاه الله صالحةً ... ثناء هندٍ على روح بن زنباع

وقوله: ثناء هند على روح بن زنباع، هذه هند هي بنت النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه، وكان روح بن زنباع صاحب عبدالملك بن مروان قد تزوجها وكانت تكرهه، وفيه تقول:

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٥، القلائد: م٢/٨١١.
(٢) الذخيرة: فهي أبكة، والقلائد: أنكد ... أغصانها.
(٣) لم يرد البيت في الذخيرة.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٦.
(٥) الذخيرة: في أطواقه.
(٦) القلائد: صاحبها بإبرة خائطِ.

وهــــل هــــنـــــدُ إلَّا مــــهــــرةٌ عـربيةٌ سليلة أفراسٍ تـحلَّلها بغلُ
فإن نتجت مهراً كريما فيا لحزني وإن يك أقرافٌ فما أنجب الفحلُ

ويروى فمن قبل الفحل، وهو إقواء، ويروى هذان البيتان لأُختها حميدة بنت النعمان، والإقراف أن تكون الأم عربية، والأب ليس كذلك، أو أن يكون الأب عربياً، والأم خلاف ذلك.

وقوله[1]: [٢٦٣]

أعـنـذكَ أنَّ الـبـدر بـات ضـجـيـعي فـقـضـيـتُ أوطـاري بغـيـر شـفـيـعِ[2]
جعلتُ ابنةَ العنقودِ بيني وبينه وكـانـتْ لـنـا أمَّاً وكـان رضـيـجـي[3]

وقوله[4]:

ومُـعـذَّرٍ رَقَّـت حـواشـي حُـسـنـهِ فـقـلـوبـنـا وَجْـداً عـلـيـه رِقَـاقُ
لـم يُـكـسُ عـارضُـه الـسـواد وإنَّـمـا نَـفَـضتْ عليها صبغَها الأحْداقُ[5]

وقوله[6]:

قـاسيـتُ حُـبَّـكَ مـنـذُ حـولٍ كـامـلٍ وطـيـورُ آمـالـي عـلـيـك تـحـومُ
فـحـرمـتُ مـنـكَ جـمـيـعَ مـا أمَّـلـتُـهُ أشـقـى الـبـريَّـةِ عـاشـقٌ مـحـرومُ[7]

وقوله[8]: [الكامل]

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٧.
(٢) الذخيرة: كان ضجيعي.
(٣) الذخيرة: فكانت لنا.
(٤) الذخيرة: ق١ م١/١٤٧، القلائد: م٢/٨١٠.
(٥) الذخيرة: نثرت عليه سوادها، والقلائد: نفضت عليه.
(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٧.
(٧) الذخيرة: بلوغ ما أملته.
(٨) القلائد: م٢/٨٢٣، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٨.

ومُـهـفـهـفٍ يـخـتـالُ فـي اتـزاره مَرَح القضيبِ اللَّدْن تحت البارحِ[1]
عـايـنـتُ فـي مـرآةِ وهـي خَـدُّهُ فحكيتُ فِعْلَ جُفونهِ بجوانحي[2]
لا غـروة عـن جَـرح الـتَّـوَهُّـمُ خَـدُّهُ فالسِّحرُ يعمل في البعيد النازحِ[3]

وقوله[4]: [الكامل]

مـاءُ الـجـمـالِ بـخـدِّه مـتـرقـرقٌ فالشَّمسُ منه تعومُ في ضَحْضاحِ
رشـأٌ خـدُّ الـبـرئ ولـحـظُـه أبـداً شـريـكُ الـمـوتِ فـي الأرواحِ
لـلَّـهِ راء زبـرجـدٍ فـي عَـسْـجـدٍ فـي جـوهـرٍ فـي كـوثـرٍ فـي راح
لـولا الـعـيونُ لـكـان من دون الـهـوى وقـلـوبُـنـا قُـفـلٌ بـلا مـفـتـاح

وقوله[5]: [الطويل]

أرى شَـجـر الـنَّـارنـج أبـدى لـنـا جَـنـيً كـقـطـر دموعٍ ضَرَّجـتـهـا الـلـواعـجُ
[٢٦٤] جوامدُ لو ذابت لكانت مُدامةً تـصـوغُ الـبُرى فيـهـا الأكـفُّ الـموازجُ
كـراتُ عـقـيـقٍ فـي غـصـونِ زَبَرْجـدٍ بـكـفِّ نـسـيـمِ الـرِّيـح مـنـهـا صـوالـجُ
نـقـبِّـلُـهـا طـوراً وطـوراً نَـشـمُّـهـا فـهـنَّ خـدودٌ بـيـنـنـا ونـوافـجُ

وقوله[6]:

أهـدِ الـثـنـاء إلـى زمـانٍ مـشـرقٍ أهـدى إلـيـك شـقـائـقَ الـنُّـعـمـانِ
يـهـفـو بـهـا مَـرُّ الـنـسـيـم كـأنَّـهـا حُـمـرُ الـبـنـود نُـشـرن فـي مـيـدانِ

وقوله[7]:

---

(١) القلائد والذخيرة: في أبراده.
(٢) القلائد: في مرآة فكري.
(٣) القلائد والذخيرة: يفعل في.
(٤) القلائد: م٢/٨٣٠، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٩.
(٥) القلائد: م٢/٨٢٩، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٤٠.
(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٤٢.
(٧) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٤١.

نمَّتْ زجاجتها بها فحسبتُها ... ماءً يحيطُ بجذوةٍ من نارِ
رام المديرُ بأن يسكِّنَ فَوْرَها ... فتقاذفَتْ جنباتُها بشرارِ
حتى إذا ما ابنُ الغمامةِ شجَّها ... ثار الحَبابُ مطالباً بالثارِ
في درعِ نضناضٍ كأنَّ أديمَهُ ... يرنو بأحداقٍ بلا أشفارِ

وقوله[1]:

وبستان وردٍ في مطارف سندسٍ ... يَرفُّ على غيد السَّوالفِ مُيَّدِ
نظرتُ إليه في الكمام فخلتُهُ ... ذوائبَ تبرٍ عُمِّمت بزبرجدِ

وقال فيه الفتح[2]:

سابق الحلبة، وعِقدُ تلك اللَّبَّة، وهو اليوم مكتتمٌ في كسرِ تواريه، مُقتنعُ بفلذةٍ تنعشه، وشملةٍ تُواريه. وكانت له أهاج سدَّها نبالاً، وأورث بها خبالا.

[وله يصف الرياض][3]: [الكامل]

أما الرِّياضُ فإنهنَّ عرائسٌ ... لم يحتجبنَ حذارَ عين الكالي
جادَ الربيعُ لها بنقد مُهُورها ... ورنا ولم يبخل بنقد الكالي[4]
[٢٦٥] تثني الصَّبا منها أَكُفَّ زبرجدٍ ... منظومةً أطرافها بلآلي[5]

وقوله يصف كوكباً ترك وراءه ضياء:

وكوكبٍ أبصر العفريت مسترقاً ... للسمع فانقضَّ يزكي أثره لهبه
كفارسٍ حلَّ أعصار عمامته ... فجرها كلها من خلفه عذبه

وقوله[6]:

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٤٢.
(٢) القلائد: م٢/٨٠٩ مع المقارنة.
(٣) الإضافة من القلائد: م٢/٨٣٩.
(٤) القلائد: دفعاً ولم يبخل لوزن الكالي. والكالي: المراقب، والكالي الثانية اليسع بالنسيئة أي المؤجل.
(٥) القلائد: أطواقها.
(٦) القلائد: م٢/٨٢٤.

أودتْ بــذات يــدي فُــريّــةُ أرنــبِ … كــفــؤاد عُــروةَ فــي الــضَّــنــى والــرِّقــةِ
إنْ قــلــت بــســم الــلــه عــنــد لِــبــاســهــا … قــرأتْ عــلــيَّ «إذا الــســمــاء انــشــقــتِ»

وقوله في بنتٍ ماتت له[١]:

ولـم أرَ لابـن الـهـمِّ أشـفـى مـن الـسُّرى … إذا مــات رفــقُ الــعــزمِ مــاتَ بــدائــهِ
وإنّــي لألــقــى كُــلَّ وجــهٍ بــمــثــلــهِ … ولا عَــجــبٌ فــالــمــاءَ لــونُ إنــائــهِ

وقوله[٢]:

الــنَّــهــرُ قــد رقَّــت غــلالــةُ صَــبْــغــهِ … وعـلـيـه مـن صُـيـغِ الأصـيـل طـراز[٣]
[٢٦٦] تـتـرقـرقُ الأمـواجُ فـيـه كـأنَّـهـا … عُـكَـنُ الـحـضـورِ تـهـزُّهـا الأعـجـازُ[٤]

وقوله يصف بركةً ذات سلاحف، وأجاد في وصفهما[٥]:

لــلَّــه مــســحــورةٌ فــي شَــكْــلِ نــاظــرةٍ … مــن الأزاهــيــر أهــدابٌ لــهــا وُطُــفُ
فــيــهــا ســلاحِــفُ ألــهــانــي تــقــامُــصُــهــا … فـي مـائـهـا ولـهـا مـن عِـرمـضٍ لُـحُـفُ
تُــنــافــرُ الــشَّــطَّ إلَّا حــيــن يُــحــضــرُهــا … بَـرْدُ الـعـشـيِّ فـتـشـتـد فـي وتَـنـصـرفُ[٦]
كــأنَّــهــا حــيــنَ يُــبــديــهــا تــشــرُّفُــهــا … جَيشُ النَّصارى على أكتافِها الحجفُ[٧]

وقوله يرثي مرآة[٨]:

تـفـطَّـرت كـبـدُ الـعُـلـيـا لـلـؤلـؤةٍ … لـم تُـردَعِ الـتُّـربَ إلَّا مـن كـرامـتـهـا[٩]
نــوارةٌ مــلأتْ أُفــقَ الــتّــقــى أرجــاً … فردّها الدّهر صوتاً في كما منها[١٠]

---

(١) القلائد: م٢/٨١٨.
(٢) القلائد: م٢/٨١٩.
(٣) القلائد: صُنع.
(٤) القلائد: فيه كأنه.
(٥) القلائد: م٢/٨٣٢.
(٦) القلائد: وتستدني.
(٧) القلائد: يبديها تصرفها.
(٨) القلائد: م٢/٨٣٣.
(٩) القلائد: كبد العلى.
(١٠) جاء في الهامش: يشبه قول بعض الفضلاء، وقد أمر أن يكتب على قبره هذان البيتان:

قــد كــان صــاحــب الــقــبــر حــوهــرةً … ويــتــيــمــة صــاغــهــا الــبــاري مــن الــنــطــف
عزت فـلـم تـعـرف الأيـام قـيـمـتـهـا فـردّهـا … غــيــرةً مــنــه إلــى الــصَّــدفِ

وقوله في النار[1]: [الخفيف]

لابنةِ الزِّند في الكوانين جمرٌ كالدَّراري في دُجى الظَّلماءِ
خبروني عنها ولا تكذبوني ألديْها صناعةُ الكيمياءِ[2]
سبَكتْ فحمها سبائك تبرٍ رصَّعتها بالفضَّةِ البيضاءِ[3]
كلَّما ولولَ النسيمُ عليها رقصتْ في غِلالةٍ حمراءِ[4]
لو ترانا من حولها قلت شربٌ يتعاطون أكؤسَ الصَّهباءِ
سفرت في عشائها فأرتنا حاجبَ الشَّمس طالعاً بالعِشاءِ[5]

وقوله فيها[6]: [الكامل]

جاءتْ في تنوُّرها المسجورِ زهراءَ في حُللٍ من الدَّيجورِ[7]
لما تهلَّل في الظلامِ جبينُها لَبسَ الظَّلامُ بها غلالة نُورِ
[٢٦٧] يا حُسنها وقد ارتمتْ جَنباتُها شرَّداً كمثل العسجدِ المنثورِ[8]
والجمرُ في خَلَل الرمادِ كأنَّه وردٌ عليه عليه ذُريرةُ الكافورِ
في ليلةٍ خلنا دُجاها إثْمداً ونجومُها مَرضى عيونِ الحورِ

وقوله[9]: [السريع]

قد شابتِ النَّارُ بكانونها لما تناهى عُمرها واكتهل[10]
كأنَّها لما خبا جمرُها مُطَّيبُ الوردِ إذا ما ذَبَل[11]

---

(١) القلائد: م٢/٨٢٨.
(٢) القلائد: جاءتك.
(٣) القلائد: م٢/٨٣٣.
(٤) القلائد: ولا تكتموني.
(٥) القلائد: صفائح تبير.
(٦) القلائد: كلما رفرف.
(٧) القلائد: في عشائنا.
(٨) القلائد: شرراً.
(٩) القلائد: م٢/٨٢٩.
(١٠) القلائد: بكانوننا.
(١١) القلائد: إذا ذبل.

وقوله في النارنج[1]: [البسيط]

يا رُبَّ نارنجةٍ يلهو النَّديمُ بها ... كأنَّها كرةٌ من أحمرِ الذهبِ
أوْ جذوةٌ حملتها كفُّ قابسها ... لكنَّها جذوةٌ معدومةُ اللّهبِ

ومنهم:

٩ ـ ابن هُريرة القيسي[2]

أحمد بن هُريرة القيسي الأعمى التُطيلي، أبو جعفر، نقسُ جلالةٍ ذكَّى شيمها، وأنف حميَّةٍ أعار المجد شممها، كان لو بارى الليل لما أسفر، أو نظر الصباح في المشرق لما فَرْ. أيُّ بحر زاخر، وأيُّ بدرٍ زاهر، وأيُّ سيلٍ منحدرٍ لا يرده زاجر، وأيُّ طيف سرورٍ في حُلُم المنام زائر، وأيُّ جوادٍ سابق على طريق المجرَّةِ سائر، وأيُّ نجم لا يعدلُه من الفرقدين سامر، مثله ما رأى حتى ولا القمر ولا ارتأى، تضحك كلمه عن لؤلؤ، ويرقش قلمه صدر يؤيؤ، كان يكتب بالمس، ويُكبثُ[3] إلا أنه حيث لا تصل الشمس.

قال فيه الفتح[4]:

وكان بالأندلس سرَّاً للإحسان، ومبرَّزاً[5] على زيادٍ وحسَّان،

إلَّا أنَّه اختصر[6] حين احتضر[7]، وأضحت نواظر الآداب بعده رَمِدَةً، وأضحت نفوسُها متوجعةً[8] كمدة، وأنشد من شعره قوله[9]: [الوافر] [٢٦٨]

---

(١) القلائد: م٢/٨٢٩.

(٢) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٤٥١/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٥٦٧/٢، ديوانه تحقيق إحسان (المقدمة)، ابن خاقان، القلائد: م٢، ٨٥٠ وكناه: بأبي العباس، ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٢٨.

(٣) كبث: أنضج. انظر: الجوهري، الصحاح: ٢٧٢/١، مادة كبث.

(٤) القلائد: ٨٥١.

(٥) القلائد: ومبرَّاً.

(٦) القلائد احتضر.

(٧) قارن ما أسقطه العمري.

(٨) القلائد: متفجعة.

(٩) الديوان: ٢٠٩، القلائد: م٢/٨٥٢.

سَــطــا أَسَــداً وأشــرقَ بــدرُ تــمٌّ ودارت بــالــمــنــون رحــىً زَبــونُ
وأحْــدَقــت الــرِّمــاحُ بــه فــأعــيــا عَــلــيَّ أهَــالــةٌ هــي أمْ عــريــنُ

وقوله[1]:

بـحـيـاة عـصـيـانـي عـلـيـك عـواذلـي إن كـانـت الـقـربـات عـنـدك تـنـفـع
هـل تـذكـريـن لـيـالـيـاً سـلـفـت لـنـا لا أنــت بــاخــلــةٌ ولا أنــا أقــنــع

وقوله[2]:

يـا حُـسـن حـمـامـنـا وبـهـجـتـه مـرأى مـن الـسـحـر كـلُّـهُ حـسـنُ
مـاءٌ ونـارٌ حـمـاهـمـا كـنـفٌ كـمـا لـقـلـبٍ فـيـه الـسـرور والـحـزنُ

وقوله[3]:

هـل اسـتـمـالـك جـسـمُ ابـن الأمـيـن وقـد سـالـت عـلـيـه مـن الـحـمّـام أنـداءُ
كـالـغـصـن يـأسـر حـرَّ الـنـار مـن كـثـبٍ فـظـلَّ يـقـطـرُ مـن أعـطـافـه الـمـاءُ

وقد ذكره ابن بسام ومما قال فيه[4]:

له أدبٌ بارع، ونظرٌ في غامضهِ واسع، ونظمٌ كالسحر الحلال، ونثرٌ كالماء الزلال. جاء في ذلك بالنادر المعجز، في الطويل منه والموجز، نظم أخبار الأمم في لَبَّة القريض، وأسمع فيه ما هو أطرف من نَغَم معبدٍ والغريض، وكان في الأندلس سراً للإحسان[5]، وفرداً في الزمان. إلا أنَّه اعتبط عندما به اغتبط، وقد أثبتُّ له مما[6] يشهد له بالإحسان والانطباع، ويثنى إليه أعنَّة الأسماع، ومما أنشد له قوله[7]: [البسيط]

(١) القلائد: م٢/٨٥٣.
(٢) القلائد: م٢/٨٥٣.
(٣) القلائد، م٢/٨٥٤.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٢٨ مع المقارنة.
(٥) الذخيرة: سرَّ الإحسان.
(٦) الذخيرة: ما.
(٧) الديوان: ٢٤٠، الخريدة: ٥٧٨/٢، الذخيرة: ٧٣٥/٢/٢، القلائد: م٢/٨٥٢.

هـو الـهـوى وقـديـمـاً كـنـتَ أحـذره ... الـسُّـقـمُ مـوردُهُ والـمـوتُ مـصـدرهُ[1]
[٢٦٩] يا لَوعةً قرّبت من نظرةٍ أحلى ... الآن أعـرفُ رُشـداً كـنـت أُنـكـرهُ[2]
جَـدٌّ مـن الـشّـوقِ كـان الـهـزلُ أوّلَـه ... أقـلُّ شـيء إذا فـكَّـرتَ أكـثـرهُ
ولـي حـبـيـبٌ دنـا لـولا تـمـنُّـعُـهُ ... وقـدْ أقـول تـأبَّـى لـولا تـذكّـره[3]

وقوله[4]:

الـنـومُ بـعـدكـمُ عـلـيَّ مُـحـرّمٌ ... مـن ذا يـنـامُ وقـلـبـهُ يـتـضـرَّمُ
أجـريـتـمُ دمـعـي دمـاً لـفـراقـكـم ... ظـلـمـاً قـلـتـم مـالـه لا يـكـتـمُ
فـبـحـقِّـكـم مـن ذا يـعـايـن أدمـعـي ... تـنـهـلُّ إلَّا قـال هـذا مُـغـرمُ
عـاقـبـتـمـونـي فـي الـهـوى بـذنـوبـكـم ... لـقـد استـطـلـتـم إذ قـدرتُـم فـارحـمـوا

وقوله في قينةٍ كان يهواها[5]:

ركبتُ هول الهوى عن غير تجربةٍ ... وراكبُ الهولِ محمولٌ على العطبِ
تـركـتـنـي يـا حـيـاتـي لـلـرّدى غَـرَضـاً ... تـفـديـكِ أمـي مـن صـرفِ الـرَّدى وأبـي
أشْـقـى بـهـا وهـي عـنّـي فـي بُـلـهـنـيـةٍ ... شـتَّـان والـلـه بـيـن الـجـدِّ والـلـعـبِ
أصـابـتِ الـقـلـبَ لـمـا أن رَمَـتْـهُ ولـو ... رَمَـتْـهُ أخـرى إذنْ لا شـكَّ لـم تُـصـبِ
فـقـالـت أشـكُ إلـيـهـا مـا لـقـيـتَ ولا ... تـرهـبْ فـلـن تـبـلـغ الآمـالَ بـالـرهـبِ
عـسـى هـواكَ سَـيُـعْـديـهـا فـيـعـطـفـهـا ... فقد يكونُ الهوى أعدى من الحربِ[6]

وقوله فيها[7]:

---

(١) القلائد: تحذره.
(٢) الديوان والذخيرة: يا لوعة من أحلى من مني آملي، الخريدة: يا لوعة أجلاً، القلائد: يا لوعة وجلا من نظرة أمل.
(٣) الديوان: ولي حبيب وإن شط المزار به، القلائد والذخيرة: نأى لولا.
(٤) الديوان: ٢٤٧، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٣٨.
(٥) الديوان: ٢٤٧، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٣٥ واسمها لذيذة.
(٦) الذخيرة: فينصبها ... وقد.
(٧) الديوان: ٢١٨، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٣٧.

بنتم فخلَّد عندي وشكُ بينكُمُ ... شوقاً نفى جَلَدي لا بل سَبى خَلَدي
هيهات يسلو فؤادي عنكمُ أبداً ... إنّي ووجدي بكم باقٍ على الأبد
أما كفى حزناً أن قد ظمئتُ وقد ... عانيتُ عَذْبَ الحيا يجري على البرد
[٢٧٠] غنَّت فلو أنَّ ميِّتاً كان يَسْمعها ... لعاد حيّاً كأنْ لم يَرْدَ يوم رَدِي
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنك قد ... أسكنت منه الأسى في السهل والجلد[١]
لم تنطقي قطُّ إلا ظللتُ أفرقُ من ... أن أُستطارَ فلم أبدئ ولم أعِدِ
ولا مددت يداً للعودِ عامدةً ... إلَّا وضعتُ عليه أن تذوبَ يدي[٢]

وقوله[٣]:

وقائلة ما بال حمصَ نَبَتْ به ... وربَّ سؤالٍ ليس عنه جوابُ[٤]
نَبَتْ بي فكنتُ العُرفَ في غير أهلِهِ ... يعودُ على مُوليه وهو تَبابُ
وتالله ما استوطنتُها قانعاً بها ... ولكنني سيفٌ حواهُ قِرابُ
وأروع لا ينأى على عزماتهِ ... مَرامٌ ولا يُخفى سَناهُ حجابُ
من المانعين الدهر حوزة جارهم ... وأشلاؤه بين الخطوب نهابُ
وهم جأجأوا بالمعتفين إلى ندىً ... هو القطر لا يأتي عليه حِسابُ[٥]
تخوِّفني ريبَ الزمانِ وقد حَدَتْ ... برحلي إلى ابن الحضرميِّ ركابُ
فتىً لم تسافر عنه آمالُ آملٍ ... وكان لها إلَّا إليه إيابُ
ولا عيبَ فيه لامرئٍ غير أنَّه ... تُعابُ له الدنيا ليس يُعابُ

وقوله[٦]:

---

(١) الذخيرة: ... أسكنت حيث الآسى في اللُّب والخلد.
(٢) الذخيرة: أن يذوب.
(٣) الديوان: ٨، الذخيرة: ق٢ م٧٣٩/٢.
(٤) حمص: المقصود هنا مدينة اشبيلية الأندلسية، كانت تسمى حمص لنزول الجيش الحمصي الفاتح للأندلس بها.
(٥) في الأصل: جأجؤ.
(٦) الديوان: ١٧٥، الذخيرة: ق٢ م٧٤٢/٢.

متى أشتفي من لوعتي إذ أُطيقها ... إذا كان يجنيها فؤادي على جسمي[1]
هنيئاً لسلمى فرطُ شوقي وإنني ... ذكرتُ اسمها يوم النوى ونسيت اسمي
فهل لي حظٌّ من مواتاةِ صاحبٍ ... له قدرةُ القاضي وموجدةُ الخصمِ[2]
كما اضطرب الخطيُّ في حَوْمةِ الوغى ... وَصُمُّ المنايا في أنابيبه الصُمِّ
[٢٧١] أبا جعفرٍ هذي المكارمُ والعلا ... دعاءٌ بحقٍّ وادِّعاءٌ على علم
وأنت أحقُّ الناس بالحزم فأته ... وصونُ العلا بالمال أشبهُ بالحزمِ
وأخفى بألباب الرجال من الهوى ... وأخفى وراء الحادثات من الوهمِ[3]

وقوله[4]: [البسيط]

يفديكُ كلُّ جبانٍ في ثياب جري ... نازعتَهُ الورد واستأثرت بالصَّدرِ
والناسُ بالنَّاس إلا أن تُجرِّبهمْ ... وللبصيرةِ حكمٌ ليس للبصرِ[5]
كالأيكِ مشتبهاتٍ في منابتها ... وإنَّما يقعُ التفضيلُ بالثمرِ
ولي رجالٌ غضاباً حين سُدْتهمُ ... لا ذنب للخيل إذ لا عُذرَ للحمرِ
واستشرفوا كلما أحرزت طائلةً ... وللسنان مجالٌ ليس للأبَرِ
مَلَلْتُ حمصَ وملَّتْني فلو نطقتْ ... كما نطقتُ تَلاحَيْنا على قَدَرِ
وسوَّلت لي نفسي أن أُفارقها ... والماءُ في المُزنِ أصفى منه في الغُدُرِ
كما ساهرٍ يستطيلُ الليل من دَنَفٍ ... لم يدرِ أنَّ الرَّدى آتٍ مع السحرِ
أما اشتَفَتْ منِّي الأيام في وطني ... حتى تضايق في ما عنَّ من وطري[6]
كم ليلةٍ بتُّ فيها ما اقترفت كرىً ... شتَّى المسالك بين النفع والضررِ[7]
حتى بدا ذَنَبُ السرحان لي ولها ... كأنَّما هو زندٌ بالصَّباح يَري[8]

---

(١) الذخيرة: أو أطيقها.
(٢) الذخيرة: وهل لي.
(٣) الذخيرة: وأهفى بالباب.
(٤) الديوان: ٤٧، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٤٥، وانظر: القلائد: م٢/٨٥١.
(٥) الذخيرة: والناس كالناس.
(٦) القلائد: ما عزَّ.
(٧) الذخيرة: كم ليلة جبت مثنى طولها بفتى.
(٨) الذخيرة: لي وله.

في فتيةٍ يُنهبون الليل عزَمهمُ ... فليس يطرقُهُمْ إلَّا على حَذرِ
لا يَرْحضون دُجاهَ كلَّما اعتكرتْ ... إلَّا بمالٍ ضياعٍ أو دمٍ هدرِ
باتت تخطَّى النجوم الزُّهر صاعدةً ... كأنَّما نقلتها عن بني زُهُرِ[1]
[٢٧٢] القائلين اقدمي والأرضُ قد رجفَتْ ... إلَّا ربىً من بقايا البيضِ والسمرِ
اثني بكلِّ سنانٍ غلّ في زردٍ ... كأنَّه جدولٌ أفضى إلى نهرِ[2]
والخيلُ شُعثُ النواصي فوقها بهمٌ ... حُمُس العزائم والأخلاقِ والمررِ
شابت من النقعِ وارتاب الشبابُ بها ... فَغُيرت من دم الأبطال بالشَّقَرِ
لو يعلمُ الأفقُ أنَّ الشهبَ مُنقَصةٌ ... لم تسرِ انجمه فيه ولم تَسرِ
وليس للمرءِ بعد الشيب مُقْتَبلٌ ... نهايةُ الرَّوضِ أن يعتمَّ بالزَّهرِ
أما ترى العِرمَس الوجناءَ كيف شكتْ ... طول السُّفار ولم تعجزْ ولم تَخُرِ
باتت توجّي ولو لانتْ مواطئها ... كأنَّها إنما تخطو على إبرِ[3]
تخشى الزمام فتثني خدَّها فِرقاً ... كأنَّها بين ثنيي حيَّةٍ ذكرِ[4]
من كلِّ ناجيةِ الأصالِ قد فصلَتْ ... من الرَّدى فحسبناها من البكرِ
أمللتها فاستبانت نصف دائرةٍ ... لو كُلِّفت شأوها الأفلاك لم تدرِ[5]
تجري فللماء ساقاً عائمٍ دَرِبٍ ... وللرِّياح جناحا طائرٍ حذرِ
قد قَسَّمتها يدُ التقدير بينهما ... على السَّواءِ فلم تسبحْ ولم تطرِ
أما إياد فنالتْ كُلَّ مكرمةٍ ... لولا مكانُ رسول الله من مضرِ
وأوقدوا ونجومُ الليل قد خَمدتْ ... في لُجٍّ طامٍ من الصِنَّبْر مُعتكرِ
ألقى المراسي والتَّجتْ غياطلُهُ ... على ذكاء فلم تطلعْ ولم تَغُرِ
وأترع الوهدَ من ازباد لُجّته ... بالبرسِ يثبتُ بين القوس والوترِ[6]

---

(١) الذخيرة: كأنما تفتليها.

(٢) الذخيرة: أثناء كل ... غدا.

(٣) الذخيرة: على الأبر.

(٤) الذخيرة: فتثني جيدها.

(٥) لم يرد البيت في الذخيرة.

(٦) الذخيرة: بالبرس يلبث.

والأرضُ ملساءُ لا أمْتٌ ولا عوجٌ كنقطةٍ من سراب القاعِ لم تَمُرِ[1]
أفادني حُبُّك الإبداعَ مُكتهلاً وربَّما نفع التعليمُ في الكبرِ
[٢٧٣] أبا العلاء وحسبي أن تُصبح لها إقرارَ حانٍ وإن شئت اعتذارَ بري
أنا الذي أجتني الحرمان من أدبي إنَّ النواظرَ قد تؤتى من النظرِ

ومنهم:

١٠ ـ ابن البنِّي[2]

أحمد بن البنِّي، أبو جعفر، سبحان مصوره المنشئ، ومُبرز أسطره كالأكحل المرشئ، يصيب ولا يخطئ، ويسرع ولا يبطئ، تخضع النجوم له، وهو يطأ على مفارقها، ويدوس في منازل الأقمار على نمارقها، لا يُرى جانبُ روضه إلَّا معشباً، ولا بديع فضله إلا مُعجبا.

قال الفتح فيه:

مطبوع النظم نبيله، واضحٌ نهجه في الإجادة وسيله، ويضرب في الطب بنصيب، وسهم يخطئ أكثر مما يصيب[3]، ما نطق متسرعاً، ولا ومق[4] متورعاً، لا يبالي كيف ذهب ولا بما تَمَذْهب[5].

ومن شعره قوله[6]: [الخفيف]

صَدَّني عن حلاوة التشييع باجتنابي مرارة التوديعِ
لم تقم أُنسُ ذا بوحشةِ هذا فرأيتُ الصواب تركَ الجميعِ

(١) الذخيرة: فالأرض.
(٢) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٣٥٧/٢، المقري، النفح: ٢١/٤، ابن خاقان، القلائد: م٨٦٨/٢، ابن سعيد، المطربات والمرقصات: ١٩٥.
(٣) من بداية كلام الفتح إلى هنا لم يرد في المطبوع من القلائد.
(٤) القلائد: رمق.
(٥) قارن مع القلائد.
(٦) القلائد: م٨٧٠/٢.

وقوله(1): [الكامل]

وكـأنّـمـا رشـأ الـحِـمـى لـمَّـا بـدا ... لـك من مُضلَّعةِ الحرير المُعْلَمِ(2)

غَـصـبَ الـفـحـامُ قـسيَّـهُ فـأعـارهـا ... مـن حسـنِ مِـعـطـفـهِ قِـوامُ الأسـهـمِ(3)

ومنهم:

١١ ـ ابن الصهيب(4)

أبو العلاء بن الصهيب، طالما اقتاد المعاني قسراً، وأخذ بنات الخواطر أسرى، وجارى شأو الريح فارتدت حسرى، ولاقى جيش الأدباء فرضَّ جناحهم كسرا.

قال الفتح فيه(5):

نبيلُ المنازع، جميلُ التنازع، كريمُ العهد ذو خلائقَ كالشَّهد، كثير الافتتان، جارٍ في ميدان الذكاءِ، شقي بأبي أميَّة أواناً، ولقي كُلٌّ من صاحبه هوانا، ثم ائتلفا بأخلاق، طلق العنان [٢٧٤] مسافره، ونفوسٍ بعضها بيعضِ كافره.

وأنشد له قوله(6): [المتقارب]

فـمـنْ كـان يـنـقـصُ إعـطـاؤه ... فـإنَّ الـمـعـونـةَ لا تـنـقـصُ(7)

يـكـرُّ سـريـعـاً بـلا وَنْـيـةٍ ... وكُـلُّ طـريـدٍ بـهـا يُـقـنَـصُ

---

(١) القلائد: م٢/٨٧٣.

(٢) القلائد: في مُضلعَّه.

(٣) القلائد: غضب الحمام.

(٤) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢/٢٥٧، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٥٨٣، ابن خاقان، القلائد: م٢/٨٧٦.

(٥) القلائد: م٢/٨٧٦ مع بعض الاختلاف.

(٦) القلائد: م٢/٨٧٩.

(٧) القلائد: إغلاله.

ومنهم:

١٢ ـ ابن العطار[١]

أبو القاسم ابن العطار، أديب غلَّ يد السُّحب، وغلَّف بعنبر الليل عقود الشُّهب، لو مرّ بالروض لرقَّ منبته، أو خطا إلى الخطى لما ذكر تنبته.

قال فيه الفتح[٢]:

أحدُ أدباء اشبيلية ونُحاته العامرين لأرجاء المعارف وساحاتها، لولا مواصلة راحاته، وتعطيل بكرهِ وروحاتهِ.

ومما أنشد له قوله[٣]: [الطويل]

عَبَرنا سماءَ النَّهرِ والجوُّ مُشرقٌ ... وليس له إلَّا الحَبابَ نُجومُ[٤]

وقد ألبستْهُ الأيكُ بُرد ظلالها ... وللشَّمس في تلك البروجِ رقومُ

وقوله[٥]: [الكامل]

لله بهجةُ مَنْزهٍ ضَربتْ بهِ ... فوقَ الغديرِ رواقها الأنشامُ[٦]

فمعَ الأصيلِ النهرُ دِرْعٌ سابغٌ ... ومَع الضُّحى يَلتاحُ فيه حُسامُ

وقوله[٧]: [الطويل]

مَررنا بشاطئ النَّهر بين حدائقٍ ... بها حَدَقُ الأزهارِ تستوقفُ الحَدَقْ

وقدْ نسجتْ كفُّ النَّسيمِ مُفاضةً ... عليهِ وما غير الحَبابِ لها حَلَقْ

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ١/٢٥٩، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٥٨٥، ابن خاقان، القلائد: م٢/٨٨٠.

(٢) القلائد: م٢/٨٨٠.

(٣) القلائد: م٢/٨٨١.

(٤) القلائد: وليس لنا.

(٥) القلائد: م٢/٨٨١.

(٦) القلائد: رواقه.

(٧) القلائد: م٢/٨٨٢.

وقوله[1]: [الكامل]

لـلـه حُـسـنَ حـديـقـةٍ بـسـطـتْ لـنـا ... مـنـه الـنُّـفـوسُ سـوالـفٌ ومـعـاطـفُ[2]
تـخـتـالُ فـي حُـلـلِ الـربـيـعِ وحَـلْـيـهِ ... ومــن الــرَّبـيــعِ قــلائــدٌ ومــطــارفُ

[٢٧٥] وقوله[3]: [الخفيف]

هَـبَّـتِ الـرِّيـحُ بـالـعـشـيِّ فـحـاكـتْ ... زَرَداً لـلـغـديـرِ نـاهـيـكَ جُـنَّـهْ
وانـجـلـى الـبـدرُ بـعـد هـذا فـصـاغـتْ ... كَـفُّـهُ لـلـقـتـالِ مـنـه أسِـنَّـهْ

وقوله[4]: [الكامل]

لا كـالـعـشـيَّـةِ فـي رُوَاءِ جـمـالـهـا ... وبُـلـوغِ نـفـسـي مُـنـتـهـى آمـالـهـا
ما شـئـتَ شـمـسُ الأرضِ مشرقةُ السَّنا ... والـشَّـمـسُ قـد شـدَّتْ مـطـيَّ رحـالـهـا
فـي حـيـثُ تـنـسـكـب الـمـيـاهُ أراقـمـا ... وتُـعـيـرُك الأفـيـاء بـرْدِ ظـلالـهـا[5]

ومنهم:

١٣ ـ ابن عيشون[6]

أبو عامر بن عيشون، تقلَّبت به صروف الأيام، وجرى مجرى الهدف والسهام، أسخطه الدهر ورضى، وتطور مرّةً سماءً ومرةً أرضا. فلقي من الزمان يوميه، وذاق طعميه، وانقاد معه تارةً ينصرف عنه وتارة إليه وآونة عليه.

قال الفتح فيه[7]:

---

(١) القلائد: م٢/٨٨٢.
(٢) القلائد: لله ربٌّ.
(٣) القلائد: م٢/٨٨٢.
(٤) القلائد: م٢/٨٨٤.
(٥) القلائد: حيث تنساب.
(٦) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٥٩٣/٢، المقري، النفح: ٤٩٤/٢، ابن خاقان، القلائد: م٢/ ٨٨٩، وفيه الأديب الحاج أبو عامر بن عيشون.
(٧) القلائد: م٢/٨٨٩.

رجلٌ حلَّ المشّيدات والمواقع[1]، وحكى النسرين: الطائرَ والواقع، واستدرَّ خِلْفي البؤسِ والنَّعيم، وقعد مقعَد البائسِ والزّعيم، يوماً في ناووس، وآخر في مجلس مأنوس.

وأنشد له قوله[2]: [الطويل]

سَلِ الكأسَ عني هل أُدير فلم أصُغ ... مديحَكَ ألحاناً يضوعُ بها كاسي[3]

وهل نافَحَ الآسُ النَّدامى فلم أدعْ ... ثناءك أذكى من مُنافحة الآسِ

وقوله[4]: [البسيط]

قُلْ للملوكِ وإنْ كانتْ لهم هممٌ ... تأوي إليها الأماني غير مُتَّئدِ

إذا وصلتُ بشاهٍ شاه لي سبباً ... فلن أبالي بمن مِنْهمْ نفضتُ يدي[5]

من واجَهَ الشَّمسَ لم يعدلْ بها قمراً ... يعشو إلى ضوئه لو كان ذا رَمدِ

وقوله[6]: [الطويل]

هَلمَّ إلى وردٍ من الأُنسِ سائغٍ ... تُظلِّلُهُ الآدابُ هُدْلاً موائدا

يرفُّ جَناها حكمةً وبَلاغَةً ... فتضم مقطوعاتها والقصائدا[7]

تُثيرُ على الأيَّامِ حَرْباً لَعلَّها ... تعيد لنا يوماً إلى الأُنس قائدا[8]

تُتوَّجُ بالكاساتِ منكَ أناملاً ... يَظلُّ لها تاجُ ابن ساسانَ ساجدا

---

(١) القلائد: والبلاقع.

(٢) القلائد: م٢/٨٩٢.

(٣) القلائد: هل أديرت، يسوغ بها.

(٤) القلائد: م٢/٨٩١.

(٥) القلائد: بشاهنشاه.

(٦) القلائد: م٢/٨٩٠.

(٧) القلائد: فتنظم.

(٨) القلائد: تقيد لنا يوماً إلى البين.

ومنهم:

١٤ ـ ابن الفخَّار[(١)]

أبو عبدالله، رجل عصابةٍ لا يتعتع، ورجل سحابة لا تنقشع، رأس صناعة ما وَشَّي مثلها منتحبُ رداءٍ، ولا عشى زمرد النبات لؤلؤ الأنداء، لا يخاض له غمار، ولا يخانُ ذمار، ولا يخاف إلا منه أسدٌ ذو أطمار.

قال فيه الفتح[(٢)]:

صاحبُ لسنٍ، وراكب هواه من قبيح وحسن[(٣)]، حميُّ الأنف لا يُضام، قويُّ الشكيمةِ لا يُرام، وقف للمطالبةِ والأسنَّةُ قد أشْرعت، وثبتَ والأطوادُ قد تَضَعضعتْ، وقد أثبت له ما يستطاب، وتملأ محاسنه الوطاب.

ومما أنشد له[(٤)]: [الطويل]

وإنِّـي لـنـهَّـاضُ بـكـلِّ عـظـيـمـةٍ ... يـضـيـقُ عـلـيـهـا ذرعُ كُـلِّ جَـبـانِ
نـهـضـتُ بـهـا وحـدي وغـيـري مُـدّعٍ ... يـشـاركُ فـيـهـا شـركـةً بـعـنـانِ[(٥)]
أيُـنـسـى مـقـامـي إذْ أُكـافـحُ لـلـعـدى ... وقـد طـار قـلـبُ الـزَّمـر بـالـخـفـقـانِ[(٦)]
ويـذكـرُ يـومـاً قـمـتُ فـيـه بـخُـطـبـةٍ ... كـآثـارِ عـدٍّ الـمـاءِ بـالـسَّـيـلانِ

[٢٧٧] وقوله[(٧)]: [الطويل]

---

(١) انظر ترجمته: المقري، النفح: ٣٩٢/٣، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢٨٧/٢، ابن خاقان، القلائد: م٢/ ٩٠٨.

(٢) القلائد: م٩٠٨/٢ مع المقارنة.

(٣) القلائد: أو حسن.

(٤) القلائد: م٩٠٩/٢.

(٥) القلائد: يشارك أهل القول شرك عنان.

(٦) القلائد: أكافح دونه ... قلب الدهر.

(٧) القلائد: م٩١٠/٢.

إلى كم يجدُّ المرءُ والدهر يَلعبُ ... ويبعُدُ عنه الأمنُ والخوفُ يقربُ[1]
وهل نافعي أنْ كنتُ سيفاً مُصمَّماً ... إذا لم يكن تلقاء حدِّي مضربُ[2]

ومنهم:

١٥ ـ ابن المرابط[3]

أبو بكر بن المرابط، لجة علوم يهيم نونها، وحجة عموم بها كشف عن الدنيا مسبلَ قناعها، وأطلَّ عليه مُقبل خداعها، فرأى ما راب، فقطع علائق الأراب، ورضي ببيتٍ يُكنُّه سقفه، وقليلٍ من العيش يكفُّه، فما اضطرب له مجال، ولا اضطر إلى مُقالبة رجال، فعاش بغير حاسد، ومات فنفق ما لم يُعرف من جوهره الكاسد.

ذكره الفتح فقال[4]:

مديدُ الباع، شديدُ الانطباع، سلك مسلك المرفقين[5]، وهجر طريقِ المتشدِّقين، وكانت له همةٌ لم تُعلِّق يَدهُ بعمل، ولم تُطْلق له عنان أملٍ، فأُغرى بالخمول، وبرئ من منال[6] المأمول، حتى حواهُ ملحدهُ، وطواهُ دهرهُ وهو أوحدُهُ.

وأنشد له[7]: [مجزوء الرمل]

سِــرْ إنْ اســتــطــعــتَ فــإنِّــي ... لــســتُ أســطــيــعُ مُــسَــارا
ذلــكَ الــبــدرُ الــذي قَــا ... بــلْــتَ لا يَــلْــقــى الــسِّــرارا

---

(١) القلائد: يجد الحر.
(٢) القلائد: يلقى لحدي.
(٣) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٦٠١/٢، ابن خاقان، القلائد: م٩١٤/٢ وفيه: الأديب أبو عامر بن المرابط.
(٤) القلائد: م٩١٤/٢ مع المقارنة.
(٥) القلائد: الموفقِّين.
(٦) القلائد: مثال.
(٧) القلائد: م٩١٤/٢.

قـــلَّـــدوا مَـــبْـــسَـــمَـــهُ الـــدُّرّ [ر] وَجـــفْـــنـــيـــهِ الـــشُّـــفـــارا[1]
كُـــلَّـــمـــا أومـــأَ بـــالـــلَّـــحـــ ـــظِ يـــمـــيـــنـــاً ويـــســـارا
لا تُـــرى عـــيـــنـــاكَ إلَّا الـــقـــومَ قَـــتْـــلـــى وأســـارى

وقوله[2]: [مجزوء الرمل]

راقـــنـــا الـــدَّهـــرُ صـــفـــاءً بـــعـــدَ تـــكـــديـــرِ صـــفـــائـــه[3]
[٢٧٨] كـان مـثـلَ الـسـيـفِ مُـدْمـىً فـــجـــلـــوهُ عَـــنْ دمـــائـــهِ
أو كـــمـــثـــلِ الـــورد غَـــضًّـــاً فـــهـــو الـــيـــومَ كـــمـــائـــهِ

[٢٧٩] ومنهم:

١٦ ـ ابن ماء السماء[4]

أبو بكر عبادة بن ماءِ السماء. وما أعرف هل هو إلى ذلك الأب القديم، ومن ذلك النهج القويم، أم هو شيء سُمي به أبوه، وماله نسب في القدماء، ولا بل بقطرة من ابن ماء السماء، وله أدبٌ أكثره لم يلم بأحياء العرب، ولا تمَّ له في تلك المقاصد أرب.

قال فيه ابن بسام[5]:

وكانت صنعته التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها غير مرقومةِ البُرود، ولا منظومة العقود، فأقام عُبادة هذا[6] مُنادها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنَّها لم تسمع بالأندلس إلَّا منه، ولا أخذت إلَّا عنه، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته، وذهب بكثيرٍ من حسناته.

---

(١) الإضافة من القلائد.
(٢) القلائد: م٢/٩١٧.
(٣) القلائد: راقنا النهر.
(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م١/٤٦٨، المقري، النفح: ٤/٢٥، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢/١٤٩، ابن خاقان، قلائد العقيان: م٢/٧٦٥.
(٥) الذخيرة: ق١ م١/٤٦٨.
(٦) في الأصل: هذا عباده.

قلت: ومن محاسنه قوله في البرد المشهور[1]:

أرسل ملءَ الأكُفِّ من بَرَدٍ ... جلامداً تنهمي على البشر
كاد يُذيبُ القلوبَ منظرها ... ولو أعيرتْ قساوةَ الحجر

وقوله[2]:

أجلُ المدامةَ فهي غيرُ عروسٍ ... تجول كروب النَّفس بالتَّنفيسِ[3]
واستغنمِ اللذاتِ في عهد الصِّبا ... وأوانهِ لا عطرٌ بعد عَروسِ

وقوله[4]:

اشربْ فعهدُ الشباب مُغتنمُ ... وفرصةٌ من فواتها نَدَمُ
كأنَّها صارمُ الأمير وقد ... خضّب خدّيه من عداه دَمُ
[٢٨٠] واسقِ بتذكاره الكؤوس فما ... يَلَذُّ نُقلاً سوى ثناهُ فمُ[5]

وقوله[6]:

يقول لي الساقي اغتبق لي بها ... وخُذْ لُجيناً وأعذْ عسجدا[7]
أغرِق فيها الهمُّ لكن طفا ... حَبابُها من فوقها مُزبدا
كأنَّما شيَّبها شارب ... أمسكها في كفِّه سرمدا

وقوله[8]:

---

(١) الذخيرة: ق١ م١/٤٧٠.
(٢) الذخيرة: ق١ م١/٤٧٢.
(٣) الذخيرة: فهي خير.
(٤) الذخيرة: ق١ م١/٤٧٢.
(٥) الذخيرة: واحدُ بتذكاره.
(٦) الذخيرة: ق١ م١/٤٧٣.
(٧) الذخيرة: يقول للساقي أغثني بها.
(٨) الذخيرة: ق١ م١/٤٧٥.

لنا صاحب حاز المعالي بأسرها ... فأصبح في أخلاقه واحدَ الخلقِ[1]

فلا يغتررَ منه الجهول ببشرهِ ... فمعظم هولِ الرَّعدِ في أثر البرقِ

وقوله في علي بن حمود[2]:

أطاعتك القلوبُ ولا عَصيٌّ ... وحزبُ الله حزبُك يا عليُّ

أبى لك أن تُهاض عُلاك ... جدٌ هشاميٌ وجدٌ هاشمي[3]

وما سُمِّيتَ باسم أبيك ... ليحيا بالسَّميٌ لهُ سميٌّ[4]

إلَّا فإن قال الفخورُ أبي فلانٌ ... فحسبُكَ أن تقول أبي النبيُّ

ومنهم:

١٧ ـ الطُّبْني[5]

عبدالملك بن زيادة الله الطبني أبو مروان. شاعر لا يشق معه في مضمار، وباخلٌ لا يفتح كفُّه ولو ثقبت بمسمار. هذا عن ثروة ما جفَّ نداها، ولا كفَّ مداها، كانت ترجح على الأوزان، وتطغى على الخُزَّان، وقد شرف له سلف، وسبق له قديم اتبع بمؤتنف.

قال فيه ابن بسام[6]:

أحدَ حماة سَرْحِ الكلام، وحملةِ ألويةِ الأقلام، من أهل بيتٍ اشتهروا بالشِّعر، اشتهار المنازل بالبدر [٢٨١] أراهم طرأوا[7] على قرطبة، وأناخوا في ظلها، ولحقوا بسروات أهلها، وأبو مضر أبوه زيادة الله بن علي، هو أول من بنى بيت شرفهم، ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم.

---

(١) الذخيرة: لنا حاجب.

(٢) الذخيرة: ق١ م١/٤٧٨.

(٣) الذخيرة: عهد هشامي وجدّ ...

(٤) الذخيرة: له السمي.

(٥) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٩٢/١، المقري، النفح: ٤٩٦، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م١/٥٣٥.

(٦) الذخيرة: ق١ م١/٥٣٥ ـ ٥٣٦.

(٧) في الأصل: طروا.

وأنشد له يمدح أبا عامر وقد عدا على الخذيلمي[1] في مجلسه وضربه[2]:

شكرتُ للعامري ما صنعا ... ولم أقُلْ للخذيلمي لعَا
ليثُ عرينٍ غدا لعزَّتهِ ... مُفترساً في وجارهِ ضَبُعا
لا برحت كَفُّهُ مُمكّنةً ... من الأماني فنعمَ ما صنعا
إن طالَ منه سجودُه فلقد ... طال بغير السّجود ما ركعا

ومنهم:

١٨ - ابن أخيه علي بن عبدالعزيز بن زيادة الله[3]

لم يفرده ابن بسام بذكر، ولا جاء به إلّا في ذيل عمه مروراً على طريق الفكر، وأظنُّه استغنى عن تفصيل ذكره بقوله الجُملي عند ذكره عمه من أهل بيت اشتهروا بالشعر، ولئن كان فقد التفى بدرةٍ غالية السعر، ورأيته حيث الظنُّ أجاده، وفوقه زيادة، ومما أنشد له ابن بسام قوله[4]:

كم بالهوادجِ بين البين من رشأٍ ... يهفو عليه وشاحٌ حائلٌ قَلِقُ
وكم برامةَ من ريمٍ يفارقنا ... لَهفانَ يثنيهِ عن توديعنا الفَرَقُ
ونرجسٍ كفرند السيف ساومني ... مُعلَّلاً بنسيمٍ عرفُهُ عبقُ[5]
نادمتُهُ وشبابُ الليل مقتبلٌ ... والنجمُ كفٌّ يُحيِّينا به الأفقُ[6]
في فتيةٍ كنجومِ السعدِ أوجههُمْ ... في أوجهِ الحادثاتِ الجوفِ تأتلقُ
تلهو برقراقةٍ صفراء صافيةٍ ... يكادُ ينجابُ من أضوائها الغسقُ
[٢٨٢] يسعى بها أهيفٌ كالغصنِ نعمَّةُ ... ماءُ الشَّباب عليه النورُ والغدقُ[7]

---

(١) في الذخيرة: أبو علي أحمد بن محمد بن أبي عامر الحذلمي.
(٢) الذخيرة: ق١ م٥٤٣/١.
(٣) انظر الذخيرة: ق١ م٥٤٧/١.
(٤) الذخيرة: ق١ م٥٤٧/١.
(٥) الذخيرة: السيف ساهرني.
(٦) الذخيرة: بها الأفق.
(٧) الذخيرة: بها مرهف، ماء النعيم.

ومنهم:

١٩ ـ ابن مسعود[١]

محمد بن مسعود أبو عبدالله. خفيف الروح، طريف الأدب، بديع النوادر، سريع البوادر، لو مرّ ثكلى أم واحدٍ فقدته لأضحكها، أو وطئ قُبَّة طودٍ لأنهكها، لفكرةٍ أوتيها، وقدرة تفسر الكلام فيواتيها.

قال فيه ابن بسام[٢]:

وأراه فيما انتحاه، تقيَّل منهاجَ سميِّه وكنيِّه محمد بن حجاج بالعراق، فضاقت ساحته، وقصُرت راحته، وأعياه الصَّريح فمذق، ولم يحسن الصهيل فنهق.

ومما أورد له قوله[٣]:

قَيَّضَ اللـه لي من أبناء أبي الرِّ ... يش غليظ الفؤادِ ذي كبرياء
قال هاتِ النطاق وأخلص وإلَّا ... لم تُقلَّب عيناك نحو السماءِ[٤]
وأراد الجهولَ ذبحي ولكن ... حاط ذو العرش صبيتي ونسائي[٥]
فعلوني بالهنداوني حتى اسْـ ... ـودّ ظهري وسال مني دمائي[٦]
وخرجنا كما دخلنا بلا شيء ... ولكن زدتُ صفعَ قفائي[٧]

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ١/١٣٤، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م١/٥٤٩.
(٢) الذخيرة: ق١ م١/٥٤٩.
(٣) الذخيرة: ق١ م١/٥٥٩.
(٤) الذخيرة: هات ذاك النطاق ... عينيك.
(٥) الذخيرة: وأراد العدو.
(٦) الذخيرة: فغلاني.
(٧) الذخيرة: ربحت صفع.

ومنهم:

٢٠ ـ ابن الحداد[1]

محمد بن أحمد بن الحداد أبو عبدالله. نجلُ حدَّادٍ لا ينفخ في كوره التفخيم، ولا يُرمى جمر فكره المتوقد بالتفحيم، نضرٍ لا يصعب عليه الحديد، ولا يكثر لديه العديد، يتطاير شواظ ناره شُهباً، ذوات ذوائب وسُحباً، عليها لوائب طبع ذهنه مهنداً، وطلع نجمه فرقداً. وأوتي آية داودية، فأصبح يقدر في الرد، ويسلُّ نصالاً لا يأتى عليها البرد. وأضحت بضاعته تسام بالغلاء، وصناعته لا تحادث بالجلاء، وأمست سيوف الهندي لا تسام إلَّا من فيه، أو من سيوف أجفان هندٍ كما تدعيه واتصل بمن أقال جدّه العاثر، وأقام بحده علماً للمآثر بأمر من ملوك بلاده المتحلين بطارف الفخر وقلاده. وكان مدرّة أقرانه، وندرة قرانه، أنسى البرامكة الأول، وأنشأ ما لم يكن لتلك الدول، بصنائع لو خلد خالد لزاد، وما كان بها يظفر ولو حتى يحيى، لأقرَّ أن صنيعها لا يكفر أو إبناه، لكان الفضل فضله، ولم يذكر لدى البحر جعفر فحل معه يوماً بدار بناها، ضربت على العيوق قبابها، ونتجت النجوم حلائُبها. يذرُ عليها الجوّ جيب غمامه، ويريها البدر حسن تمامه، حلّ منه بقصر السعود، وتقهقه في جوانبه الرعود، وتطول منه شرفات كنساءٍ في ملاحفها قعود.

فقال يصف علو معناه، وعلو قدر مبناه شعراً منه:

قصر تبلّنت القصور قصورها ... عنه وفضل الأفضلين يبين

في رأس شقٍ لا تقام سماؤه ... من دونه دمع الغمام هتون

هي جنة الدنيا بنوا نزلها ... ملك تملّكه التقى والدين

فكأنّما الرحمن عجّلها له ... ليرى بما قد كان ما سيكون

قال ابن بسام فيه[2]:

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ١٤٣/٢، القفطي، المحمدون من الشعراء: ٩٩٠، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢٠٤/٢، الصفدي، الوافي: ٨٦/٢، ابن شاكر الكتبي، الفوات: ٢٨٣/٣، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٦٩١/٢.

(٢) الذخيرة: ق١ م٦٩١/٢ مع المقارنة.

وكان شمس ظهيرة، وبحرُ خيرٍ وسيره، وضح في طريق المعارف [٢٨٣] كالصُبح المتهلل، وضرب فيها بقدح ابن مُقبلْ، ترى العلم ينمُّ على أشعاره، ويبين[١] في منازعه وآثاره، وكان قد مُني في صباه بصبية نصرانية، ذهبت بلبه كلَّ مذهب، وركب إليها أصعب مركب، وكان يسميها «نُويرة» كما فعله الشعراء الظرفاء في الكناية عمّن أحبوه، وتعيير اسم من علقوه.

وقد كتبتُ من بعض ما قال ما يُقَرُّ بتفضيله، ويشهد له بجملة الإحسان وتفضيله، ومما أنشد له فيها[٢]:

رويدك أيها الدَّمع الهتونُ ... فدون عيان من أهوى عيونَ
إلى كم استرما ألاقي ... وما أُخفيه من شوقي يَبينُ[٣]
نويرة بي نويرةُ لا سواها ... ولا شكٌّ وقد وضَحَ اليقينُ

وقوله فيها[٤]:

وارت ضلوعي من نويرة كاسمها ... ناراً تُضِلُّ وكلُّ نارٍ تُرشدُ[٥]
والماءُ أنتِ وما يَصحُّ لقابضٍ ... والنارُ أنت وفي الحشا تَتوقدُ

وقوله فيها[٦]:

وبين المسيحيَّات لي بيت بيعةٍ ... بعيدٌ على الصَّبِ الحنيفي أن يدنو[٧]
مُثلثَّةٌ قد وحّد الله حسنها ... فثنِّي في قلبي لها الوجدُ والحزنُ
وطيَّ الخمار الجون حُسنٌ كأنَّما ... تجمَّع فيه البدرُ والليلُ والدَّجنُ

---

(١) الذخيرة: ويتبين.
(٢) الذخيرة: ق١ م٢/٧٠٨.
(٣) الذخيرة: إلى كم استسر بما.
(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٧٠٤.
(٥) الذخيرة: وأرت جفوني.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٠٨.
(٧) الذخيرة: لي سامرية.

وفي معقِد الزُّنّارِ عقدُ صبابتي فمن تحته دعصٌ ومن فوقه غصنُ
وفي ذلك الوادي رشاً أضلعي له كناسٌ وقمريٌّ فؤادي له وكنُ

وقوله في مذهب المديح[1]:

[٢٨٤] لعلّك بالوادي المقدَّس شاطيءُ فكالعنبر الهنديٌّ ما أنا واطئُ
ولي في السُّرى من نارهم ومنارهم حُداةٌ هداةٌ والنجومُ طوافئُ
رويداً فذا وادي لُبَيني وإنَّهُ لوردُ لباناتي وإنّي لظامئُ
وكيف أُرقِّي كلم طرفكِ في الحشا وليس لنمريق المهنَّد راقئُ[2]
كأنَّ زماني إذ رآني جُذَيلهُ قلاني فلي منه عدوٌّ ممالئُ
فلازمتُ سمت الصمت لا عن فدامةٍ ولي منطقٌ للسَّمع والقلبِ مالئُ[3]
ولولا عليّ الملك ابن معنِ محمَّدٍ لما بَرَحتْ أصدافُهنَّ اللآلئُ[4]
لآلىءُ إلَّا أنَّ فكري غائصٌ وعلمي دأماءٌ ونُطقي شاطئُ
تجاوز حدَّ الوهمِ واللحظِ والمنى وأعشى الحجى لآلأوه المتلألئُ
فتتبعه الأبصار وهي حواسرٌ وتنقلبُ الأبصار وهي خواسئُ[5]

وقوله[6]:

فأنت ضمير ليس يُعرف كنهه فلم صيروا في المعرفات الضمائرا[7]
وليس على حُكم الزمان تحكُّمٌ على حسب الأزمان يُجري المصادرا[8]

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٧٠٩.
(٢) الذخيرة: فكيف أرقّي.
(٣) الذخيرة: ولازمت، فلي منطق.
(٤) الذخيرة: ولولا علا.
(٥) الذخيرة: فتنعكس، وتنقلب الأفكار.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧١٧.
(٧) لم يرد البيت في الذخائر.
(٨) الذخيرة: على حسب الأفعال.

وما زلت عن ماهية الحسن صورة ... فلم ألق معنىً غير حُسنك ساحرا[1]

ومعرفةُ الأيام تُجري تجارباً ... ومن فهم الأشطار فكَّ الدوائرا[2]

ولولا أبو يحيى ابنُ معنٍ محمدٌ ... لما كانت الأيامُ عندي ذخائرا

يُحجُّ ذراهُ الدَّهرَ عافٍ وخائفٌ ... جموعاً كما وافى الحجيجُ المشاعرا

فزر مكةً مهما اقترفت مآثماً ... وَزُرْ أفقَهُ مهما شكوت مفاقرا

تهيمُ بمرآهُ العصورُ جلالةً ... وتحسُدُ أولاه عليه الأواخرا[3]

وقوله[4]:

مُتلألئ يثني العيونَ نواكساً ... كالشَّمسِ تعكسُ لحظَ من يتأمَّلُ

لا يتَّقي رَمَدَ النَّوائبِ ناظرٌ ... يجلى بمرود صفحتيه ويكحلُ[5]

وكأنَّ راحته الذِّراعُ أفاضَةً ... وكأنَّما الأنواء منها أنملُ[6]

[٢٨٥] تتصوَّرُ الأكوانُ في حوبائه ... فكأنَّ خاطرُهُ الصقيلَ سجنجلُ

وإذا رأتك الشُّهبُ مزمعَ غزوةٍ ... ودّتْ جميعاً أنَّها لك جَحفلُ

ولو الأمورُ جَرتْ على مقدارها ... حملَ السلاحَ لك السِّماك الأعزلُ

وقوله[7]:

وفي مَكنس الروق المنمنمْ أحورٌ ... كأنَّ مصاليتَ الظبا منه أجفانُ[8]

وبين دراريِّ القلائد نيِّرٌ ... له الحسنُ تمٌّ والتَّلثُّم نقصانُ

---

(١) لم يرد البيت في الذخيرة.

(٢) الذخيرة: الأيام تجدي.

(٣) الذخيرة: وتحسد أولاها.

(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٧٢٣.

(٥) الذخيرة: ... يجلى بنيِّر صفحتيك ويكحل.

(٦) الذخيرة: منها الأنمل.

(٧) الذخيرة: ق١ م٢/٧٢٣.

(٨) الذخيرة: مكنس الرقم.

وقوله[1]:

أسالتْ غداةَ البينِ لؤلؤ أجفانِ ... وأجرتْ عقيق الدَّمعِ في صحن عقيانِ
وألقتْ حُلاها من أسىً فكأنَّما ... أطارت شوادي الورق عن فنن البانِ
وليلٍ بهيمٍ سرتُهُ ونجومُهُ ... أزاهيرُ روضٍ أو أساهيرُ أجفانِ[2]
كأنَّ الثُّريا فيه كأسُ مُدامةٍ ... وقد مالت الجوزاءُ ميلة نشوانِ

وقوله[3]:

وقفوا غداة النَّفرِ ثم تصفَّحوا ... فرأوا أُسارى الدَّمع كيف تسرَّحُ
وكأنَّما الإظلامُ أيِّمٌ أرقطٌ ... وكأنَّما الإصباحُ ذئبٌ أضبحُ[4]
صدعَ الزمانُ جميع شملي جائراً ... إنَّ الزمانَ مُملَّكٌ لا يُسجحُ[5]

وقوله[6]، وبلغ من آحادِه المنتهى، ووصل إلى ما اشتهى:

واصلْ أخاكَ وإن أتاك بمنكرٍ ... فخلوصُ شيءٍ قلَّما يتمكنُ
ولكلِّ حُسنٍ آفةٌ موجودةٌ ... إن السِّراج على سناهُ يدخِّنُ[7]

وقوله:

وما الناس إلَّا بأفعالهم ... فدع ما تزخرفه الألسنُ
سجيَّة أصل الفتى فِعله ... بما عنده يقذفُ المعدنُ

وقوله:

والناسُ أغربةٌ فإن فتشتهم ... فأخو المعافاةِ الغراب الأبيضُ

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٧٢٥.
(٢) الذخيرة: أزاهر ... سواهر.
(٣) الذخيرة: ق١ م٢/٧٢٥.
(٤) الذخيرة: فكأنما الأظلام. والأضبح: ما كان على لون الرماد.
(٥) الذخيرة: شملي منحياً.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٢٩.
(٧) الذخيرة: ولكل شيء.

وقوله:

وساجعة الأطيار تشدو كأنَّها قيان لها الأوراق حجبٌ وأستارُ

وقوله:

كأنَّ قلبي سليمان وهدهده لحظى وبلقيس لبنى والهوى البناء

[٢٨٦] ومما أورد من نثره قوله(١):

لو أنصفك الزمن(٢) الذي أنت غُرَّة أيامه، ودُرَّة نظامه، لكنت أحقَّ بالسرطان من الزِّبرقان، وأولى بالميزان من كيوان، وأحقَّ بعلي(٣) المراتب

من سائر الكواكب. ولو ميَّز الزمان ضياءَ جوهرك، وصفاءَ عنصرك، لما عداك عن العُروج إلى فلك البروج. وأرجو أن(٤) زمانه، وقد آن آونه، فقد ظهرت

له دلائل، وشهدت به(٥) متحايل، فكأنِّي بك من ذات الصَّدع إلى ذات الرَّجع.

ومنه قوله(٦):

يا سيِّدي الذي هو قسيمُ ذاتي إن تحقَّقت الذَّواتُ والنحائز، وشقيق نفسي إن تبيَّنت الخلائق والغرائز. ومن أبْقَاه الله بَقاء الفرقدين في تدبير السعدين، بيننا ـ أعزك الله ـ من التحام المِقةِ، واستحكام الثِّقةِ، ما أربأ به عن تضمينه(٧) الصحائف، ولو قُدَّت من السَّوالف. وأنزِّههُ عن اشتمال المداد، ولو كان من دم الفؤاد. فصفاؤنا شمسيُّ النقاء، فلكي(٨) البقاء، ولا تضمَّن الطروس إلَّا ما تلحقه(٩) الدروس، وكأني(١٠) هذا إثر

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٧٠٣. وهي موجة لأبي بكر الخولاني المنجم.
(٢) الذخيرة: الزمان.
(٣) الذخيرة: وأحجى بعلوّ.
(٤) الذخيرة: أن هذا.
(٥) الذخيرة: له.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٠٤.
(٧) الذخيرة: تضمين.
(٨) الذخيرة: ووفاؤنا فلكي.
(٩) الذخيرة: ما لحقه.
(١٠) الذخيرة: وكتابي.

الحاقك[1] بكتابين[2] كالنيِّرين، فإن كان قمرٌ ويوح، لإنارة اللوح، فهذان لجلاء الأذهان.

[٢٨٧] ومنهم:

٢١ ـ المنفتل[3]

عبدالعزيز بن خيرة القرطبي. أبو أحمد المعروف بالمنفتل. كان في زمانه بدرةً، وكم في جمانه ما يساوي بدره، سوى بديع بيانه لم يقرأ. وبغير عضب لسانه لم يُدرأ، يجلو نظره مرآة الفكر المصدئ، ويُعدِّي غاية المعيد والمبدي. أقام على الغواية برهةً ثم أقلع، ودام إلى الغامد ثم تاب، وبرز سافر اللثام، وتاب توبةً تساقطت بها الآثام.

ومما قال ابن بسام فيه[4]:

والمنفتل ممن نثر الدُّرَّ المفصَّل، وطبَّق فما نظم المفصل. ولم يحضرني له إلا القليل، وقد يُعربُ عن العتق الصهيل. ويكفي من البياض الغُرَّه والتَّحجيل.

ومما أنشد له قوله[5]:

بتنا كأنَّ حداد الليل شَمْلَتنا ... حتى بدا الليلُ في ثوبٍ سحوليٍّ[6]

كأنَّ ليلتنا والصُّبحُ يتبعُها ... زنجيَّةٌ هربتْ قدَّام روميّ

[٢٨٨] وقوله[7]:

ولما تجلَّى الليلُ والبرقُ لامعٌ ... كما سلَّ زنجيٌّ حُساماً من التِّبرِ

وبتنا سميرَ النَّجمِ وهو كأنَّه ... على معصمِ الدنيا جبائرُ من درٍّ[8]

---

(١) الذخيرة: إتحافك.

(٢) في الأصل: بكتبين.

(٣) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٩٩/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٦٥/٢، المقري، النفح: ٣/ ٢٦٤ وما بعدها، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٤.

(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٤.

(٥) الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٦.

(٦) الذخيرة: كأن مداد، بدا الصبح.

(٧) الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٦.

(٨) الذخيرة: وبتُّ.

وقوله يصف الشمس وقد طفلتَ إلى الغروب، وفعلت ما يفعله بالمحب فراق المحبوب[1]:

إنّي أرى شمسَ الأصيلِ عليلةً ... تَرتاد من بين المغاربِ مَغربا
مالت التحْجبَ شخصها فكأنّها ... مَدَّت على الدُّنيا بساطاً مُذهبا

وقوله في العنب[2]:

عنبٌ تطلَّع في حشا ورقٍ ندٍ ... صُبغت غلائلُ خَدِّه بالإثمد
فكأنّه من بينهنَّ كواكبٌ ... كُسفتْ فلاحتْ في سماءٍ زبرجد

وقوله[3]:

إن جفاني الكرى وواصلَ قوماً ... فله العُذرُ في التخلُّف عنّي
لم يُخلِّ الهوى لجسمي شخصاً ... فإذا جاءني الكرى لم يجدني

وقوله في قطرميز راح قام مقام الجسوم للأرواح[4]:

أنا من كلِّ فِتْنةٍ مخلوقُ ... جسدي لؤلؤٌ وروحي عقيقُ
وكأنّي بين الكؤوس هلالٌ ... وكأنَّ الكؤوسَ حولي بروقُ[5]

وقوله[6]:

كأنَّ الثُّريا قد بدت من وشاحها ... وقد همَّتِ الأردافُ أن تُسلم الخصرا[7]
يذكّرني شكلَ الهلالِ سوارُها ... وقد أرسلت من دون هودجها سترا
[٢٨٩] يقولون إنَّ السِّحرَ في أرض بابلٍ ... ولو عاينوا أجفانها نظروا السحرا

---

(١) انظر الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٦.
(٢) الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٧.
(٣) الذخيرة: ق١ م٢/٧٥٩.
(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٧٦٠.
(٥) الذخيرة: فكأني.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٦٣.
(٧) الذخيرة:ما بدا من.

لقد هجرتْ عيني سوابق أدمعي | كما أنَّ ليلي بعدهم هجرَ الفجرا[1]
فقلْ في شجٍ قد بات يمسحُ دمعهُ | بكفٍّ وأخرى تحتها كبدٌ حرَّى[2]
وقد ضربَ الليلُ البهيمُ رواقَهُ | وأطلع في الآفاق أنجمَه الزُّهرا
كأنَّ سماءَ الأرضِ بحرِ زبرجدٍ | وقد نثر الغوّاص من فوقه دُرّا
لقد طال هذا الليل فالدَّهرُ بعضه | ولم أرَ ليلاً قبلَهُ شاكلَ الدَّهرا
ولا اكتحلت عيني بمثل ابن يوسفٌ | ولستُ أحاشي الشمس في ذا ولا البدرا[3]
يخالون من فرط الحياء أذِلَّةً | وترتجُّ أحشاءُ الملوك لهم ذُعرا

ومما أورد من نثره قوله وقد بعث أترُجةً[4]:

وقد رفقت[5] إليك من بنات الثمار أجملها، ومن نتائج البستان أفضلها، لم تطرفها عين أحد، ولا باشرها بشرٌ بِيَد، قد صيَّرتْ من الأغصان خِدْراً، وأرسلت من الأوراق ستراً، فلما تكاملَ حُسنها، وماد بها غُصنها، طرقتُ خدرها، فإذا هي في حُلَّة الخلائق[6]، قد اصفرّت وَجَلاً من يد القاطف، فآثرتك[7] بها على جميع الأخوان. فبحرمة الكأس التي رضعنا، وأمير الطرب[8] الذي بايعنا، إلَّا ما جلوتها على مجلس المُدام، وحجبتها عن عيون اللئام، فخصالها عجيبة، وصفاتها غريبة. إن حزتها[9] عطَّرتْ ثيابك، وإن أسكنتها[10] أذهبت أوصابك. وإن أعملت فيها غَرْبَ السِّكين، قرنت لك

---

(١) الذخيرة: فلا هجرت عيني.
(٢) الأصل: بات يسبح، والمثبت من الذخيرة.
(٣) الذخيرة:وما اكتحلت، من ذا.
(٤) الذخيرة: ق١ م٧٥٥/٢.
(٥) الذخيرة: بعثت.
(٦) الذخيرة: حلة الخائف.
(٧) الذخيرة: وآثرتك.
(٨) الذخيرة: وأمير الظرف.
(٩) الذخيرة: إن خزنتها.
(١٠) الذخيرة: أمسكتها.

بين النرجسِ والياسمين. يا لها من أُتْرجةٍ غضَّة، قد صورت من ذهبٍ وفضةٍ، سرقت[1] من العاشق سيماه، ومن المعشوق طعم ثناياه [٢٩٠] خُصَّت بالحسنى[2] أجمع، وأعطيت الطبائع الأربع، فصلني بالأمر بقبولها، وتعريفي بوصولها.

ومنهم:

٢٢ ـ ابن فتوح[3]

عبدالرحمن بن فتوح، أبو المطرف. ويعرف بابن صاحب الإسفيريّا. لم تفل حلقته من التحام، ولا انفل مجلسه من الزحام. أدرك أكابر من ذهب، وقبس منهم اللهب، وأصبح وعنده منهم فضل ما يأخذ وما يهب.

قال ابن بسام فيه[4]:

له شعر كثير إلَّا إنَّ إحسانه نزر يسير. حدّث عن نفسه أنَّه صحب ابن بُردٍ الأصغر[5]، وجاذبه أذيال المذاكرة، وراكضه أفراس المحاضرة.

ومما أنشد له[6]:

خلعَ الجمالُ عليه ثوبَ بهائه ... فغدوتَ تسحبُ ذيله متبخترا[7]
فكأنَّ خدّكَ والعذارُ بصحنه ... صُبحٌ جرى فيه دجىً فتحيرا

وقوله[8]:

ولما أحسَّ الليلُ أني منادمٌ ... مُعذِّبَ قلبي بالتجنب والهجرِ
تولّي مُغِذاً لا يقرُّ كأنَّما ... يُعاين إلفاً فهو في إثرهِ يجري

---

(١) الذخيرة: قد سرقت.
(٢) الذخيرة: بالحسن.
(٣) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٧٧٠.
(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٧٧٠.
(٥) في الذخيرة: أبو حفص بن بردٍ الأصغر.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٧١.
(٧) الذخيرة: عليك ثوب.
(٨) الذخيرة: ق١ م٢/٧٧٢.

وقوله[1]:

نـاولـنـي الـكـاس عـلـى غـفـلـةٍ　　مـن مـلأتْ ألـحـاظـه الـكـاسـا
ظـبـيٌ إذا مـا شـمـتُـه شـاربـاً　　ذكَّـرَنـي شـاربُـهُ الأسـى[2]

وقوله[3]:

ومُـدامـةٍ صـفـراء عـلَّـلـنـي بـهـا　　رشـأ كـغـصـنِ الـبـانِ فـي حـركـاتـه
صـهـبـاء تـغـربُ إن بَـدَت فـي كـفِّـه　　فـي فـيـه ثـم تـلـوحُ وجـنـاتـه[4]

[٢٩١] ومنهم:

٢٣ ـ ابن ظهَّار[5]

أبو بكر بن ظهَّار. صدع يتفجَّر منه الأنهار، وروضٌ تتفتق منه الأزهار، لو عَدَته أسدُ المنون، وزيد في طلق عمره سنون، لأخمل كل مذكور نابه، وأخمد شعلة كل كوكب متشابه. إلَّا أنَّه قُصف غصناً، وخُطف وما ألمَّ بالعيون إلَّا وسنا.

قال ابن بسام[6]:

هذا من فتيان الأدباء في ذلك الأوان، اعتبط وماء معرفته غير مُمتاح، وزكيُّ إيراعه غير مزاح[7]، ولولا ذلك لبذَّ[8] أهل عصره.

وفي مدح أبي المغيرة بن حزمٍ أكثر ما وجدت من شعره. ومما أنشد له[9]:

صَـبـغـوا غـلالـتـه بـحُـمـرة خـدِّهِ　　وكـسـوه ثـوبـاً مـن لـمـى شـفـتـيـه
فـتـخـالُـه فـي ذا وتـلـك كـأنَّـمـا　　نُـثـر الـبـنـفـسـجُ والـشَّـقـيـقُ عـلـيـه

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٧٧٧.
(٢) الذخيرة: ذكرني الآسا.
(٣) الذخيرة: ق١ م٢/٧٧٧.
(٤) الذخيرة: من كفه.
(٥) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢/٢٨١، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٧٨٨.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٨٨.
(٧) الذخيرة: وركن إبداعه غير مراح.
(٨) الذخيرة: لبزَّ.
(٩) الذخيرة: ق١ م٢/٧٨٩.

وقوله، قلت: وقد غرّب في ضرب القافية[1]:

إذا أردتَ صـــبـــاحـــاً	فـــانـــظـــر إلـــى وجـــهِ ســـاقـــيـــكْ
فـــقـــد أطـــلـــتَ ســـؤالاً	يـــا قـــوم هـــل غـــرَّدَ الـــدِّيـــكْ
مـــاذا تُـــريـــدُ بـــصـــبـــحٍ	أو أيـــن تـــرقـــى أمـــانـــيـــكْ
ولـــلـــنـــجـــوم مـــدارٌ	عـــلـــيـــك والـــبـــدرُ يـــســـقـــيـــكْ

وقوله[2]:

عـــلِّـــلانـــي فـــإنَّـــمـــا أنـــا حـــيـــثُ	جاد روض المُنى من الوصل غيثُ[3]
وكـــأنَّ الـــظـــلامَ لـــمـــا تـــولّـــى	نَـــمـــرٌ راعُـــه مـــن الـــفـــجـــر لـــيـــث

ومنهم:

٢٤ ـ ابن بَلِّيطَة[4]

أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بلِّيطة. ذو كلمٍ كأنَّما ماءُ الحياةِ أديمُها، ونفسُ السحر نسيمها، ووراء ذلك منه جبل بالزحامِ لا يصدع [٢٩٢] وجمل أنفُه بالخطام لا يجدع. حُطَّت لدى الملوك رحالُ مطيِّه، وتسوقت صدور المجالس إقبال بطِّيه. طالما لبس الجديدين في المصالح، وفلّ الحديدين في النصائح، وسرى وسار حتى أعاد بنفسج الظلام عَراره، ونوارَه النهار بهاره.

وقال ابن بسام فيه[5]:

وكان في وقته إحدى الغرائب، وأعجوبة في عيون العجائب، عالم بما يريشه

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٠.

(٢) الذخيرة: ق١ م٢/٧٨٩.

(٣) الذخيرة: روض الهوى.

(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٠، ابن سعيد، المغرب: ١٧/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٦٦/٢، المقري، النفح: ٥١/٤.

(٥) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩١.

ويبريه على لوثةٍ ـ زعموا ـ كانت فيه، وكان بعيد الهمم، بليغاً بالسيف والقلم، تردَّد إلى[1] ملوك الطوائف بالأندلس، فارس جحفل، وشاعر محفل، فجرى في الميدانين وارتزق في الديوانين.

ولم أظفر من شعره إلّا بنزرٍ يسير، على أن إحسانه فيه كثير.

ومما أنشد له قوله[2]: [الطويل]

لو كنتَ شاهدنا عَشيَّة أنسنا ... والمُزنُ تبكينا بعيني مُذْنبِ[3]

والشَّمسُ قد مدَّت أديمَ شُعاعها ... في الأرض تجنُحُ غير أن لم تذهبِ[4]

خِلتَ الرَّذاذ بُرادةً من فضَّةٍ ... قد غَرْبلَت من فوقِ نطعٍ مَذْهبِ

وقوله[5]:

ظَلْتُ به والدُّموعُ جاريةٌ ... أقبِّلُ الخدَّ منه واللِّيتا[6]

تقطُرُ دُرّاً حتى إذا وَرَدتْ ... روضةَ خدَّيه عُدنَ ياقوتا

وقوله[7]:

ليس ليومِ البين عندي سوى ... مدامعٍ نجيعُها سَكْبُ

كأنَّما فُضَّ بأجفانها ... رُمَّانةٌ فانتثر الحبُّ[8]

وقوله في مُجدِّر كلَّل الجدري صفيحة خدِّه المذهب، وجمَّل حُسنه ببقايا منه لم تذهب[9]:

---

(١) الذخيرة: على.

(٢) القلائد: م٢/ ٨٩٥، الذخيرة: ق١ م٢/٧٩١.

(٣) القلائد: لو كنت تشهدنا، والذخيرة: عشية أمسنا.

(٤) القلائد: لم تغرب.

(٥) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩١.

(٦) الذخيرة: أقبل الجيد.

(٧) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٢.

(٨) الذخيرة: فانتشر.

(٩) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٣.

[٢٩٣] من رأى الوردَ تحت قطر نداهُ لم يعبْ فوق وجنتي لجدريًّا
أنا شمسٌ أردتُ في الأرض مشياً فنثرتُ النجومَ فوقي حُليًّا[1]

وقوله[2]:

تتنفّسُ الصهباءُ في لهواته كتنفُّسِ الرّيحان في الآصالِ
وكأنّما الخيلانُ في وجناتهِ ساعاتُ هجرٍ في زمانِ وصالِ

وقوله[3]:

[و]النّفط مهما افترَّ فوه فاغراً جرى لسان النّار فوق الماءِ[4]
فكأنّه ذهبٌ جرى في صارمٍ أو رَجْع برقٍ في أديم سماءِ[5]

وقوله يصف أسود محدودباً يديرُ خمراً[6]: [الكامل]

وإذا سعى بالكأس تحسبُه جُعلاً يُدحرجُ فصَّ ياقوته
وكأنّه والكأس في يده نجمٌ رمى في الجوِّ عِفريته

وقوله[7]:

وزورقٍ أبصرتُه غائماً وقد تمطّى ظهرَ دأماءِ
كأنّه في شكله طائرٌ مدَّ جناحيه على الماءِ

---

(١) في الهامش: قلتُ هذان البيتان أوردهما صاحب الملح العصرية في ترجمة أبي القاسم بن أسعد زاعماً أنها له. وابن بسام ذكرها في ترجمة أبيه أسعد، وهو أدرى من صاحب الملح، والله أعلم. وفي الذخيرة: النجوم حليا عليًّا.

(٢) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٤.

(٣) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٦.

(٤) الإضافة من الذخيرة. وفي الأصل: افتر فاه.

(٥) الذخيرة: ذهب بدا.

(٦) القلائد: م٢/٨٩٩، الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٦. في القلائد:
وكأنه والكأس في يده جعل يدحرج فصّ ياقوته

(٧) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٧.

وقوله متظارفاً[1]:

رأيتُ ليوسفَ في بيته ... فخرَّبهُ اللهُ بين البيوتْ
حصيرَ صلاةٍ علاه الغبارُ ... وقد نسجتْ فوقه العنكبوتْ
فقلت له: كم لهذا الحصير ... [وكم لك] لم تقرَّ فيه القنوتْ[2]
فقال: هنالك ألفيتُه ... وثمَّ يكون إلى أن أموتْ[3]

وقوله[4]: [٢٩٤]

أحببْ بنورِ الأقاحِ نوَّارا ... عسجدهُ في لُجينه جارا
كأنَّما اصفرَّ من مُوسَطِّهِ ... عليلُ قومٍ أتوه زوَّارا
كأن مُبيضَّهُ صقالبةٌ ... كانوا مجوساً فاستقبلوا النارا
كأنَّهُ ثغرُ من هَويتُ وقد ... وضعت فيه بقيَّ دينارا[5]

وقوله[6]:

خليلي من نعمانَ ما أكثر الهوى ... لجاجاً وصبري في الهوى ما أقلَّهُ
فلا تضربنَّ حدّاً بحدٍّ فإنَّه ... إذا السيفُ لاقى مضربَ السيف فَلَّه

وقوله[7]: [الطويل]

كأنَّ الدُّجى جيشٌ من الزَّنج نافرٌ ... وقد أرسلَ الأصباحُ في إثره القِبْطا[8]
كأنَّ أنوشروان أعلاهُ تاجَهُ ... وناطتْ عليه كفُّ ماريّةَ القُرطا

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٧.
(٢) الإضافة من الذخيرة. وفي الذخيرة: كم لذاك الحصير.
(٣) في الهامش: وهذه الأبيات الأربعة أوردها أيضاً صاحب الملح في ترجمة ابنه أبي القاسم بن أسعد. وابن بسام أوردها في ترجمة أسعد. والله أعلم.
(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٨.
(٥) الذخيرة: ألقيت فيه.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٨.
(٧) القلائد: م٢/٨٧٩ (الأول والثاني)، الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٩.
(٨) القلائد: الزنج واقد.

وسـاريــةٍ خِـلـنـا تـلألـؤ بَـرْقـهـا ... سلاسـلَ تـبـرٍ والـظـلامُ قـد شـمَّـطـا
فبتنا نـخـالُ الـجـوَّ بـحـراً قد أرسلـتْ ... عـلـى مَـتْـنـه كـفُّ الـبـروقِ لـه نـفـطـا
وباتت تثيرُ المسكَ من هجعة الثرى ... رياضٌ تـرى لـلـنُّـورِ فـي فـرعـهـا وخـطـا
حـيـاً ألـبـسَ الـبـسـتـانَ وشَـيـاً مـرصَّـعـاً ... ومـدّ عـلـىالعقيـانِ من سُنـدسٍ بسـطـا
كـأنَّ أبـا يـحـيـى بـن مـعـنٍ أجـازهـا ... فعلَّمها من كفِّهِ القبضَ والبسطا[1]
أفي المجد يدعي لابن مجدٍ مناقض ... ومن يوقدُ المصباحَ في الشمس قد أخطا[2]
ولـو قـابـلَ الـشَّـمـسَ الـمـنـيـرةَ أظـلـمـتْ ... سـنـاهـا ولـو أومـا إلـى الـبـدرِ لانـحـطَّـا

ومنهم:

٢٥ ـ الطَّغنري[3]

محمد بن مالك الطغنري. أبو عبدالله من أهل غرناطة. نوَّارة صباح، ونور مصباح، أشرق نثره ونفح، وأبرق غمامه، وسفح، ولم تمرَّ له إلا نفحة، ولا وضحت إلَّا لمحة لقليل سمع، وقلب فيه ما طُمع. إلا أنه دل على ما بعده ومن جاده [٢٩٥] من السَّحاب طلُّه عرف ما عنده.

قال ابن بسام[4]:

لم أقف من ذكر هذا الرَّجل إلَّا على أبياتٍ من شعره، وفصلين من نثره، ويستدلّ على الشجر بالواحدة من الثمر. وأورد له ما سأذكر ما اخترته منه.

فمنه رقعةٌ يصف فيها سوطاً وهي[5]:

وقد تخيرتها عقيلة أترابٍ، كريمةٍ، تتيه[6] بالنسب البحري والنصاب[7] الملوكي،

---

(١) الذخيرة: الوكف والبسطا.

(٢) الذخيرة: أفي المجد يبغي لابن معن مناقض.

(٣) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٥.

(٤) الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٥.

(٥) الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٦.

(٦) الذخيرة: تسمو.

(٧) الذخيرة: وتقيه بالنصاب.

وقد أشبهت سرَق الحرير لمساً، واشتُقَّ اسمها منه، ودعجَ الأبنوس لمماً[1]. فحكى[2] لونها عنه كأنَّما استُلَّت من ظهر حيِّه، وحُلِّت[3] من أكارع طلاً موشيه، عنوان عزَّة، وجمالُ بزَّة، ودليلُ إنافة، وخليفةُ خيرزان الخلافة، أبهى في أيدي الصيد من طُرَرِ الغيد، وأحسن على أعناق الجرد من قباطي البرد[4].

ومما أنشد له من شعره قوله في مُعذَّر[5]:

صُبَّ على قلبي هوى لاعجٍ	ودَبَّ في جسمي ضنى
كأنَّ ماء الحُسنِ في خدِّه	دارجُ مُدامةً شعشعَها المازجُ
عنوانُ ما في ثوبهِ وجهُه	تشابَهَ الدَّاخلُ والخارجُ
فلا تقيسوه ببدرِ الدُّجى	ذا مُغلَّمُ الوجهِ وذا ساذجُ

ومنهم:

٢٦ ـ ابن أبي مروان[6]

سراج بن عبدالملك المكنى أبوه بأبي مروان. ولم أقف له على كنيه[7]. سراج لا يسكت لسانه ولا يزال مُحلَّىً بالذهب مكانه، يأنس من جالسه، ويبسط له طولُ الليل بساط المؤانسة. بأدبٍ يُحدث نسيمه الأبهاج، وتسقي كلُمةُ صرفاً بغير مزاج، ويظلُّ قلمه عُريان يمشي في الدُّجى بسراج.

(١) الذخيرة: لمساً.
(٢) الذخيرة: محكي.
(٣) الذخيرة: أوحلت.
(٤) الذخيرة: قطاطي المرد.
(٥) الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٨.
(٦) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٩، ابن سعيد، المغرب: ١/١١٥، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٥٠١، ابن خاقان، القلائد: م٢/٦٠٥. وفيه خلط المؤلف بين أبو مروان بن سراج وأبو الحسين بن سراج.
(٧) كناه صاحب الذخيرة بأبي الحسين.

ذكره ابن بسام عرضاً وقال فيه[1]:

سراج بن عبدالملك اسم وافق مُسمَّاه، ولفظ طابق معناه، فإنَّه سراجُ علمٍ وأدب، وبحرُ لغةٍ [٢٩٦] العرب[2]. إليه[3] في وقتنا هذا شّدُّ الأقتاب، وإنضاء الركاب. ثم إنَّه في هذا الفن الذي نحن في إقامة أوده، زمامه وخِطامه بيده، ولنثره ونظمه ديباجةٌ رائقة. وهو القائل[4]:

لـمـا تـمـكَّـنَ مـن فُـؤادي مَـنْـزلاً ... وغـدا يُـسـلِّـطُ مُـقـلـتـيـهِ عـلـيـهِ[5]

نـاديـتـه مُـسـتـرحـمـاً مـن عَـبـرةٍ ... أفْـضـتْ بـأسـرارِ الـضَّـمـيـرِ إلـيـهِ[6]

رفـقـاً بـمـنـزلـكَ الـذي تَـحْـتـلُّـهُ ... يـا مَـنْ يُـخـرِّبُ بَـيـتَـهُ بـيـديْـهِ

وأنشد له ما قاله بديهاً وهو[7]:

عـمـري أبـا حـسـنٍ لـقـد جـئـت الـتِّـي ... عـطـفـتْ عـلـيـكَ مـلامـةَ الأخـوانِ

لـمـا رأيـتَ الـيـومَ ولَّـى عُـمـره ... والـلـيـلُ مـقـتـبـلُ الـشـبـيـبـةِ دانِ

والـشَّـمـسُ تـنـفـضُ زعـفـرانـاً بـالـربـى ... وتـفـتُّ مـسـكـتـهـا عـلـى الـغـيـطـانِ[8]

أطـلـعـتَـهـا شـمـسـاً وأنـتَ صـاحـبـهـا ... وحَـقَـقـتَـهـا بـكـواكـب الـنـدمـانِ[9]

ثم قال ابن بسام[10] عُقيب القطعة التي منها هذه الأبيات:

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٨٢١.

(٢) الذخيرة: لسان العرب.

(٣) الذخيرة: وإليه.

(٤) قلائد العقيان: ٦٢٦/٢ والشعر منسوب لأبي الحسين بن سراج، الذخيرة: ق١ م٢/٨٢٢.

(٥) القلائد: لما تبوَّأ.

(٦) القلائد: من زفرةٍ.

(٧) الذخيرة: ق١ م٢/٨٢٣.

(٨) الذخيرة: في الربى.

(٩) الذخيرة: وأنت عطاردٌ.

(١٠) الذخيرة: ق١ م٢/٨٢٣.

وهذا رواء الديباج الخسرواني، ورونق العصب اليماني، وبمثله[1] فلتنشرح الصُّدور، ويشرق[2] السرور، ويذعن المنظوم والمنثور.

ألا ترى ما آنق استعاراته، وأرشقَ إشاراته، وأقدَره على الإتيان بالتشبيه دون أداته، وكذلك دأبه[3] في سائر مقطوعاته[4].

على أنَّ أشعار العلماء على قديم الدَّهرِ وحديثه بيِّنة التكليف، وشعرهم الذي يروى[5] لهم ضعيف.

قلت والأمر كما قال ابن بسام، والعلة تقعّرهم في الكلام، وزيادة حرصهم على الأحكام. فيقف جواد القريحة، وتسرى [٢٩٧] خواطرهم دابيةً، وتقع طليحة.

نعود إلى ما كنا فيه فنقول[6]:

ومنهم:

٢٧ ـ المخزومي[7]

أبو محمد غانم المخزومي. وهو في الأدباء غانم، وفي الفضلاء حائز المغانم. له من قريش نسبٌ أبطحي ونصرٌ وحيّ، وباس ردَّ به العدو وهو مهزوم، وآباءٌ لو استصعب الحظ لاقتاده جدُّهُ وهو مخزوم.

قال ابن بسام[8]:

---

(١) الذخيرة: ولمثله.

(٢) الذخيرة: ويتشوّف.

(٣) الذخيرة: طبعه.

(٤) الذخيرة: مقطعاته.

(٥) الذخيرة: روي.

(٦) هناك ربع صفحة فراغ.

(٧) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٨٥٣، ابن سعيد، المغرب: ٣١٧/١، ابن خاقان، قلائد العقيان: م٢/٦٠٨.

(٨) الذخيرة: ق١ م٢/٨٥٣.

قد بَذَّ وقته أهل ذلك الإقليم، في أنواع التعاليم، مُتفنِّناً جرى في ميدان السَّبْق، وفقيهاً قرطس أغراض الحق، وكان في هذا الباب الذي ولجنا فيه من أهل الرويَّة والبديه.

ومما أنشد له قوله[1]:

مالي وللبرقِ أستسقيه من ظمأٍ	هيهاتَ لا ريٍّ لي إلَّا ثناياكِ
[٢٩٨] رقَّ الدُّجى فتلاقينا على جَزعٍ	وأين مثوايَ من أقطارِ مثواكِ

وأورد له من نثره، قوله في جوابٍ[2]:

أطلعته عليَّ، وأهديته إليَّ فقلت: عصر[3] الشباب رجع، أم كوكبُ السعد طلع. أم بارق الإقبال لمع، كلَّا والله إنَّها لمكرمة فهريّة، أهدتها نفسٌ سَريِّه[4]. إن قلتُ الوشيُ الصَّنعاني فقد نقصتها، أو الديباج الخسرواني فقد بخستُها، لمحتُ منه عقد اللآل[5] يبقى على أُخرى الليالي، وقد اعتقدتُ ما به أشرت، لو لاح لي في أفق النَّقلة صباح، أو استقلَّ في[6] طرق الرحلة جناح، فسبحان من قدّر أن أكون لناب النُّوب حَزْبا، وتكونَ عليَّ أيام الزمان إلباً، أصلي بنار المصائب السُّود، كأنني مما أنا باكٍ منه محسود، ولو أنَّني سلمت لمواقع الأقدار، وعلمتُ أنه ليس على القدر اختيار، ورضيتُ بما يأتي به الليل والنهار، وتيقَّنت أن خُلُق الزمان عداوة الأحرار، لأرحتَ قلباً يتقلَّبُ في جمر الأسى، وأذكرتُ لُبَّاً قد نسي الاقتداء بالأسى.

---

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٨٦٠.

(٢) الذخيرة: ق١ م٢/٨٥٦.

(٣) الذخيرة: أعصر.

(٤) الذخيرة: سنيه.

(٥) وفي الأصل: لأل. والمثبت من الذخيرة.

(٦) الذخيرة: بي في.

ومنهم:

٢٨ ـ ابن السراج المالقي[١]

ومنهم أبو عبدالله بن السراج المالقي. سراجٌ يُجلّي من الليل ما بقى، ومُجاج ما عَدم الشهد من له لُقى. كان أخا راحٍ تتوج به أنامله، ويدير آناء الشمس حامله، تنبه لكل فضل، ومسح بيده وسنه، وأتى منه أحسنه.

قال ابن بسام فيه[٢]:

مُحسِّن معدود، وشاعر بني حمود، ومما أنشد له قوله[٣]:

شَرِبْنا على ماءٍ كأنَّ خريرَه ... بكاءُ مُحبٍّ بانَ عنهُ حبيبُ
فمن كان مشغوفاً كئيباً بإلفه ... فإنِّي مشغوفٌ به وكئيبُ

وقوله[٤]: [٢٩٩]

وكأسٍ على طيبِ استماعي لصوتها ... شربتُ ودمعُ المُزنِ يسعدني جريا
خليليَّ هذا اليومُ لو بيعَ طيبهُ ... بما حوتِ الدُّنيا لقلْتُ له الدُّنيا

ومنهم:

٢٩ ـ الألبيري[٥]

أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري. رجل يعرف البراءُ بعينيه، ويقذف البرية برِّيبه، بأوابد تقبح الحسن، وتنفر الوسن، يفري بها أديم كل عرضٍ صحيح، ويقدح بها زند كل جوادٍ غير شحيح.

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٤٣٤/١، القفطي، المحمدون من الشعراء: ٣٣٨، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٨٧٠/٢.
(٢) الذخيرة: ق١ م٨٧٦/٢.
(٣) الذخيرة: ق١ م٨٧٢/٢.
(٤) الذخيرة: ق١ م٨٧٨/٢.
(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٨٨٢/٢، ابن سعيد، المغرب: ١٠٠/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٦٧/٢، المقري، النفح: ٤١٢/٣.

قال ابن بسامٍ فيه[1]:

وكان باقعة عصره، وأعجوبةَ دهره، له طبع حسن في مقطوعات الأبيات، خاصة إذا هجا وقدح. فأما[2] إذا طَوَّل ومدح. فقلَّما رأيتُه أفلح ولا أنجح.

ومما أنشد له قوله[3]:

لا تــغــرَّنَّــك الــحــيــا ... ةُ فــمــوجــودهــا عَــدَمْ

لــيــس فــي الــبــرقِ مُــتــعــةٌ ... لامــرئٍ يــخــبــطُ الــظــلــمْ ج

وقوله[4]:

أقــاربُ الــسُّــوءِ داء ســوءٍ ... فــاحــمــل أذاهــم تــكــن حــمــيــدا[5]

فــمــن تــكــن قُــرحــةٌ بــفــيــه ... يَــصــبرْ عــلــى مِــصِّــهِ الــصَّــديــدا

وقوله[6]:

قــالــوا الــمــريَّــةُ فــيــهــا ... نَــظَــافــةٌ قــلــتُ إيــهِ

كــأنــهــا طــســتُ بــئــرٍ ... ويــنــزفُ الــدَّمُ فــيــه[7]

وقوله[8]:

سنصبرُ إنْ جفوتَ فكم صَبرنا ... لــغــيــركَ مــن أمــيــرٍ أو وزيــرِ

ولــمــا لــم أنــل مــنــهــم سُــرورا ... رأيــنــا فــيــهــمُ كُــلَّ الــسرورِ[9]

(١) الذخيرة: ق١ م٨٨٢/١ ـ ٨٨٣.
(٢) الذخيرة: وأما.
(٣) الذخيرة: ق١ م٨٨٤/٢.
(٤) الذخيرة: ق١ م٨٨٤/٢.
(٥) الذخيرة: تعش حميدا.
(٦) الذخيرة: ق١ م٨٨٥/٢.
(٧) الذخيرة: ويبصق الدم.
(٨) الذخيرة: ق١ م٨٨٥/٢.
(٩) الذخيرة: لم ننل.

[٣٠٠] وقوله(١):

خـذ مـن الـدَّهـرِ مـا أتـى ... إنْ نـعـيـمـاً وإنْ نـكَـدْ
كـن كـسـكِّـيـن جـازرٍ ... قـاطـعٍ كـلَّـمـا وَجَـد

وقوله(٢):

قـالـوا أتـسـكُـنُ بـلـدةً ... نـفـسُ الـعـزيـزِ بـهـا تَـهـونُ
فـأجـبـتـهـم بـتـأوُّهٍ ... كـيـف الـخـلاصُ بـمـا يـكـونُ
غـرنـاطـةٌ مـثـوى الـحـنـي ... ـن يـلـذُّ ظـلـمـتَـهُ الـجـنـيـنُ

وقوله(٣):

أصـابَ الـزَّمـانُ بـنـي عـامـرٍ ... وكـانَ الـزَّمـانُ بـهـم يَـفـخـرُ
أمـاتـهُـم الـدَّهـرُ قـبـل الـمـنـونِ ... فـهـم مـيِّـتـون ولـم يـقـبـروا
كـأنَّـهُـم أربـعٌ دارسـاتٌ ... فـمـا لـهـمُ غـيـر أن يُـذْكـروا
فـهـوِّن عـلـيـك كـثـيـرَ الـحـيـاةِ ... فـسُـكـنـاكَ فـي قـبـركَ أكـثـر(٤)

ومنهم:

٣٠ ـ أبو العباس المحدث(٥)

أحمد بن القاسم المحدث، أبو العباس. زند الاقتباس، والواحد الفرد ولا باس، والرافل فيما يجر على مطاف السحب اللباس، لا يرمي سهمه إلَّا قرطس، ولا ينقضّ نجمه إلّا لإرغام معطس.

قال ابن بسام فيه(٦):

(١) الذخيرة: ق١ م٢/٨٨٦.
(٢) الذخيرة: ق١ م٢/٨٨٧.
(٣) الذخيرة: ق١ م٢/٨٩٠.
(٤) الذخيرة: وهوّن عليك قبرك الأكثر.
(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٩٠٥، ابن سعيد، المغرب: ١/١٠٩.
(٦) الذخيرة: ق١ م٢/٩٠٥.

هو في وقتنا بحضرة قرطبة، مُقلَّة عين العصر، وصفحة وجه الدَّهر. وقد أثبتُّ من كلامه قطعة تنبئ عما طالعه من علوم على صغر سنِّه، ولدانة غصنه.

ومما أنشد له قوله[1]:

قالت وقد نظرتْ فروَّعها	شَيبٌ على فوديَّ مُنتشرُ
[٣٠١] ما شان هذا البياض قلت لها	مات الشَّبابُ فبيَّضَ الشعرُ[2]

ومنهم:

٣١ ـ أبو طالب عبدالجبار[3]

أبو طالب عبدالجبار من أهل جزيرة شقر، اشتهر حتى شُبِّه بأبي الطيب أحمد بن الحسين، وجهد على آثاره فما جعل إلَّا على خفي لحنين، على مطالب كان يرومها، ومأرب ذلَّت له قرومها، وأحاديث نفسٍ كانت له تُسوِّل، ويُخيِّلُ إليه أنَّها مُخوَّل له وتُنوَّل.

قال ابن بسام فيه[4]:

كان يعرف بالمتنبي، أبرع أهل وقته أدباً، وأعجبهم مذهباً، وكان ـ فيما بلغني ـ يعد نفسه بملك لا يبالي أين وقع، ولا يحفل بشيء صنع.

ومما أنشد له يصف مجاري الماء في سواقي أجنَّة بلنسية[5]:

وهبَّ لنا النسيم بكلِّ طيبٍ	كأنَّا منه في زمن الرَّبيعِ
على نهرٍ كأنَّ الماءَ فيه	بقايا فوق خدي من دموعِ[6]

---

(١) الذخيرة: ق١ م٩١٣/٢.

(٢) في الهامش: قلت أهل المغرب إذا أحدّوا على ميت لبسوا البياض. وهذا ما أراد. وفي الذخيرة: ما شن تلك البياض.

(٣) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٩١٦/٢، ابن سعيد، المغرب: ٣٧١/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢١٠/٢.

(٤) الذخيرة: ق١ م٩١٦/٢.

(٥) الذخيرة: ق١ م٩١٧/٢.

(٦) الذخيرة: فوق خد.

ومنهم:

٣٢ - الهوزني[١]

عمر بن الحسن بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالله بن أبي سعيد، أبو حفص الهوزني. ممن ولده ذو الكلاع، وطلع من هوزن في شرف اليفاع، وطبع طوع يديه يُصرِّف اليراع، وكان في إشبيلية رسيل فراتها الجاري، وعديل قصورها المُطلّةِ على الذراري، ثم قتل مظلوماً، ونقل إلى جوار الله الكريم مرحوما.

وقال ابن بسام فيه[٢]:

إنَّ جدّه أبا سعيد الداخل بجزيرة الأندلس كان صاحب صلاة الجمعة[٣] بقرطبة، على عهد عبدالرحمن الداخل[٤]، وأفضى أمر إشبيلية إلى عبّاد وأبو حفص يومئذٍ ذاتُ نفسها، وآيةُ[٥] شمسها، وكان بينه وبين بني عبّادٍ قبل إفضاء الأمر إليه ائتلاف الفرقدين، واقتران[٦] الأذن والعين.

فلما[٧] ثبتت قدمُ المعتضد أوجس منه ذُعراً، وأوجس[٨] بها أبو حفص لو أخطأ الحازم أجله، ونفعتِ المحتالُ حيلُهُ. فاستأذن المعتضد في الرحلة، واحتلَّ صقليَّةَ تضيق عن فخره [٣٠٢] الآفاق، وتتهادى[٩] عجائب ذكره الشام والعراق. ثم رحل إلى مصر، ووصل إلى مكة، وروى في طريقه كتاب الترمذي، وعنه أخذه أهل المغرب. ثم رجع

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/٨١، المقري، النفح: ٩٣/٢، ابن سعيد، المغرب: ٢٣٤/١.

(٢) الذخيرة: ق٢ م١/٨٢ مع المقارنة.

(٣) الذخيرة: الجماعة.

(٤) الذخيرة: على عهد عبدالرحمن بن معاوية وهشام الراضي ابنه. وهوزن الذي غلب عليه بطن من ذي الكلاع الأصغر.

(٥) الذخيرة: وإياه.

(٦) الذخيرة: واتصال

(٧) الذخيرة: ولما.

(٨) الذخيرة: وأحس.

(٩) الذخيرة: وتهادى.

إلى الأندلس، وسكن مُرْسيه. فلما غلبت الروم[1] وتفاقم الخَطْب رجع إلى بلده لأملٍ استدرجه إلى مَلْحده، فأذهله عما كان استشعر، وأنساه عما كان حذِرَ لمصرعٍ لم يكن عنه مدفع. فأحضره المعتمد وأمر خادمين من فتيانه بقتله، فكلاهما أشفق من سوء فعله، فلم ينل عبَّاد بعده سولاً، ولم يُمتَّع بدنياه إلَّا قليلا.

ومما أنشد له قوله[2]:

كـأنَّ الـمـقـاديـرَ حِـزْبٌ لـه	فـيـمـضـي عـلـى رأيـه مـا حـكـمْ
سـقـتـهُ الـحـمـيَّـةُ فـولاذهـا	وضـمَّـت مـنـابـتـه فـي الـكـرمْ[3]

وقوله[4]:

أعـبَّـاد كـلٌّ قـد عـلـوت فـضـائـلاً	تـقـاصـر عـنـهـا كـلُ أروعَ مـاجـدِ[5]
أفـضـت لـنـا جـوداً أرانـا أكـفُّـهـم	جـموداً لـكـفٍّ لـم تـؤيَّـد بـسـاعـدِ[6]
وسـعـيٌ لـمـا سـعـى تـخـيُّـلُ سـعـيـهـمْ	تـلاغُـبَ ولـدانٍ أطـافـتْ بـوالـدِ[7]
ونـصـر لـمـن والـيـتَ يـردي عـدوَّهُ	ردى أهـلِ جـوّ فـي وقـيـعـة خـالـد
منعتَ بني جالوتَ ما قد أباحهم	سـواكَ بـحـربٍ قَـيَّـدتْ كـلَّ شـاردِ
عجائبُ مجدٍ أعجزتْ من سواكمُ	ومن سرِّها المشهورِ صدقُ المواعدِ
فـإن راث أمـري فـادَّركـنـي بـرحـلـةٍ	إلى مأمني فالخوفُ أعجلُ طاردِ[8]

---

(١) الذخيرة: غلبت الروم على مدينة بربشتر.
(٢) الذخيرة: ق٢ م١/٨٦.
(٣) الذخيرة: سقته الحمية جريالها ... وصحَّت مناقبه في الكرم.
(٤) الذخيرة: ق٢ م١/٨٧.
(٥) الذخيرة: أعباد كلاً.
(٦) الذخيرة: فأولها جودٌ أرانا، ككف.
(٧) الذخيرة: وسعي لما تبغي.
(٨) الذخيرة: إلى مأمنٍ.

ومنهم:

٣٣ ـ ابن المعلم[١]

محمد بن عبدالعزيز بن المعلم، أبو الوليد. ذو الاختراع والتوليد، وله البديهة السريعة والصناعة البديعة، والفكر الذكي، والفهم الألمعي، والفن الغَضّ الطريّ.

قال ابن بسام فيه[٢]: [٣٠٤]

بديع ذلك الزمان، وأحد[٣] وزراء المعتضد الكُتَّاب الأعيان، وقد كتبت له ما يشهد أنه كان من أهل الرواية والعلم، وذوي الدراية والفهم.

ومما أنشد له قوله يصف السفن[٤]:

فأرِحْ جيادكَ فهي أطلاحُ السُّرى ... وقُدِ الجيوشَ إلى العدى أسطولا
أنشأتهنَّ سفائناً ومدائناً ... وجنبتُهنَّ كتائباً ورعيلا
دُهمٌ تُخالُ البيضُ في أوساطها ... بُلقاً وفي أطرافها تحجيلا
قُرعتْ بأسياطِ الرِّياح فأسرعَتْ ... في الماء تُعملُ كلكلاً وتليلا[٥]

وقوله[٦]:

عممتَ الورى بالشكل فيكَ رزيَّةً ... وقبَّحت وجهَ الصبرِ وهو جميلُ
فمن شاء فليبصرْ بعينِ حقيقةٍ ... ففينا له وعظٌ مداهُ طويلُ[٧]
يرى الأرضَ فيها الأرض كيف تزلزلت ... بنا ويرى الأطوادَ كيف تزولُ
أفَلْتَ فعادت حمصُ بعدك دُجنةً ... كأنَّك شمسٌ والزمان أصيلُ

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/١١٢.
(٢) الذخيرة: ق٢ م١/١١٢.
(٣) الذخيرة: أحد.
(٤) الذخيرة: ق٢ م١/١٢١ وفيه وصف حربه مع صاحب سبته.
(٥) الذخيرة: قرعت بأسواط.
(٦) الذخيرة: ق٢ م١/١٢٣.
(٧) الذخيرة: فلينظر، ففيك لنا.

ومنهم:

٣٤ ـ ابن الآبار[١]

أحمد بن الآبار، أبو جعفر. ناصبت همته النجم، وناصفت الرَّوض على شذاه، إلَّا أنَّها كتمت ونم، ما استهلت سماؤه إلَّا وأروق بآلائها الجماد، وأشرق بلآلئها الرماد، من نبعةِ بأسٍ ما بها خور، ولا عيبها إلَّا ما في العيون من حور، لم يُرنِّق لواحظه الرقاد، ولا يُطمع فيه أن تُقاد.

قال ابن بسام فيه[٢]:

أحد شعراء المعتضد المُحسنين، وأدباء أيامه المتفننين[٣]، انتحل الشعر فأفتن وتصرَّف، وغنم[٤] بالعلم فجمع وصنَّف، وقد كتبت طَرَفاً مما أبدع، ليكون أعدل شاهدٍ على أنَّه تقدَّم وبرع [٣٠٥].

[ومما أنشد له قوله][٥]:

بدرٌ ألمَّ وبدرُ التمِّ ممَّحق ... والليل محلولك الأرجاءِ من حسدِ[٦]

تحيَّر الليلُ فيه أين مطلعه ... أما درى الليلُ أنَّ البدرَ في عَضُدي

وقوله[٧]:

هصرتْ يدي منه بغصنٍ ناعمٍ ... لم أجنِ غير الحلِّ من ثمراتهِ

وأطعتُ سلطانَ العفافِ تكرُّماً ... والمرءُ مجبولٌ على عاداتهِ

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/١٣٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١/١٤١، الصفدي، الوافي بالوفيات: ٨/١٣٧.

(٢) الذخيرة: ق٢ م١/١٣٤.

(٣) «وأدباء أيامه المتفننين» ساقطة من الذخيرة.

(٤) الذخيرة: وعني.

(٥) ساقطة في الأصل والإضافة من المحققين. وانظر الشعر في الذخيرة: ق٢ م١/١٣٦.

(٦) الذخيرة: ممتحق.

(٧) الذخيرة: ق٢ م١/١٤٣.

وقوله[1]:

ومنعَّمٍ غَضُّ القطافْ ... عذبِ اللّمى والارتشافْ[2]
قد صِيغَ من دُرِّ الجما ... ل وحينَ في صَرَفِ العفافْ
وسقتهُ أيامُ الشبا ... ب بمائها حتى أنافْ
فتروَّضَتْ عنه الريا ... ضُ وسُلِّفتْ منه السُّلافْ
مهما أردت وفاقه ... يوماً فعرَّض للخلافْ[3]
ولقد ترنَّح مائلاً ... كالغصنِ مال به انعطافْ
فوردتُ جَنَّة خدِّه ... ونعيمها داني القطافْ[4]
وضممت ناعم عطفِهِ ... ضمَّ المُضاف إلى المضافْ
فورعتُ حتى في الجنى ... وكففتُ من فوقِ الكفافْ
وعصيتُ أمَّار الهوى ... وأطعتُ سلطان العفافْ[5]

وقوله[6]:

حُيِّيت من برقٍ تسهَّد ليلَهُ ... وجداً إلى أهل الدخول دخيلا[7]
كالأتهُ سَهراً وبات مكالئي ... حتى رأيتُ للحظَ منه كليلا
[٣٠٦] والصبحُ يُشهرُ من سناه صوارماً ... والليلُ يرفعُ من دُجاهُ سُدُولا
وكأنَّ غائرةَ النجومِ بأفقها ... عن وجهه تُغْضي عيوناً حولا
وكأنَّما الجوزاءُ إذا بَصُرتْ بهِ ... ألْقَتْ إليه نطاقها محلولا
عذلوا ولو عدلوا أواسطاع الهوى ... نُطقاً لكان العاذلُ المعذولا

---

(١) الذخيرة: ق٢ م١/١٤٣.
(٢) الذخيرة: الغروب للارتشاف.
(٣) الذخيرة: تعرّض.
(٤) الذخيرة: جنة نحره.
(٥) الذخيرة: سلطان الهوى.
(٦) الذخيرة: ق٢ م١/١٥٧.
(٧) الذخيرة: حُييت من برق يجنُّ جناته.

لا تـكـثـروا فـالـحبُّ فـي حـوبـائـه   كـالـحـمـد فـي أسـمـاع اسـمـاعـيـلا
راعـت وقـائـعُ بـأسـه حـتـى لـقـد   تـرك الـحـمـام بـنـفـسـه مـشـغـولا
إن كـانـت الأسـد الـضـواري لا تـخا   فُ صـيـالَـهُ فـلـم اتـخـذن الـغـيـلا
أو كـانـت الـبـيـضُ الـصـوارم لـم تَـهـم   فـي حُـبِّـهِ فـلـم اكـتـسـيـنَ نـحـولا[1]
لـو تـحـفـز الـعـشَّـاق بـيـضُ سـيـوفـهِ   لـم يـتـركـوا عـنـدِ الـعـيـون ذُحُـولا

وقوله، وقد بالغ ظرفاً ومجوناً، وهيَّج شجوناً[2]:

زارنـي خـيـفـةَ الـرقـيـب مُـريـبـا   يـتـشـكّـى الـقـضـيـبُ مـنـه الـكـثـيـبـا
رشـأٌ راش لـي سـهـامَ الـمـنـايـا   مـن جـفـونٍ يُـصـمـي بـهـنَّ الـقـلـوبـا
قـال لـي: مـا تـرى الـرقـيـب مُـطـلاً   قـلـتُ ذَره أتـى الـجَـنَـابَ الـرحـيـبـا
عـاطـهِ أكـؤسَ الـمـدام دراكـاً   وأدرهـا عـلـيـهِ كـوبـاً فـكـوبـا
واسـقـنـيـهـا بـخـمـر عـيـنـيـكِ صِـرفـاً   واجـعـلِ الـكـأس مـنـك ثـغـراً شـنـيـبـا
ثـمَّ لـمـا نـام الـرقـيـب سـريـعـاً   وتـلـقّـى الـكـرى سـمـيـعـاً مُـجـيـبـا[3]
قـال: لابُـدَّ أن نَـدُبَّ إلـيـه   قـلـتُ أبـغـي رشـاً وآخـذُ ذيـبـا
قـال: فـابـدأ بـنـا وثَـنِّ عـلـيـهِ   قـلـتُ كـلَّا لـقـد دفـعْـتَ قـريـبـا
فـوثـبـنـا عـلـى الـغـزالِ ركـوبـاً   ودببـنـا إلـى الـرقـيـبِ دبـيـبـا [٣١٧]
فـهـل أبـصـرتَ أو سـمـعـتَ بـصـبٍّ   ....

ثم قال ابن بسام[4] وقد أوردها وظرَّف الأسماع لما أنشدها: ولقد ظرف ابن الأبّار، واستهتر ما شاء وهذر[5]، وأظنُّه لو قدر على إبليس الذي تولّى له نظم هذا السلك لدبَّ إليه ووثب أيضاً عليه.

---

(١) الذخيرة: إن كانت.
(٢) الذخيرة: ق٢ م١/١٥٠ ـ ١٥١.
(٣) الذخيرة: أن نام من نتّقيه.
(٤) الذخيرة: ق٢ م١/١٥١.
(٥) الذخيرة: وندر.

ومنهم:

٣٥ - أبو عمر بن الباجي[(١)]

يوسف بن جعفر الباجي، أبو عمر، من أهل بيتٍ هو منهم غُرَّة في جواد، وجذعٌ تعوّد على سبق الجياد، هذا وعود صباه مهتصر، وماءُ أشبابه يكاد يعتصر، إلى أن قرح القُرح، فأضحى كل أديبٍ في ظلّه يتطرَّح [٣٠٨].

قال ابن بسام[(٢)]:

من بلغاء الكُتاب، واغرب شافٍ[(٣)] جدَّه الباجي في الولادة كلَّ الإغراب، في صلة حبل البلاغة على جميع كُتاب الإسلام، لأنَّه أنْسَلَ أربعةً من حملة الأقلام، وفرسان الكلام.

أولهم: جَدُّهُ يوسف، وابنه جعفر بن يوسف، وعبدالله ويوسف ابنا ابنه جعفر ويوسف هذا[(٤)] المكنَّى بأبي عمر.

قال: ونقلت من رسائل هذا[(٥)] الباجي من قراطيس تعاليق، وبطائق وقعت إليَّ تفاريق، منسوبةً لهم في الجملة، وربما اختلطت رسائل الابن والأب لهذا السبب.

وهذا الذي أصف وأشرح مما لا يضرُّ ولا يقدح لا سيما في رواية حكايةٍ، وإنَّما هي مُلَحُ منثور ومنظوم[(٦)]، وليست بحقائق علوم. فتتكلَّف في صحة الأسانيد ما بين سُعَيدٍ وسَعَيد، والفصل ما بين عُبَيدٍ وعَبيد.

---

(١) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٣٣٧/٢، تح عمر الدسوقي وعلي عبدالعظيم، النهضة المصرية، ١٩٦٩، ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/١٨٦، ابن سعيد، المغرب: ٤٠٥/١، ابن خاقان، قلائد العقيان: م١/٣٠٠.

(٢) الذخيرة: ق٢ م١/١٨٦.

(٣) الذخيرة: شأو.

(٤) الذخيرة: هذا هو.

(٥) الذخيرة: بني.

(٦) الذخيرة: أو منظوم.

قلت: فلهذا لا أحمل قلمي شيئاً من تلك الرسائل، ولا أضيع الأمانة بنسبة القول إلى غير القائل، وهبهم أهل بيت واحد، أليسَ يفرق بينهم التفاوت.

وانظر إلى ابني نوح، وهذا العباس وأبو لهب كلاهما لعبدالمطلب، وهذا كثير لا يحصى، وجمٌ لا يعد. فأما تفاوت الابن والأب، والأخ والأخ في رتب البلاغة فعظيم لا تحصيه وجليل لا نستقصيه.

وانظر بين ابن أبي تمامٍ وأبيه، وبين الوليد بن عبدالملك وسليمان أخيه.

فأما ما أنشد له ابن بسامٍ في نظمه فمنه قوله يمدح المعتمد بن عباد، وقد أطاعته غافق والمدور[1]:

وما شئت فادعوه يوافيك طائعاً ... كما قد أجابت غافقٌ والمدوَّرُ[2]

[٣٠٩] أزرْتَهما بحرَ الكتائب مُزبداً ... فألقتُ عنانَ الطَّوع وهي تحسرُ[3]

يقول مثارُ الجنِّ إذ ذعروا به ... هي الأرض تطوى أم هو البحرُ يزجر[4]

سرى فاستطيروا خيفةً من نذيرهِ ... ولم تكُ ليلاً قبله الجنُّ تُذعرُ

فتوحٌ يموت إلى الحاسدون شجىً بها ... فليت حليفَ الحيِّ يحيا فيُخْبرُ

وهل تلتقي الأجفان إلّا على الرضى ... وأنت على الدنيا الأمير المؤمَّرُ[5]

وقوله[6]:

لا زال عِزُّك يُخضعُ الأطوادا ... ويُذِلُّ في آجامها الآسادا

لله أيامٌ بقربك أنْعَمْت ... ما ضَرّها إن لم تكن أعيادا

---

(١) الذخيرة: ق٢ م١/١٩٧.

(٢) الذخيرة: ودار كما شئت القضاءُ مساعداً فجاءت ولاء غافقُ والمدور.

(٣) الذخيرة: الطوع رضوى وصنبر.

(٤) الذخيرة: يقول مثارو.

(٥) الذخيرة: الإمام المؤمر.

(٦) الذخيرة: ق٢ م١/١٩٨.

راقتْ محاسنُها وطاب نعيمها فأتى الزمانُ حدائقاً وعهادا
أسفي على زَمنٍ مضى في غيرها يا ليتَ ذاهبهُ استُعيد فعادا

وقوله يرثي[١]:

تعالى الله كيفَ هوى ثبيرٌ ووافى البحرُ مَسْقَطَهُ فغارا[٢]
أسرَّ الدهرُ مُبتدرُ المعالي فلم يا بدرُ فارقتَ السرارا[٣]
لتبكِ الخيلُ مُرْسلها رياحاً تلوثُ بمفرق الشمس الغبارا
وبيض الطبع مُصلتها بروقاً وصفوا النبع مُقدحها شرارا[٤]

ومنهم:

٣٦ ـ الأستجي[٥]

أبو الحسن الأستجي من ولد النعمان بن المنذر. باعد إلى قُرباءَ ولم ينذر، وبكت القرناء ولم يعذر، فسبق الصباح متبلِّجاً، وصَدّق نفس النسيم مُتأرِّجاً، وراض فكره كل جامح، وراع كل جانح، واقتاد حل سُراه دهماء الظلماء مُسرحه، وأعاد شبحة الليل فيروزجه، مزّق أديم النهار، وخنق مضائق الطرق والمنار [٣١٠] وجاء جواده السابق تقدحُ سنابكهُ النار.

قال ابن بسام فيه[٦]:

له سبق لا ينكر، وإحسان لا يزال يذكر، وأنشد له أبو الوليد بن عامر في كتابه المسمى بالبديع في فصل الربيع[٧]:

---

(١) الذخيرة: ق٢ م١/٢٠٠.
(٢) الذخيرة: معارا.
(٣) الذخيرة: الدهر مقتدر.
(٤) الذخيرة: وصفر النقع.
(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/٢٠٠.
(٦) الذخيرة: ق٢ م١/٢٠٠.
(٧) الذخيرة: صنفان خمري ومسكي.

قــد قــلــت لــلــروض ونــوَّاره ... نــوعــان تــبــريٌّ وفــضــيٌّ
وعــرفُــهُ مــخــتــلــفٌ طــيــبــهُ ... عــرفــان مــســكــيٌّ وخــمــريٌّ[1]
ووجــهُ عــبــدالــلــه قــد لاح لــي ... وهــو مــن الــبــهــجــة دُرِّيٌّ
شِــمْ غَــرســكَ الأرضــيَّ إنَّ الــذي ... أبــصــرتُــهُ غَــرسٌ ســمــاويٌّ
حُــســنــك نــوريٌّ بــلا مِــرْيّــة ... وحُــســنُ عــبــدالــلــه نُــوريٌّ

وقوله[2]:

كــأنَّــمــا الــروض لــمــا ... وشــت يــدُ الــمــزنِ أرضَــهْ[3]
كــواكــبُ فــي ســمــاءٍ ... مــن الــزَّبــرجــد مــحــضــهْ[4]
أو لــؤلــؤٌ فــوقَ أرضٍ ... مــن الــمــهــا مُــبــيــضَّــهْ
كــأنَّــمــا الــوردُ خــدٌّ ... ارتــقــى بــه الــلَّــثــمُ عــضَّــهْ[5]

ومنهم:

٣٧ ـ البكري[6]

أبو عبيد البكري. رجلٌ يُعدُّ من العلماء، ويُعلُّ منه الراح بالماء، لا ينكر فضله إلَّا جاحد، ولا يقاس عليه في الناس إلَّا واحد. لا يسع قدره الصدور، ولا يسمع بمثل حليته البدور، ولو زاحمه الطود لانهدَّ، أو قارعه العود لما سدّ.

قال ابن بسام فيه[7]:

وكان بأفقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان، وأوّلهم بالبراعة والإحسان. كأنَّ العرب

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢٠٠/١.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢٠٢/١.
(٣) الذخيرة: كأنما الورد.
(٤) الذخيرة: غضه.
(٥) الذخيرة: الورد صدر ... أبقى.
(٦) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢٣٢/١، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٥٠٤/٢، ابن خاقان، قلائد العقيان: م٦١٥/٢.
(٧) الذخيرة: ق٢ م٢٣٢/١.

استخلفته على لسانها، والأيام ولَّته زِمام حَدثانها، [٣١١] ولولا تأخر ولادته، وعهدةٌ في زيادته، لأنسي ذكر كُنيِّه المتقدم الأوان، ذرب لسان، وبراعة إتقان، وله تقدم سبقٍ، وسلفُ صدقٍ، وقد كان لسلفه بغربي الجزيرة ذروة[١] قعدوا منها مقاعد أكابر الأمراء، ولهم في ذلك وللمعتضد قريع أقرانهم الذي طمَّ واديه على قُربائهم[٢]، أخبار ذكرها ابن حيَّان، ومما أنشد له[٣]:

خليليَّ إنِّي قد طربتُ إلى الكاس وتقتُ إلى شمِّ البنفسجِ والآسِ
فقوما بنا نلهو ونستمعُ الغنا ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناسِ

وأورد من نثره قوله[٤]:

وأنَّى لي في هذا باصابة غرضٍ أرميه، أو أضاءه سقط أُريه، مع زمانه الزمان، وبلاده البلدة من قريحةٍ قريحه، وطبعٍ طُبع وخيمٍ وخيم، ونحوٍ قد نُبذ، ولغةٍ جُعلت لغواً، وطالب العلم مطالب، والمتحلِّي به مُحلًّا، وقضايا العقل معكوسة، وخطوط الفصل منحوسة.

ومنهم:

٣٨ ـ ابن الحجاج[٥]

أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج. سرُّ آباء، ومُسيِّر أنباء، وخلف سلفٍ أشرقت بهم الأيام والليالي، وشرفت بمضاربهم السيوف والعوالي، طلع بين نجومهم فرقداً، وسطع تبراً مُتوقداً، وزار بعد سيلهم الذاهب سحاباً متفقِّدا، يُقاد الزمان راغماً، وعصب السماء الشهب وأضحى لها فكرة عارماً.

قال ابن بسام:

(١) الذخيرة: بغربي جزيرة الأندلس إمرة.
(٢) الذخيرة: قريانهم.
(٣) الذخيرة: ق٢ م١/٢٣٨.
(٤) لم نعثر على المقطوعة في ترجمته.
(٥) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ١/٢٥٦. هذا وقد سقطت ترجمته من الذخيرة.

من أسرةٍ طلعوا مع الكواكب كواكب، وملأوا عيون العجائب عجائب، أهل بيت عُمدة القنا والقنابل، وأطنابه اللُّهى والفواضل، فصالت دونه القبائل، وتقاصر عنه الدهر المتطاول، ونجم هذا الرجل فكان بحبوحة شرفهم [٣١٢] وسابق سلفهم وخلفهم، وقد خرَّجتُ له ما يشهد أنَّهُ سريُّ أسرتهِ، وقريع أهل تجربة.

ومما أنشد له قوله:

الـمـوت مـوردنـا إلـيـه يـوضـع	ونـفـق سَـنـا طـيـرٍ إلـيـه وُقَّـعُ
دُنـيـا كـعـهـد الـمـومـسـاتِ نـفـارهـا	والـوغـدُ يـضـمـنُـه الـلـئـيـم الأكـوعُ
تـجـري الـنُّـفـوس بـهـا إلـى آجـالـهـا	فـي مُـدَّةٍ هـي لـلـمـنـيَّـة مـهـيـعُ
أي الـقـرون الـسـابـقـات إلـى الـنـهـى	هـل مُـقـلـه تـرنـو وآذنٌ تـسـمـعُ

ومما أورد له من نثره:

أنا بين أمواج عرفك الغدق، كالمغمور الغرِق، كلما رمت الوصول إلى فُلك والشكر لم أصل إليه، أو طلبته لم أقع عليه، فصرت كما قال القائل:

أقـبـلـتُ أرجـو فـضـل نـائـلـه	فـصـرت أشـكـو مـن سيبـه الـغـرقـا

وإنني لما ترادفت على تلك الأمواج، وغمرني ذلك البحر العجَّاج، أظفرني الله بسفينة الدعاء، فوصلتُ إليها ونجوت عليها.

ومنهم:

٣٩ ـ ابن أبي أمية(١)

أبو أيوب سليمان بن أبي أمية. سابق طلب فأدرك، وطلع فكان من طلعه الصباح أبرك، وهي سجايا ما كفَّ وَبْله ولا وكف، إلَّا ودَّ البحر أنَّه فضله جدّ فوجد، وحام فورد، وحلَّق فبلغ لما اجتهد.

(١) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٤٩١/٢، ابن سعيد، المغرب: ٢٤٨/١، ابن خاقان، قلائد العقيان: ٤٢٦/١. هذا وقد سقطت ترجمته من الذخيرة.

وقال ابن بسام:

وقد ذكره فصلٌ في ذكر الفقيه أبي أيوب، وأبيات جملةٍ من نظمه ونثره، اللذين عطلا الدُّرَّ في النحور لا في البحور، وأخجلا الزهر في الكمام، المدام في أيدي الندام، وهو في وقتنا هذا بحر [٣١٣] الأدب وساحله، وسنام العرب وكاهله، وسنان المجد وعاملٌ، ورافع لواء الحمد وحامله[١].

ودارت دولة المعتمد على أبيه مدار مذهب المدينة على مالك، وكانت ترجعُ إليه رجوع الحساب إلي فذلك، ونشأ ابنه الوزير أبو أيوب، والخطابة تُجنُّ به جنونها، والكتابة تمدُّ إليه شمالها ويمينها، فنظر إليها بمؤخر عينٍ لا تروى إلَّا بلحظ كتاب أو خطة محراب، وأرعاها جانب سمعٍ لا يأنس إلَّا بدعوة مستقيل، أو نعمة مستنيل، حتى انجابت لم يحل لها حُباه، ولا صرف فيها رأيهُ ولا هواه، وقد أثبت مما وجدت له ما يملأ الأسماع، ويرهف الطباع، ويجاوز حدَّ الإجادة والإبداع.

ثم ذكر شيئاً من شعره وقال: وهذه نبذة تظهر للقريب الغريب، اختلستها خلسة الذيب، واحتملت فيها منه مضض اللوم والتثريب لانتقائه جملة عن الإقرار بالأشعار، واعتلائه عن الحظو في ذلك المضمار. اللهم إلا ما يجيء به عفواً واسترسالاً، ويدُبُّ على لسانه نمالاً أو سحراً حلالاً.

وأنشد له قوله:

هفوت وأينا يعصي هواه ... إذا نصَّت سوالفها الظباء
فدع لومي فبعض الغي رشدٌ ... حياتي أن يفارقني الحياء

وقوله[٢]:

---

(١) قارن المغرب: ١/٢٤٨.

(٢) ابن خاقان، القلائد: ١/٤٦٤، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٤٩٢، المقري، النفح: ٣/٥٥١، ابن سعيد، المغرب: ١/٢٤٨.

أمْسكُ دارين حيَّاك النَّسيم به | أم عنبرُ الشَّجَر أم هذي البساتينُ
بشاطئ النَّهر حيث النَّورُ مؤتلفٌ | والرَّاحُ تعبقُ أم تلك الرياحينُ

وقال ابن بسام أعقاب ما أنشد له من النظام [٣١٤]: انتهى ما اختطفته من هذه البدائع الروائع، وإذ قد أعوز مساحها، واستمر مع الأيَّام التياحها، فلنعقبها بما قد أشبهها كثرة طائل، وشرف قائل، مما قد استفدته فأجدته من كلام الوزير أبي الحسين القرشي العامري الذي هو عقلة المستوفر، وفرصة المنتهر، وتحفة الغلام المبرر، وذلك قطعة شعر، بل نفثة سحرٍ، تتعلق ببعض ما أنشدتُ وبه أشرتُ.

قال يصف ما يوضحه فيستملحه:

لله بالربوة العلياء ليلتنا | والراح يأخذ منا والرياحينُ
أيام جادت لنا الدنيا بما ذخرت | من النعيم ولم يبخل بنا الدينُ
والعين من أمة الرحمن قد مُلئت | حسناً وأبهجها قرب وتمكينُ
غرَّاء تزهى بها خولان إن فخرت | وإن تهادت فنعمان ويبرينُ
لا مثل منطقها المعسول منشده | وإن نحيا تناستنا أفانينُ
أمسكُ دارين حيَّاك النسيم به | أم عنبر السحر أم هذي البساتينُ
يا روضة بأنيق الحسن خاليه | وحب روض الربى وردٌ ونسرينُ
هل تذكرين فدتك النفس من عدةٍ | جرت بها للهوى الطيرُ الميامين
وحاس للمجد أن لا يقتضي وطرٌ | يعني به منك ذاك اللطف واللين

ثم قال: أردت حسن التضمين لقول الوزير أبي أيوب فانظر ما أبدع هذا الامتزاج والالتفاف، وابرع هذا الازدواج والائتلاف كما التقى الثريان، واتسق سحر البيان، بل كماءِ الغمام، وصفو المدام، ولا غرو أن تعارفت تلك الأرواح، وتشاكلت الطباع [٣١٥] فاطرد هذا الإعراب والإبداع.

ومنهم:

٤٠ ـ أبو الحسين القرشي

أبو الحسين القرشي العامري. وهو سالم بن محمد بن سالم بن محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن أحمد بن مسلم بن طلحة بن مسلم بن عبدالعزيز بن عبد زمعه بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. هكذا ساق نسبه ابن بسام. واطلع بشره في أسرّة الوجوه الوسام، وطبع منه أمضى من الحسام، وساق نسبه إظهاراً لشرفه، وبِداراً إلى ما يوصف من مجد سلفه إذ كان من قريش البطاح، وفي عامر فادمة الجناح. من ذوي مكّة وعُمّارها، وسكان واديها وسُمارها. من بقية ذلك الجيل وأهل الأذخر والخليل. سكنوا أشرف المدن، ونحروا شوارف البُدن، وتفرعوا من شجرةٍ مباركة، وأسرةٍ قلاصها فوق النجوم باركة.

وقال ابن بسام[١]:

والنضر هو نبعة قريش الذي يضمهم دُوحها، ويعلّهم روحها، قلت، الصحيح أن فهراً نبعة قريش التي ترويهم مدودها، وقاد بهم جدودها. ومن تجاوزه لم يُعدُّ سهمه من ذلك النبع، ولا يعرف قسمه في ذلك الربع.

ثم قال ابن بسام:

ولله أبو الحسن فإنّه جلدة بين الأنف والعين، فإن يكن قد نماه الأبطح، وجلّاه الحسب الأوضح. فلقد باء بمزيّة الصهر الكريم، وشرف الحديث والقديم لأن عبد زمعة المعدود من نفره. الموجود فيه كريم جوهره، هو أخو سودة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ. وجدّ جدّه إسماعيل هو الطالع على شرف الأندلس في سلطان الحكم المستنصر بالله رحل من مصر مع الستين والثلاثمائة من دخول بني عبيد إليها واستيلائهم عليها، هاجراً للوطن، فاراً بدينه وسرٌ يقينه المستبطن، وآثر بوفادته وسائر قادته بني أمية على بني

---

(١) لم ترد ترجمته في المطبوع من الذخيرة.

العباس لانتظام بني عامرٍ في الحروب العلوية معهم، ونزوعهم فيما شجر بين السلف منزعهم. فحل يومئذٍ لدى الحكم على السعة والرحب والصاغية الكريمة والقرب.

وجعل يحدث عن ابن سفيان [٣١٦] وعن فُلٍ وفلان من علماء مصر في ذلك الزمان، فلما ثارت الدولة العامرية حين تقلَّصت ظلال قريش، وتنكَّر لهم ما عهدوا بقرطبة من خفض العيش آوى إلى اشبيلية فأوطنها داراً، واتخذها قراراً، وبها لقيه ابن عبدالبر علّامة الأندلس، ومحيي آثارها الدُرُس، فدرس عليه واقتبس مما لديه.

ثم نقل ابن بسام ما قيل في خبر هذا الرجل ثم قال:

ولم يزل عقبُه على تخرُّم المنون، وتنكّر الدهر الخؤون، ذوي العرض المصون، إلى أن نجم فيهم هذا النيِّر الثاقب، ونشأ هذا الصبُّ الراكب، فرجح بالجميع، وذهب بما هنالك من عميدٍ وبديع مع أدبٍ كروض الحزن، ولؤلؤ الحزن، وبلاغةٍ أربت على كل ظن وبراعة، أخذت من العُلوم في غير ما فنٍّ إلى شيمةٍ كالزلال وهمّةٍ على قمَّةِ الهلال.

قلت: أما قول ابن بسام أن النضر هو نبعة قريش يضمهم دوحها، فهو مما قاله بعض النسابين، والأكثرون على أن فهر بن مالك هو جماع قريشٍ، وأنَّ من يجاوزه ليس بقرشي، وعلى هذا كتب الأنساب. وهو الذي عملنا عليه في هذا الكتاب.

ومما أنشد ابن بسام لهذا الرجل قوله:

لانت لك الأيام بعد شماسِ ... وحللت منها في ظلال كناسِ
وضعت عليك برود عزٍّ أقعبِ ... تبقى ولا تبلى بطول لباس
وجرت سعودك غير وانيةِ المدى ... جري الخلافة في بني العباس
أنت الذي بك المكارم هزَّةٌ ... ليست لفرع البانةِ الميّاس [٣١٧]
ما مالك بن الذئب أو ما حاتم ... كُلّاً سبقت إلى الندى والباس
لهفي على تلك النهى مُنثالة ... بغرائب الآداب والإيناس
أغدوا إذا عاطينها وكأنّما ... لعبت بأعطافي حُمّيا الكاس
إن فرّق الدهرُ المذمَّم بيننا ... فالدهر للأحرار غير مواس

واهاً على عهد بمُنعرجِ اللوى لدنٍ كما اهتزَّ القضيب الكاسي
وإليك من سرِّ الضلوع تحيةٌ تندى على مُتضرِّم الأنفاس

وقوله:

سقى الروض مختالاً به العلمُ الفرد ملئت لجيد الزهر من نظمه عقدُ
وحيًّا الأراك الدوح تهفو به الصبا كما رُنِّح النشوانُ ساوره الوجدُ
ولا برحت نفحةُ يمنة تجافي لها من سرِّها البانُ والرندُ
وبالخيمة القصوى عقيلة ربربٍ لبرد ثناياها على كبدي بردُ
ليصغي إلى الجرس الخفي لعلني خلصتُ ودوني حَدقٌ رمدٌ
وليلتنا بالجزع والطلُّ ساقط ودوني فتيانٌ من الأيك ممتدُ
يحوم ولا المام إلا بسلسلٍ على الرشف ما الصهباء منه ولا الشهد
ومن دون نجوانا استماعةُ صاحبٍ تواصت لدى كتم السَّرارية الهندُ
تفاوضه النكباءُ سرُّ حديثها فتطويه إلا ما جنى المسك والندُ
خليلي هل ليلي ونجد كعهدنا فيا حبذا ليلى ويا حبذا نجدُ

ومنهم:

٤١ - ابن المصيصي(١)

أبو الوليد حسان ابن المصيصي. شام خُفض له الجناح، ونُقض مرودُ الليل على الصباح، خاض عُباب الفجر، وآض يقتحم عتاب الرجز [٣١٨] إلى أن حصَّل من ذهب الأدب ما كنز، وحصَّن من فرائد الفراقد ما ركز، ودانى الأفق ونادى فأسمع أشتات الطرق.

ذكر ابن بسام كلاما معناه(٢):

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٤٣٣/١، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٩١/٢، المقري، النفح: ٣٠٧/٤.

(٢) قارن الذخيرة: ق٢ م٤٣٣/١.

إنه كان بين ابن المصيصي هذا وبين أبي بكر بن عمّار، وأبي بكر ابن الملح صداقة مُداخلة ورياسة مماثلة، ثم تباينت أحوالهم في الرتب، وتنأت بهم هممهم في المكتسب ثم قال: وأما حسّان هذا فصدق الحملة، ولزم الجُملة، ورضي من ابن عمارٍ بوطء عقبه، ولزوم موكبه[1]. وابن عمار يرعاه لمكانه ويخاف انتباه المعتمد لشأنه حتى زاحمه أخيراً بالأديب أبي محمد عبدالجليل، فأقرَّا له بالفرق، وأخذ منهما جميعاً قصب السبق.

ثم كان ابن عمار كلما مرَّ ذكر عبدالجليل ألقى بيديه، وشهد له بالفضل عليه، وليت[2] الحظوظ بالأقدار، والأمور على الاختيار.

ولما أنشأ المعتمد لابنه الفتح دولته بقرطبة المقدَّمة[3] الشرح أصحبه حسان هذا كاتب سرِّه، وصاحب أكثر أمره.

وقد أخرجت من شعره أعدل شاهدٍ على ما أجريت من ذكره. انتهى كلام ابن بسام.

ومما أنشد له قوله في ابن عبادٍ[4]:

من استطال بغير السيف لم يَطُلِ ... ولم يخف من لجاجِ سائل الأسلِ[5]

أعدتْكَ صحبتكَ الأرماحَ شيمتَها ... فانفذْ نفوذ القنا في الأمر واعتدلِ

وإن أتتك أمورٌ لم تُعِدَّ لها ... فانهضْ برأيك بين الرَّيث والعجلِ

حاز المؤيَّدُ مما قُلتُ أفضَلهُ ... وزاد للفرقِ بين القول والعملِ

ملكٌ تواصلُهُ الدُّنيا ويهجرها ... سرّاً ويلبسُ تقوى الله في الحُللِ

جَرَّ الذيولَ ولكن من جحافلهِ ... على القَتَادِ ولكن من شبا الأسلِ

(١) الذخيرة: مركبة.
(٢) الذخيرة: وليست.
(٣) الذخيرة: المتقدمة.
(٤) الذخيرة: ق٢ م١/٤٣٧.
(٥) الذخيرة: لم يخب من نجاح.

[٣١٩] وقوله فيه[١]:

بياضَ أياديكَ تحكي الصِّفاحُ ... ومثلَ نفاذِك تحذو الرِّماحُ
وانبتَّ للحرب شوك القَتَاد ... وفتَّحتِ الوردَ فيها الجراحُ[٢]
فما غيرُ أصلك عودُ النُضار ... ولا غيرُ لخمك حيٌّ لقاحُ[٣]
فلو كان ضَيمكَ من ماءِ كرمٍ ... لما شابهُ فيكَ ماءٌ قراحُ
ألم تر غادِرَ أسطبةٍ ... حوى الخسرُ صفقتَهُ لا الرياحُ
دعا نحوك إذ فتَّش أصحابه ... وقد دلَّ منه عليهم نباحُ[٤]
فداسوا على قَصد الذابلات ... تبكي دماءً عليها الصفاحُ

وقوله يحرضُّه ويُقدِّمه إلى الموت ويعرِّضهُ[٥]:

ليس العلا إلا على كرمٍ ... أيقومُ خطٌ ماله سطحُ
من لخم أصلكَ يا مُملكهم ... في الخطِّ نَبتُكَ أيُّها الرمحُ[٦]
كأسُ المسرَّةِ قد سكرتُ بها ... والحدُّ يُلزمني بأن أصحو[٧]

ومنها:

شِدْ في الوغى لك منزلاً حسناً ... لا يُلهك الديباجُ والصرحُ[٨]
ودع الرياض لمن يلذُّ بها ... ما إن لغير مكارمٍ نفحُ
أذكى من الآسِ النضير قناً ... وأنمَّ من ورد الربى جرحُ
إن النطاح من الورى خُلقٌ ... حتى الكواكب بينها النُّطحُ

---

(١) الذخيرة: ق٢ م١/٤٤٤.
(٢) الذخيرة: وأنبتت الحرب.
(٣) الذخيرة: عود نضار، ولخمك أي قبيلة لخم.
(٤) الذخيرة: سيدعى براقش أصحابه ... فقد دلّ.
(٥) الذخيرة: ق٢ م١/٤٤٥.
(٦) الذخيرة: يا مملك أم.
(٧) الذخيرة: متى أصحو.
(٨) الذخيرة: خشناً لا يهلك.

قال ابن بسام[1]: وهذه المقطوعة له من التحريض الحسن لولا اعتراض المقادير أن تمر بأذن.

ثم نعود إلى بقية مما أنشده له: [٢٢٠]

فمنه قوله[2]:

غنَّى الحمامُ ولو رآني ناحا ... وأعارني نحو الديارِ جناحا[3]

ونعم كلانا فاقدٌ محبوبَهُ ... قَلقٌ ولكنِّي كتمتُ وباحا

ثم انثنى ليغلَّني ريقاً ومنْ ... قد مات سُكراً كيف يشربُ راحا

فعففتُ عن رشفي مُدام رضابهِ ... وجنيتُ من وجناته التُّفَّاحا

سُبحانَ من خصَّ المؤيِّدَ بالعلا ... كهلاً وعمَّ بحبِّه الأرواحا[4]

يا أهل قرطبةَ اغرفوا من بحره ... فلطالما خضخضتم الضَّحضاحا

ومنه قوله فيه وذكر ابنه[5]:

روضُ الشَّبابِ تناوبتْ أزهارُهُ ... ولّى بنفسجهُ وجاءَ بهاره

ودَّ المها لو أنَّ اسودَ لحظها ... أضحى خضاباً حين شاب عذاره

ترك التي اشتمل الكثيبَ إزارها ... منه الذي اشتملَ العفافَ إزاره[6]

إنِّي على هذا لأسمعُ بالصِّبا ... فيسرُّني مُتعلِّلاً أخباره[7]

وأميلُ نحو الروض فارقه الحيا ... حيناً فتدمع إثرَهُ جوَّاره[8]

---

(١) الذخيرة: ق٢ م١/٤٤٥.

(٢) الذخيرة: ق٢ م١/٤٤٦.

(٣) الذخيرة: نحو الحبيب.

(٤) الذخيرة: بالعلا كملاً.

(٥) الذخيرة: ق٢ م١/٤٤٩.

(٦) الذخيرة: ترك الذي.

(٧) الذخيرة: فيسرني ممن صبا أخباره.

(٨) الذخيرة: أثره نواره.

وكـأنّـمـا خـدُّ الـحـبـيـب شـقـيـقـهُ   خـجـلان أو وجـهُ الـمـحـبِّ عـذاره
فـكـأنـنـي مـمـا ضـمـمـتُ وشـاحُـهُ   وكـأنـنـي مـمـا شـرقـت سـواره[1]
قـل لـلـمـؤيـد إذ تـقـيّـلـه ابـنـهُ   إن الـدّجـى مـتـشـابـهٌ أقـمـاره
إن تُـمـضـهِ رمـحـاً فـأنـت وشـيـجـهُ   أو تُـورِه قـبـسـاً فـأنـت غـراره[2]

[٣٢١] ومنهم:

٤٢ ـ ابن الجد[3]

أبو الحسين محمد بن الجد. مُثقف عوالٍ ومُقوّمُها، ومُتخير لألٍ ومُقوِّمُها، صعد به الجدّ، ومضى بشبا قضبه الحدّ، وتجاوز فضله العدَّ. ووصل علمه جناح البحر بالمدّ، ولم يكن في أهله إلّا مُلتحف بالوقار، مجتحف للبحار، مُتَّصف بفرائد الدُّرّ الكبار.

وهو منهم مكان المسك من الطُرر، والشذا من الزهر.

ذكره ابن بسام وقال[4]:

قد قدّمتُ ذكر بني الجد، وذكرت أنّهم كانوا صدور رُتب، وبحور أدب، مع اشتهارهم بصحبة السلطان، وشرفهم على وجه الزمان.

وأبو الحسين هذا كان من أسنى نجوم سعدهم، وأسمى هضاب مجدهم. وقد استكتبه أبو بكر بن عمار أيام حربه بمرسيه [٣٢٢] وله معه أخبار مذكوره، ورسائل مشهورة، ولم أقع له وقت هذا التصنيف إلّا على اليسير والطفيف.

ومما أنشد له قوله[5]:

---

(١) الذخيرة: فما ظمئت.

(٢) الذخيرة: فأنت عفاره.

(٣) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٥٥٦، ابن سعيد، المغرب: ١/٣٤٠ وكنيته أبو الحسن.

(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٥٦.

(٥) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٥٩.

كتبتُ وقد عالت عزائي أشجانُ وقد شَرِقتْ بالدمع والدمِ أجفانُ
وقد وقذتني نبأةُ الخطبِ لم تصخْ إلى مثلها في سالف الدَّهرِ آذانُ

ومنه قوله(١):

أهدى الزمرّد مونقاً ومنوَّراً عجباً تطلَّع كلُّ لحظٍ أبصرا(٢)
فحسبتُه من قلبه ومودَّتي حجراً وريحاناً يرفُّ مُعطّرا
وزجرتُ منه بأنَّ قسوتهُ انثنت ليناً كخدٌّ منه رقَّ وعذرًّا
ولئن كتمتُ الحبَّ فيك صبابةً وضنانةً فكفى بجسمي مُخَبِّرا(٣)

ومنه قوله(٤):

تحكَّمت اليهودُ على الفروجِ وتاهت بالبِغال وبالسُّروجِ
وقامتْ دولة الأنذال فينا وصار الحكم فينا للعلوجِ
فقلْ للأعور الدَّجالِ هذا زمانك إن عزمتَ على الخروجِ

ومنهم:

٤٣ ـ أبناء حزم ـ أبو الحكم(٥)

ابنا حزم وهما أبو الحكم عمروبن مذحج، وابن عمّه أبو الوليد، يفوق منهما كل وحيد، ويفوت العجال سيرة الوئيد، ناظراً متمتع، ومسمَّعاً مُتطلّع، وكانت نجوم ذلك الحين تحسن اصطحاب فرقديهما، وتعاون يديهما، فتزيَّنت لوامع الأيام منهما بمشرقين، وحُنيت بهما على الأنام أضالع الأفقين.

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٦١.
(٢) الذخيرة: الزمرد مورقاً.
(٣) الذخيرة: فيه صيانةً.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٦٢.
(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٥٨٨، ابن سعيد، المغرب: ٢٣٨/١، المقري، النفح: ٣/ ٤٧٠.

ذكرهما ابن بسام، فقال[١]:

وأبو الحكم في وقتنا شقيق الوفاء، وخاتمة من حمل هذا الاسم من النجباء، [٣٢٣] وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الإحسان قبلةً، وحُجةً على من جعل النقصان جبلَّةً، إذ عن كلِّ قوس من الفخر أنزع[٢]، وفي كلِّ أفقٍ من علو القدر طلع. أوّل ما نشأ بدرَ فلك، ومسحةَ ملك، وإكليلاً على جبين ملك. قلما عنَّ لبصرٍ[٣] إلّا راقه، ولا اختلج ذكره في قلب بشر إلّا شاقه.

وإياه يعني الوزير أبو الحسن ابن السيد البطليوسي، وقد غلب على لبّه وأخذ بمجامع قلبه، عجباً منه وإعجاباً[٤] به. وقال[٥]:

رأى صاحبي عمراً فكلَّفَ وصفهُ	وحمّلني من ذاك ما ليس في الطوقِ
فقلتُ له عمرو كعمرو فقال لي	صدقتَ ولكنْ ذاك شبَّ عن الطوقِ

وفيه يقول هو أو الوزير أبو محمد بن عبدون[٦]:

قل لعمرو بن مذحج	خاب ما كنتُ أرتجي
شاربٌ من زبرجد	ولمىً من بنفسجِ

فلما همَّ ليله بنهارهِ، ودبَّ على سيف وجنتهِ فرند عذاره، راع المجدَ بحزم كرم، وأُسرّة[٧] سيف وقلم. فمن سارى نجوم الليل، وأمَلَّ[٨] صهوات الخيل، وعلى ذلك كله

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٥٨٨/٢.

(٢) الذخيرة: نزع.

(٣) الذخيرة: لنظر.

(٤) الذخيرة: أو عجباً به.

(٥) الذخيرة: ق٢ م٥٨٨/٢.

(٦) الذخيرة: ق٢ م٥٨٩/٢.

(٧) الذخيرة: ونبوة.

(٨) الذخيرة: واحتلَّ.

فلم ينسَ مكارمَ الأخلاق، ولا خلا ذكرهُ من قلوب العشّاق، وله في الأدب سبقُ سَلَفْ، ومنه بيتُ شرفٍ، وله شعر مطبوع.

ومما أنشد له قوله[(١)]:

أرى الدَّهر أعطاك التقدُّم في العلا ... وإنْ كان قد وافى أخيراً بك الدَّهرُ[(٢)]

لئن حازتِ الدُّنيا لك الفضل آخراً ... ففي أخرياتِ الليلِ ينبلجُ الفجرُ

وقوله[(٣)]:

زُرني فَديتكَ يا زعيمَ الناسِ ... لترى بُدوراً من كبارِ أُناسِ

[٣٢٤] يا راضعاً دُرَّ المكارم عُج بنا ... «ما في وقوفك ساعةً من باسِ»[(٤)]

وقوله مما كتبه إلى أبي العلاء بن زهر[(٥)]:

لعمرو العلا لولا أبوها وذكرهُ ... لما شاقني برقٌ ببُرقةِ صادرِ

ولا بتُّ والظلماءُ أثمدٌ مقلتي ... يؤرِّقها بيضُ النجومِ الزواهرِ

وهبتُ فؤادي للبشير بعودهُ ... سليماً ولم أبخلْ عليه بناظري[(٦)]

وقوله فيه وقد جاز البحر معه[(٧)]:

يا ابن زُهرٍ طأ الثريا عبيراً ... وحصى البيد لؤلؤاً وعقيقاً

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩١.

(٢) الذخيرة: قد أوفى.

(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٢.

(٤) الذخيرة: قف بنا وعجز البيت، صدر بيت لأبي تمام، وهو:

ما في وقوفك ساعة من باس ... نقضي ذمام الأربع الأدارس.

الديوان: ٢/٢٤٢.

(٥) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٣.

(٦) الذخيرة: للبشير بأوبه.

(٧) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٥.

وتـلـقَّ الـهـواءُ وهـو طـلـيـقٌ   كـمـحـيَّاكَ حـيـن تـلـقـى الـصـديـقـا
مـا تـرى الـرِّيـح كـيـف هـبَّـتْ رخـاءً   لـك بـعـد الـهـبـوب ريـحـاً خـريـقـا
وصـحـا الـبـحـر هـيـبـةً لـك لـمـا   جـئـتـه سـالـكـاً عـلـيـه طـريـقـا[1]
غَـمَـرتْـهُ مـن راحـتـيـكَ بـحـارٌ   صاح من بعضها الغريق الغريقا
فـبـرقَ الـيـمُّ مـنـك حـيـن اسـتـطـارت   مـنـه أحـشـاؤه فـريـقـاً فـريـقـا[2]
جُـزهُ يـا ابـن الـكـرام أرضـاً ذلـولاً   أو فَـقُـدْهُ إن شـئـتَ طـرفـاً عـتـيـقـا
وانتضِ الحزمَ حيث كنت حساماً   واصحبِ اللَّج حيث كان رفيقا[3]
وتـفـيـأ عُـلاكَ ظـلّاً ظـلـيـلا   وتـنـشَّـقْ ذكـراك مِـسـكـاً فـتـيـقـا

وقوله مما كتب به لابن عمه أبي الوليد[4]:

لا غـرو إن بَـعُـدتْ دارٌ مـصـاقـبـةٌ   نـبـا وجـدٌّ بـنـا فـي الـحـضـرةِ الـسـفـرُ
فـمـحـجـرُ الـعـيـن لا يَـلـقـاهُ نـاظـرهـا   وقـد تـوسَّـع فـي الـدُّنـيـا بـه الـنـظـرُ

ومما أجابه أبو الوليد به [5]: [٣٢٥]

إيـهِ أبـا حـكـمٍ فـالـودُّ مـقـتـربٌ   وإنْ تـبـاعـدتِ الأشـخـاصُ والـصـورُ
لا عـتـبَ فـالـودُّ يـمـحـو مـا أتـيـتَ بـهِ   حـسـبـي مـن الـذنـبِ تـجـنِّـيـه وأعـتـذرُ
يَـنْـبو لـسـانـي عـن عـتـبِ الـصـديـق ومـا   أزرى بـغَـرْبَـيـه لا عـيٌّ ولا حـصـرُ
ضـنـانـةٌ بـخـلـيـلـي أن أفـارقَـهُ   ما القوسُ إن لم يكن يوماً لها وترُ[6]

قال ابن بسام[7]:

(١) الذخيرة: وضحى البحر.
(٢) الذخيرة: فرق اللج منك حتى.
(٣) الذخيرة: واصحب النجح حيث كنت.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٧.
(٥) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٧.
(٦) الذخيرة: بخليل.
(٧) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٧.

وقدم أبو الحكم من بعض أسفاره، فكتبت أنا إليه بأبيات منها:

يهني قدومك كُلًّا يا أبا الحكمِ ... يا دوحةَ العلمِ والآدابِ والحكمِ
مُذ غبتَ ما رتَقَتْ عيني إلى سِنةٍ ... يا عمرو إلا لكي ألقاك في الحُلمِ
إن كنتُ من تغلبٍ في بيتِ سؤددها ... وكنت من مُذحجٍ في السؤددِ العَممِ
فلم يضرنا تنائي النسبتين وقد ... رحنا نسيبين في علمٍ وفي فهمِ[1]
والعذرُ في زمنٍ إن جئتَ في أممِ ... ما الجيلُ جيلك فاعذرهم ولا تَلُمِ[2]

فراجعني بأبياتٍ منها قوله[3]:

يا من تناول حُرَّ اللفظِ من أممِ ... بذي غرارين مثل الصارمِ الخذمِ
لو أنَّ لفظَك تُهديهِ إلى حجرٍ ... لما استجيز عليه الوصفُ بالصممِ
هذي جوارح جسمي كلُّها أُذُنٌ ... مذ جاز منكَ بأذني لؤلؤُ الكلمِ[4]
من تغلب أنتَ في علياء مركبها ... فمن يباريك في مجدٍ وفي كرمِ[5]
قومٌ أراد ابن هندٍ أن يضيمهُم ... فأوطأوا الرأسَ منه مفرقَ القدمِ[6]
مآثرٌ قُسِّمت بين الورى وغدا ... للتغلبيين منها أوفرُ القسمِ

قلت: لو قال للتغلبيين منها أغلب القسم كان أحسن.

ثم قال ابن بسام:

ومن أبناء هذه القبيلة وشعراء هذه [٣٢٦] البيتة الأصيلة ابن عمه.

---

(١) في الأصل: فلم يضر.
(٢) الذخيرة: لا الجيل.
(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٧.
(٤) الذخيرة: مذ جاء.
(٥) الذخيرة: مركزها.
(٦) الذخيرة: أخمص القدم.

ومنهم:

٤٤ ـ أبو الوليد ابن حزم[١]

أبو الوليد محمد بن يحيى بن حزم. أحد أعيان الأدب، وأجلى الناس شعراً لا سيما إذا عاتب أو عتب، جعل هذا الغرض هجيراه، فقلَّما يتجاوزه إلى سواه. وفي كلٍّ معنىً يحسُنُ أكثر مما يمكن، ولكن رأيته في باب العتاب يُعلن بأمره، ويُعرِبُ عن ذات صدره[٢].

ومما أنشد له قوله[٣]:

أتجزعُ من دمعي وأنت أسَلْتَهُ ... ومن نارِ أحشائي ومنك لهيبها
وتزعم أنَّ النَفَسَ غيركَ عُلِّقت ... وأنت ولا مَنٌّ عليك حبيبها

وقوله[٤]:

وطارحَكِ الواشون عنِّي سلوةً ... مُغالطةً هيهات ذاك بعيدُ
وكيف سُلوِّي عن هواكِ وإنَّه ... لَيَبْلَى فؤادي وهو فيه جديدُ[٥]
بلى إنْ عَرَتني فترة الصبر هزَّني ... تذكر أيامي بكم فأعودُ

وقوله[٦]:

وكم ليلةٍ ألْطفتُ بالمنى ... فقمتُ أبادرُ إلطافها
بشمس إذا ما تأمَّلتها ... رددتَ على الشمس أوصافها
بفترة لحظٍ كأنَّ الكرى ... أعانَ عليها وإنْ خافها

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٨، ابن سعيد، المغرب: ١/٢٣٩، المقري، النفح: ٣/ ٤٧٢.

(٢) قارن: الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٨ ـ ٥٩٩.

(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٩.

(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٥٩٩.

(٥) الذخيرة: فيك جديد.

(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠٠.

وإنّـي وإن عِـفـتـهـا مُـعـلـنـاً لأعـذلُ فـي الـسـرِّ مـن عـافـهـا

وهـبَّـت عـلـيـنـا صـبـاً رطـبـةً وقـد عـابـث الـطـلُّ أعـطـافـهـا

وقـد بـثَّـهـا الـروضُ بـهـجـر الـحـيـا فـجُّـرتْ عـلـى الـنـورِ أطـرافـهـا

وخَـيْـلُ الـظـلام أمـامَ الـصَّـبـاح والـركـضُ قـد ضـمَّ أجـوافـهـا

[٢٢٧] وقد فـضَّـضَ الـفـخـرُ أذيـالـهـا وزاد فـذهَّـبَ أعـرافـهـا

وكـابـرت الـبـدرَ شـمـسُ الـضـحـى فـمـدَّت عـلـى الأرضِ أكـنـافـهـا[1]

وغـاضـبـتِ الـسُّـحـبَ فـيـهـا الـرِّيـاح فـصـرّت مـن الـغـيـظ أخـلافَـهـا

وذكّـرنـي نـادرات الـحَـمـام حَـمـائـم تـنـدبُ أُلّافـهـا

وقوله[2]:

كـم قـلـتُ فـيـه مُـعـرِّضـاً ومُـصـرِّحـاً أكـذا عـلـقـتَ ضـلالـةً بـفـلان[3]

هـيـهـات لـولا غُـنـج فـاتـر لـحـظـه مـا كـنـت نُـهْـزَةَ أعـيـنِ الـغـزلان[4]

منها قوله:

والـشَّـمـسُ تـرمُـق مـن مـحـاجـر أرمـدٍ والـظـلُّ يـركـض فـي الـنـسـيـم الـوانـي

والـراحُ تـأخـذُ مـن مـعـاطـفِ أغـيـدٍ أخـذ الـصَّـبـا مـن عـطـفِ غـصـن الـبـانِ

حـتـى إذا ضـربَ الـظـلامُ رواقـهُ وخـشـيـتُ فـيـه طـوارق الـحـدثـانِ

مِـلـنـا نُـؤمِّـلُ غـيـر ذلـك مـنـزلاً والـراحُ تَـقـصُـر خـطـونـا فـتُـدانـي[5]

والـبـدرُ يـرمـيـنـي بـمُـقْـلـةِ حـاسـدٍ لـو يـسـتـطـيـعُ لـكـان حـيـثُ يـرانـي

وقوله[6]:

---

(١) الذخيرة: وكاثرت البدر شمس بدت.

(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠١.

(٣) الذخيرة: قلت فيك.

(٤) الذخيرة: غنج لحظ محمد.

(٥) الذخيرة: خطوه فيداني.

(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠٢.

فاطلع طلوعَ الشَّمسِ أو معها ... بيدِ السُّرورِ على قفا الحَزَنِ[1]
في ساعةٍ سَمَحَ الزمانُ بها ... فكأنَّما هي لذَّةُ الوَسَنِ

وقوله[2]:

وكم ليلةٍ بات الهوى يستفزُّني ... ولا رقبةٌ دون الأماني ولا سترُ[3]
وفي ساعدي بدرٌ على غصن بانةٍ ... يَودُّ مكاني بين لبَّاتهِ البدرُ
[٣٢٨] وفي لحظةٍ كالسُّكر لا من مُدامةٍ ... ولولا اعتراضُ الشكِّ قلتُ هو السُّكرُ
فلم يكُ إلا ما أباحَ لي التُّقى ... ولم يبقَ إلَّا أن تُحلَّ لي الخمرُ

وقوله في قريب منه[4]:

وكم ليلةٍ ضافرتْ في ظلِّها المنى ... وقد ظفرت من أعين الرقباء[5]
وفي ساعدي حُلو الشمائلِ مترفٌ ... لعوبٌ بيأسي تارةً ورجائي
أطارحُهُ حُلو العتابِ وربَّما ... تغاضَبَ فاسترضيتُهُ ببكائي
وفي لحظهِ من سَورَةِ الكأسِ فترةٌ ... تمتُّ إلى ألحاظهِ بولاءِ
وقد عابثته الرَّاحُ حتى رمَتْ بهِ ... لقىً بين ثنيي بُردي وردائي
على حاجةٍ في النفسِ لو شئت نلتها ... ولكن حمتني عفَّتي وحيائي

وقوله[6]:

وقد قامَ في وجهِ النَّسيمِ غُزيِّلٌ ... تغازُل عطفيه صَباً وجنوبُ
وسدّ طريق الشَّمسِ بدرٌ إذا بدا ... أهلَّتْ عيونٌ بالهوى وقلوبُ
وتحت جناحِ الغيم أحشاءُ روضةٍ ... بها لخفوقِ العاصفاتِ ضُروبُ
وللزَّهرِ في ضمن الرِّياض تبسُّمٌ ... وللطيرِ من فوقِ الغصونِ نحيبُ

---

(١) الذخيرة: فيد السرور.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠٢.
(٣) الذخيرة: كاد الهوى.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠٣.
(٥) الذخيرة: وقد طرفت.
(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠٨.

وقوله[1]:

وكأنّما غمز الكرى أجفانه ... فَتَصرَّجتْ وَجَناتُه منها دما[2]
فلئن هممتُ فغيرُ مشدودِ الحبى ... أو إن عففتُ فغير ممنوع اللمى[3]
ولقد قنعتُ فلا قنعتُ بزوْرةٍ ... ولقد نجوتُ وما نجوتُ مُسلِّما
فأبحتُ سرَّ الهوى مرتادَ الهوى ... ومنعتُ طير الوجد أن يترنَّما[4]

[٣٢٩] وقوله[5]:

خُذها أبا العبَّاسِ قولةَ مُخلصٍ ... إن وافقتْ من مسمَعَيْك قُبولا
تَطْغى ويحفظها الحياءُ وربَّما ... مالَ العتابُ بها عليكَ قليلا[6]
فارفقْ فثمَّ وإن صدَرتْ بقيَّةٌ ... تأبى على رغم السُّلوِّ رحيلا[7]
فلطالما أجريتَ أجفاني دماً ... وملأتَ أضلاعي جوىً وعليلا

وقوله يخاطب ابن عمه أبا الحكم[8]:

أعمرو وكم أطامِنها حياءً ... فتُطغيها معاتبةُ الأماني
وإن وقفَ الغرامُ بها قليلاً ... فعذرُ أخيك في جفني فُلانِ

وقوله مما يخاطب به ابن عمه أبا بكر[9]:

وأرسلتُه سهماً سديداً إلى العدا ... فأخطاهم عمداً وعاد إلى نحري[10]

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٠٩.
(٢) الذخيرة: غمر الكرى.
(٣) الذخيرة: ولئن عففت.
(٤) الذخيرة: فأبحت سرح اللهو.
(٥) الذخيرة: ق٢ م٢/٦١٠.
(٦) الذخيرة: ويمنعها الحياء.
(٧) الذخيرة: وارفق.
(٨) الذخيرة: ق٢ م٢/٦١٠.
(٩) الذخيرة: ق٢ م٢/٦١٢.
(١٠) الذخيرة: وعاج إلى نحري.

أريشُ ويبري أعظمي غير مقصِّرٍ فيا ليت شعري كم تريش وكم تبرى[1]

ومن مراجعة ابن عمه أبي بكر له[2]:

ولما رأى حمصَ استخفَّت بقدره على أنَّها كانت به ليلةَ القدرِ
تحمَّلَ عنها والبلادُ عريضةٌ كما سُلَّ من غمد الدُّجى صارمُ الفجرِ

ومما أنشده لأبي الوليد[3]:

وإذا الزَّمانُ رمى إليك مُسالماً وأمِنْتَهُ فاحذر من الإخوان
وسَجيَّتي ما قد علمتَ وربَّما صدئ الحُسامُ من النجيع القاني

وقوله[4]:

نبذتُ إليكَ الناسُ لا غادراً بهم ولا طالباً جدواكَ إن خيَّم المحلُ
[٣٣٠] ونكَّبتُ عن قومٍ مضوا وبودِّهم لو أنَّ تُرى رجلي لأعينهم كحلُ[5]

ومنهم:

٤٥ ـ ابن هارون الشنتمري[6]

أبو الحسن بن هارون الشنتمري. رجل كان نظره وقف النظرات، ووفق الحظرات وعفافه ملؤ البرود العطرات، والعقود في أجياد الخفرات، أوقد ذكاؤه ضلوع البرق زفرات، وقطع كبد الغمام حسرات، وأجرى شؤون الأنواء عبرات، تجدد غَزلُ شعره البواعث، ويهبُ فضل سحره العيون النوافث، أعبق من الصهباء، وأعلق في الأسماء من الأبناء.

---

(١) الذخيرة: كم أريش وكم يبري.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٦١٢.
(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٦١٢.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٦١٣.
(٥) الذخيرة: لأجفانهم كحل.
(٦) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٦٣٧، ابن سعيد، المغرب: ١/٣٩٥.

وقال ابن بسام فيه(١):

وأبو الحسن هذا سهل الكلام، بارعُ النظام، ممَّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه، وجذب بثوبَ البيانِ من كلا طرفيه، فأما سَلَفه من قبل فقد انخدع لهم الزَّمان بُرَيْهةً، وهينَم بأسمائهم السُّلطان هُنيهةً، إلى أن نبَّه الدهرُ الغافل على أمرهم، وأسكت عن ذكرهم.

ومما أنشد له قوله في أسدٍ من ذهب يصبُّ ماءً(٢):

وحديقةٍ شَرِقتْ بغمرِ نميرها ... يحكى صفاءَ الجوِّ صَفْوُ غديرها
تُجري المياهَ بها أسودٌ أحكمتْ ... من خالصِ العقيان في تصويرها
وكأنَّها أُسدُ الشَّرى في شكلها ... وكأنَّ صوت الماء صوتُ زئيرها(٣)

وقوله(٤):

انظر إلى ثابتٍ على طَرفِه ... قد سلّ سيفَ المنون من طَرْفِهِ
وهزَّ من قَدِّه لواءَ ردىً ... يُردي الصحيح السليم من حتفهِ(٥)
يطوف بالحجِّ منه بدر دُجىً ... على جوادٍ كالبرق في خطفهِ
يكاد من لينه ونعمته ... يُعْقَدُ عَقْدَ العِنانِ في نصفهِ

[٣٣١] ومنهم:

٤٦ ـ ابن مُقانا الأشبوني(٦)

عبدالرحمن بن مقانا الأشبوني، أبو زيد. نطق والمشرفيَّةُ سكوت، وتكلَّم وصُمُّ القنا صموت، وجاء بالعجب وطرف النجم مبهوت، وجرَّ بلمَّة الصبا وعليها المسك مفتوت.

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٣٧.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٣٨.
(٣) الذخيرة: وكأن وقع الماء.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٦٣٩.
(٥) الذخيرة: يدلي الصحيح.
(٦) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٨٦، ابن سعيد، المغرب: ٤١٣/١، المقرين، النفح: ٢١٤/١.

صفا غديره ثم ترنّق، وطال ذيله ثم تبنّق لنبو زمان، تجمع خاطره ثم تفرّق، وهجع طرفه ثم تأرّق، وكان لا يصعب معاناة القريض، ومُباهاة الأنجم منه والفرقد، ثم رأى دونه غصصَ الحلق، وفرص الخلق.

وقال ابن بسام فيه[1]:

من شعراء غربنا المشاهير، يعرب عن أدبٍ غزير، تصرَّف فيه تصرُّف المطبوعين المجيدين في عنفوان شبابه وابتداء حاله، ثم تراجع طبعه عند اكتهاله.

ومما أنشد له قوله في ابن حمود، وقد ذكرت منها عند ذكره، والمختار منها هنا قوله[2]:

البرقِ لائحِ من أندرينْ ... شَرِقَت عيناكَ بالدمعِ المعينْ[3]
لعبتْ أسيافُه عاريةً ... كمخاريقُ بأيدي لاعبينْ[4]
عيَّرتني بسقامٍ وضنىً ... إنَّ هذين لزيْنُ العاشقينْ
فاسقنيها مرةً صافيةً ... عُتِّقْت في دنِّها بضعَ سنينْ[5]
مَعَ فتيانٍ كرامٍ نُجُبٍ ... يتهادون رياحينَ المجونْ
شربوا الرَّاح على خدٍّ فتىً ... نوَّرَ الوردُ به والياسمينْ
رَجَّلَتْ دايتُهُ عامدةً ... سَبَجَ الشَّعرِ على عاجِ الجبينْ
ومصابيحُ الدُّجى قد أُطفئتْ ... في بقايا من سوادِ الليل جونْ
وكأنَّ الطلَّ مسكٌ في الثرى ... وكأنَّ الزَّهر دُرٌّ في الغصونْ[6]
والندى يقطرُ من نَرْجسهِ ... كدموعٍ أسلمتهنَّ الجفونْ[7]

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٨٦.

(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩١.

(٣) الذخيرة: ذرفت عيناك بالماء المعين.

(٤) الذخيرة: اللاعبين.

(٥) الذخيرة: سقّنيها.

(٦) الذخيرة: وكأن النور در.

(٧) الذخيرة: أسبلتهن.

[٣٣٢] والثُريًا قد عَلَتْ في أُفقها [فانثنت] عنها عيون الناظرينْ[١]
وانبرى جُنحُ الدُّجى في أُفقهِ ابن حمودِ أميرِ المؤمنينْ
وكأنَّ الشَّمس لما أشرقتْ أُدخلوها بسلامٍ آمنينْ
وجهُ إدريس بن يحيى بن علي وجميعُ الناسِ من ماءْ وطينْ
خطٌّ بالمسكِ على أبوابه إنَّه من نورِ ربٍّ العالمينْ
خُلقوا من ماءِ عَدلٍ وتُقىً لقضيبٍ زاهرٍ من ياسمينْ
انظرونا نقتبسْ من نوركم كغرابٍ طار عن بيضٍ كنينْ

وقوله[٢]:

ولما سقتنا بإبريقها لثمنا يَدَيْها وخلخالَها[٣]
وبتنا وباتتْ على ساقها تُصفِّق للشُّرْبِ جريالها
كأنَّ نجومُ الدُّجى روضةٌ تَجرُّها السُّحبُ أذيالها
كأنَّ الثريَّا بها رايةٌ يقودُ الموَّفقُ أبطالها

ومنهم:

٤٧ ـ القرشي الأشبوني[٤]

علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني، أبو الحسن. وذو اللسن، وأخو النباهة التي يغمضها الوسن، تشقق من شجرة لؤي بن غالب، ولاوى كلَّ غالب، ألقت إلى الأدب طرفه بعض الحين، وجناه غَضَّ الرياحين، ثم أقبل عليه حتى فوّف الوشائع، وشنَّف بالبدائع، وتصرّف في الحكم، وتخطف غُرر الكلم، ولم يخط غرضاً، ولا خلى لمتعلِّلٍ مرضا، وكشف معايب الدنيا الدنيّة، ودلَّ على بواطنها الخفيَّة.

(١) الإضافة من الذخيرة.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩٦.
(٣) الذخيرة: من إبريقها.
(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩٧.

وذكره ابن بسام وقال[1]:

كان يعرف عندنا بالطيطلي[2]، ممَّن نظم الدّرَّ المفصَّل، وطبّق المِفصَل[3]، لا سيما في الزُّهد. فإنَّ أهلَ أوانه، كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه.

[٣٣٣] ومما أنشد له قوله يصف نملةً[4]:

وذات كشح أهيفٍ شخت	كأنَّما بُولغ في النحتِ
كأنَّما آخرها قطرةٌ	صغيرةٌ من قاطر الزِّفْتِ
أو نقطةٌ جامدةٌ خلفها	قد سَقَطَتْ من قلم المفتي
تسري اعتسافاً ولقد تهتدي	في ظلمة الليلِ إلى الخرتِ

ومنهم:

٤٨ ـ ابن البين[5]

محمد بن البين، أبو عبدالله. قصد الجزالة، وما وجد الخزالة، سمق في الأدب شجره، ودفّق البحر وسجره، ثم ابتغى سبباً، وأبدع موجزاً ومُسهباً، فجاء بالثُّريَّا معتجرة، ووافى بعين الصباح منفجرة، وتمذهب به أهل أفقه، وذهب على أثر ابن هاني في أول رفقه، بجدٍّ وما ونى، وقرَّب مما أراد ودنا، وأمسى والفضل لا يفوته، والمسكُ يتضوّع لديه فتيته.

قال ابن بسام فيه[6]:

كان بحضرة بطليوس[7]، مُستظرف الألفاظ والمعاني، وكان يميلُ إلى طريقة

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩٧.

(٢) الذخيرة، بالطيطل.

(٣) «وطبق المفصل» ساقطة من الذخيرة.

(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩٧.

(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩٩، ابن سعيد، المغرب: ٣٧٠/١، المقري، النفح: ٤٥٣/٣.

(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٧٩٩.

(٧) بطليوس: مدينة تقع على الحدود الفاصلة بين إسبانيا والبرتغال، تبعد عن لشبونة ٢٤٠كم وعن مدريد ٣٩٩كم. انظر: يوسف بني ياسين، بلدان الأندلس: ٢٥٧.

محمد بن هانئ، على أنَّ أكثر أهل وقتنا وجمهور شعراء عصرنا إليها يذهبون، وعلى قالبه يضربون[1].

ومما أنشد له قوله[2]:

كيف النجاءُ وللبرُوقِ مجامرٌ ... في جانبيكِ وللنسيم كِفاءُ[3]
يا ربَّةَ الخدرِ التي أضللتُها ... يوم النَّوى ومحلُّها الأحشاءُ
لم كان والدكِ الطويلُ نجادُهُ ... ليثاً وأنتِ الظبيةُ العفراءُ
أشبهته في فتكهِ يومَ الوغى ... والسمهريَّةُ عَيْنُكِ النجلاءُ

منها قوله[4]:

لم أرضَ إلا فيه نظم بدائعٍ ... حسدته في فينانها الأمراءُ[5]
[٣٣٤] أهلُ المدائحِ سالكٌ في منهجٍ ... سلكتْ به من قبلهِ الآباءُ
أقصائدي جوبي البلادَ بذكرهِ ... وعليه من نور الفخارِ رداءُ
أُمّي النجومَ فخبري عن مَجدهِ ... فلهُ هنالك في العلا نظراءُ

وقوله[6]:

غصبوا الصَّباح فقسَّموه خدودا ... واستوهبوا قُضبَ الأراكِ قدودا[7]
ورأوا حَصى الياقوتِ دون محلِّهم ... فاستبدلوا منه النجومَ عقودا
واستودعوا حَدَقَ المها أجفانَهُمْ ... فسبوا بهنَّ ضراغماً وأُسودا
لم يكفِ أن جلبوا الأسنَّة والظبَّا ... حتى استعانوا أعيُناً ونهودا[8]

---

(١) الذخيرة: وجدتهم يضربون.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٠.
(٣) الذخيرة: كيف الخفاء وللشرق مجامر في جانبيك وللنسيم كباء.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٠.
(٥) الذخيرة: في منظومها.
(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٢.
(٧) الذخيرة: واسترهفوا قضب.
(٨) الذخيرة: حتى استنابوا.

ومنها قوله[1]:

أبـنـي الـسـيـوفِ الـمـشـرفـيَّـةِ نـجـدةً وبـنـى الـسَّـحـابِ الـمـسـتـهـلَّـةِ جـودا
الـدهـرُ عـنـدكـمُ طـريـفٌ مُـحـدَثٌ وفـخـاركـمْ مـا زال فـيـه تـلـيـدا
عَـطَّـرتـم نَـفَـسَ الـزَّمـانِ وأصـبـحـت آثـاركـمْ لـلـعـطـف مـنـه بـرودا[2]

ومنهم:

٤٩ ـ ابن هود[3]

أبو محمد بن هود. لقى حظًّا موفورا، وسقى كأساً كان مزاجها كافورا، أدام للطلاب واحا، وأدار للآداب راحا، فعلِق منها بلؤلؤٍ يرقص منه الحبب، ويسير فيه الخبب، فكان يُحلي صدأ الغيهب، ويصقل شبيه الظلام الأكهب، ويمسك بأعقاب النجم المغرب لا يذهب. فلم يغترف شاعر مثل اغترافه، ولا أُسكر بمثل سُلافه.

ذكره ابن بسام وقال فيه[4]:

وكان ممن تندرُ له الأبيات، وتُستظرف له بعض المقطوعات.

ومما أنشد له قوله[5]:

ضـلـلـتـم جـمـيـعـاً يـآل هـودٍ عـن الـهـدى وضـيَّـعـتُـم الـرأيَ الـمـوفَّـقَ أجـمـعـا
[٣٣٥] وشنتمْ يمينَ الملك بي فقطعتُمُ بـأيـديـكـم مـنـهـا وبـالـغـدرِ إصـبـعـا
فـلا تـقـطـعـوا الأسـبـابَ بيـنـي وبـيـنـكـم فـأنـفـكـم مـنـكـمْ وإن كـان أجـدعـا

وقوله مما نقش على رياش[6] سيف المتوكل ابن الأفطس:

لا تـخـشَ ضَـيـمـاً ولا تـمـسِ أخـا فـرق إذا ريـاشـي فـي يُـمـنـى يـديـك بـقـي[7]
لـولا فـتـورٌ بـألـحـاظِ الـظـبـاء إذاً لـقـلـتُ إنِّـي أمـضـى مـن ظُـبـا الـحَـدَقِ

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٢.
(٢) الذخيرة: فأصبحت آثاركم في الجيد منه عقودا.
(٣) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٣، ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٣٩.
(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٣.
(٥) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٤.
(٦) الذخيرة: رئاس.
(٧) الذخيرة: إذا رئاسي

ومنهم:

٥٠ ـ ابن بَرْلُوصة البطليوسي[١]

أبو عمر بن فتح بن برلوصة البطليوسي. سحاب مركوم، وبرد مرقوم، كان منهله بذائب الفضة البيضاء ينحلب، وبإطلال الروضة الخضراءِ لا يتطحلب.

قال ابن بسام فيه[٢]:

من نبهاء العصر المقلين في الشِّعر، إلَّا أن أبياته نوادر سوائر، وهو القائل في ابن برد.

إنَّ ابــن بُــردٍ لــفــتــىً مــاجــدٌ ... ونــفــسُــهُ بــالــجــود مــفــتــونَــهْ
مــددتُ كــفِّــي نــحــو بــلُّــوطــةٍ ... فــقــال دعــهــا وخُــذْ الــتــيــنــهْ

ومنهم:

٥١ ـ ابن كوثر[٣]

أبو عمر يوسف بن كوثر. نظم وما أكثر، وجاد ولم يتأثر، وسبق فأما السحاب خلفه فتقطع، وأما النَّسيمُ فتعثر، ولم يعره ابن بسام تقريضاً، وإنما أنشد له قريضاً، فمنه قوله[٤]:

ألا لا يُـفَـنِّـدْ عـاشـقـاً مـن لـه ذُهـنُ ... فوالله لولا العشقُ ما عُرف الحسنُ

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٥.

(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٥.

(٣) انظر عنه: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٨، المقري، النفح: ٣/٤٥٨.

(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٠٨.

ومنهم:

٥٢ ـ ابن سوار الأشبوني[١]

محمد بن سوار الأشبوني، أبو بكر. تصبب من بحر، وتلبب في نحر، وقطف الكلام جنياً ما صنع، وحلياً ما صدع، وشغل به زماناً، وعكف بلفظ جمانا، ولم تخله الأيام من نكدها، ولا أخلته من عقدها، والكريم مُلقّى [٣٣٦] والشدائد لا يبقى.

قال ابن بسام[٢]:

وأبو بكر واحد عصره، وله عدَّةُ قصائد في ملوك قطره، قالها تحبّبًا لا تكسُّباً، وعمر مجالسهم بها وفاءً لا استجداءً.

فلما خُلع ملوك الأندلس، حالت به الحال، وتقسَّمه الإدبار والإقبال، ثم أسره العدو وقتئذٍ بقورية[٣]، ثم خرج من وثاقة. خروج البدر من مُحاقه، ثم اسمع الله صوته من وراء البحر المحيط قاضي القضاة بالمغرب، وسلالة الأطيب فالأطيب، أبا الحسن علي بن القاسم بن عشرة، فأعاد هلاله بدراً، وصيَّر خَلَه خمراً.

ومما أنشد له قوله[٤]:

ألستَ تذكرُ يوماً حين زُرتهُمُ	والدَّهرُ يخرج من حُزنٍ إلى عُرسِ[٥]
نزلت في موضعٍ حفَّ الغديرُ به	كما يحفُّ اخضرارُ الليل بالغلسِ
تريك دائرةَ الدينارِ صفحتُهُ	فإن تنادي قليلاً صار كالترس[٦]

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٨١١، ابن سعيد، المغرب: ٤١١/١، القفطي، المحمدون من الشعراء: ٣٥٩، الصفدي، الوافي: ١٤٣/٣.

(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٨١١.

(٣) الذخيرة: وقيد بقوربة من عمل الطاغية ابن فرذلند. وقورية: مدينة إسبانية تعد مركز إداري في مديرية قعرش في غرب إسبانيا، وتقع على نهر الحجون، قريبة من حدود البرتغال، وتبعد عنها حوالي ٣٠كم وتبعد عن قعرش ٦٠كم. انظر: يوسف بني ياسين، بلدان الأندلس: ٤٤٧.

(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٨١٥.

(٥) الذخيرة: يخرج من عيدٍ.

(٦) الذخيرة: تهادى.

كـأنَّ جـودَ عـلـيٍّ جـاد لُـجَّـتـهُ فـلـيس يـخشى عـلـيـه آفةُ الـيبسِ
مُـطـهَّـر لـم يُـدنِّـس عـرضَـه بـخـلٌ وجوهرُ الشَّمس معصومٌ من الدَّنسِ

وقوله يصف كيفيَّة القبض عليه حين أسر[1]:

ولـيـلٍ كَـهـمٍّ الـعـاشـقـيـن قـمـيـصُـهُ ركـبـتُ ديـاجـيـه ومـركـبـهُ وعـرُ
سريتُ وأصحابي يميلهُمُ الكرى فـهم منه في سُكرٍ وما بهمُ سكرُ
رمبتُ بجسمي قلبَهُ فنفذتُهُ كما نفذَ الإصباحُ إذ فُتِقَ الفجرُ
ولما بدا وجهُ الصَّباح تطلَّعتْ خيولٌ من الوادي مُجلَّلةٌ غرُّ[2]
فقلت لهم: خيل النصارى فشَمِّروا إليها وكرُّوا هاهنا ينفع الكرُّ[3]
[٢٣٧] وكانت حُمَّى للقومِ قد صرّعتهم فـفـلّـوا وولّـوا مُـدبـريـن ومـا فرّوا[4]
وأفردتُ سهماً واحداً في كنانةٍ من الحربِ لا يُخشى على مثلهِ الكسرُ
فطاعنتُهمْ حتى تحطَّمتِ القنا وضاربتُهم حتى تكسَّرتِ البُترُ
أضَّرِّجُ أثوابي دماً وثيابُهمْ كأنَّ الذي بيني وبينهم عطرُ
وأحْدِقُ بي والموت يكشر نابَهُ ومـنـظـرُهُ جـهـمٌ ونـاظـره شَـزْرُ
فأعطيتها وهي الدنيّةُ صاغراً وقد كان لي في الموت أن لو بدا عذرُ[5]

وقوله[6]:

ساروا وَحَبْلُ وصالهم مَبْتُوتُ فَسلوا نجومَ الليلِ كيف أبيتُ
باتوا وروحي عندهم وحُشَاشتي وتـظـنُّ أنـهـمُ مَـضَـوا وبـقـيـتُ

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٨١٥.
(٢) الذخيرة: محجَّلة غر.
(٣) الذخيرة: يحسن الكرُّ.
(٤) الذخيرة: وكانت حُميّا النوم.
(٥) الذخيرة: الموت لو يدلي عذر.
(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٨١٨.

أسـفـي عـلـى وادي الأراكِ وإنَّـمـا يـتـنـفَّـس الـمـحـزون وهـو يـمـوتُ[1]
لا تـأخـذوا فـي الـلـوم لـسـتُ بـسـامـعٍ إنَّ الـمـلَّامـةَ فـي الـهـوى تـعـنـيـتُ

وقوله[2]:

ومـضـتْ تَـجـرُّ وراءَهـا شـعـراً كـمـا أعـطـاك جـانـبـهُ الـغـرابُ الأسـحـمُ
يـمـحـو مـواقـع إثـرهـا فـكـأنَّـه يُـخـفـيـه عـن عـيـنِ الـرقـيـب ويُـكـتـمُ
والـمـسـكُ فـوقَ الـتـربِ مـن أردانـهـا خـطٌّ كـمـا رقـم الـرداءُ الـمـعـلـمُ
مـالـي ومـالـك يـا غـيـورُ تـسـومـنـي خـطـطَ الـرَّدى وأنـا الـمُـعـنَّـى الـمـغـرمُ

وقوله[3]:

هـمُ بـعـثـوا طـيـفَ الـخـيـالِ الـذي سـرى فـعـانـقَ جـسـمـاً مـثـل طـيـفِ خـيـالِ
وأقـبـل مـن تـلـقـائـهـم وكـأنَّـه مُـغـلَّـفـةٌ أعـطـافُـهُ بـغـزال[4]
[٣٣٨] فيا دارهم بالحزن حُزني مجدَّدٌ عليك وقلبي ليس عنك بسالِ[5]
وأبـيـضُ هـنـديٌّ كـأنَّ بـحـدِّهِ مُـطـارَ ذبـابٍ أو مَـدَبَّ نـمـالِ
وقـد أظـهـرت فـيـه الـمـنـايـا نـفـوسَـهـا كـمـا خـوّضـت لُـجَّ الـسـراب سَـعـالي

وقوله[6]:

هـل يـنـكـرُ الـغـيـرانُ مـنـي وَقْـفَـةً وقـفـتْ أمـانـيُّ الـنـفـوسِ حـيـالـهـا
فـي لـيـلـةٍ عـبـث الـمُـحـاقُ بـبـدرهـا غَـضْـبـاً فـقـصَّـر عُـمـرَهُ وأطـالـهـا
سـوداءُ أشـرقُ نـجـمـهـا فـلـو أنَّـنـي أجـري عـلـى فَـلَـكٍ لـكـنـتُ هـلالـهـا
ولـقـد فـتـكـتُ بـقُـرطـهـا وبـمـرطـهـا حـتـى هـتـكـتُ حـجـولـهـا وحـجـالـهـا

---

(١) الذخيرة: يتأسف المحزونه.
(٢) الذخيرة: ق٢ م٢/٨١٩.
(٣) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٢١.
(٤) الذخيرة: فكأنه ... أعطافه بغوالي.
(٥) في الأصل: فيا دراهم.
(٦) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٢٨.

وقوله[1]:

وأتت تقبِّلُني فقلت لها امسكي ... عنِّي فإنِّي لا أقاربُ راحا[2]

فمضتْ وقد أخجلتُها فتبسَّمت ... فرأيتُ في أرضِ العقيق أقاحا

حتى إذا ما الرَّوضُ نبَّههُ الندى ... فتحتُ عيوناً كالعيونِ ملاحا

طالبتُهُ أيداً فسال توقّداً ... وطلبته كرماً فذاب سماحا[3]

وقوله[4]:

الصبرُ أجمُل عند كلِّ مُلمَّةٍ ... لكن على فقديهما لم يجملِ

قمران غُيِّبَ بالكسوف سناهُما ... لا تُكْسَفُ الأقمار ما لم تكملِ[5]

ومنهم:

٥٣ - ابن لَبُّون[6]

أبو عيسى ابن لَبُّون. طمح إلى ظل الذوائب، وطمع في جرِّ الكتائب، وتمّ له الأمر أو كاد لولا مقاطعة النوائب. فلم تُطب له مكرعاً، ولم تُطل له ليثاً ولا أخدعا. بل قلبت له مجنّ الظفر، وقلَّبت جنبه في مسكن الحفر [٣٣٩]، وقدمته الأيام التي ما برحت مراحل والورى منها على سفر.

ذكره ابن بسام، فقال فيه[7]:

أحد وزراء ابن ذي النون، المعتدِّين في دولته، المُعدّين لبأسه وصولته، ولكنه ثار،

---

(١) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٢٩.

(٢) الذخيرة: فأتت بقلبي.

(٣) الذخيرة: طالبتها أدباً.

(٤) الذخيرة: ق٢ م٢/٨٣٣.

(٥) الذخيرة: لا تخسف الأقمار.

(٦) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٤، ابن سعيد، المغرب: ٣٧٦/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢٣١/٢، المقري، النفح: ٦٧٢/١، ابن خاقان، القلائد: ٢٨٩/١٢.

(٧) الذخيرة: ق٣ م١/١٠٤. وانظر: القلائد: م١/٢٩٠.

وخاض الهول المثار، وخلص من الهلك، واقتنص نافر الملك، حصل بمربيطر[1]، واقتطعها، وحلّ بها فلك[2] الرياسة ومطلعها. وما خلع اسم الوزارة، ولا تسوّغ سواها عن أمّه أو زاره. وكانت عنده مشاهد، تزفُّ للمنى أبكاراً[3] نواهد، والدنيا تسعدُه وتنجز له ما تعده، إلى أن لعب عليه ابن رزين، فبقي ضاحيا، وغدا جوُّهُ من تلك العدّةِ صاحياً، وله نظم، نَظَم [فيه][4] من المحاسن جملاً، وأعاد سامعها ثملاً.

وقد أثبتُّ له ما يدلُّ على نفاسة سَبكه، وجودة حبكِهِ، فمن ذلك ما قال متوجّعاً لخليط ظعن، وأوغل في شعاب البُعد وأمعن[5].

سقى أرضاً ثَوَوْها كُلُّ مُزنٍ ... وسار بهم سرورٌ وارتياحُ[6]
سأبكي بعدهم حُزناً عليهمْ ... بدمعٍ في أعنّتهِ جِماحُ

وكان بقصر مُربيطر في المجلس المشرف منها، والبطحاءُ قد لبست زخرُفها، ودبّج الغمامُ مطرفها، وفيها حدائق ترنو على مُقلِ نرجسها[7]، وتبثُّ طيب تنفّسها، والجُلّنار قد لبس أردية الدماءِ، وأراعَ أفئدة النُدماءِ. فقال[8]:

قم يا نديمُ أدرْ عليَّ القُرقَفا ... أو ما ترى زَهْرَ الرّياضِ مُفوَّفا
والجُلنَّارُ دماءُ قَتْلَى مَعْرَكٍ ... والياسمينُ حبابُ ماءٍ قد طَفَا

---

(١) مربيطر: مدينة في إسبانيا تتبع بلنسية، وتبعد عنها مسافة ٢١كم إلى الشمال الشرقي منها واسمها الآن Sagunto. انظر: يوسف بني ياسين، بلدان الأندلس: ٤٧٨.

(٢) الذخيرة: سلك.

(٣) الذخيرة: أبكارها.

(٤) ساقطة في الأصل والإضافة من الذخيرة.

(٥) قلائد العقبان: م١/٢٩٠، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٥، المغرب: ٢/٣٧٦.

(٦) القلائد والمغرب الذخيرة: سايرهم، والقلائد: نووها.

(٧) الذخيرة: من جنسها.

(٨) المغرب: ٢/٣٧٦، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٥، قلائد العقيان: م١/٢٩٣.

ومن بقيّة ما أنشد قوله[1]:

لو كُنتَ تشهدُ يا هذا عَشِيَّتنا ... والمزنُ يسكبُ أحياناً ويَنحدرُ[2]
[٣٤٠] والأرضُ مُصفَّرةٌ بالمزنِ كاسيةٌ ... أبْصَرتَ تِبراً عليه الدُّرُّ ينتشرُ

وقوله[3]:

يا رُبَّ ليلٍ شربْنَا فيهِ صافيةً ... حمراءَ في لونها تَنْفي التَّباريحا
ترى الفراش على الأكوابِ ساقطةً ... كأنَّما أبصرتْ منها مصابيحا[4]

وقوله[5]:

أيْنَ الشُّموسُ التي كانت تطالعُنا ... والجوُّ من فوقهِ للَّيلِ جِلْبابُ
تبدي إلينا لجيناً حَشوُهُ ذهبٌ ... أناملُ العاجِ والأطرافِ عُنَّابُ[6]

وقوله[7]:

إذا بلدةٌ يوماً عليَّ تنكَّرَتْ ... شَدَدْتُ إلى أُخرى مطيَّ آبائي[8]
كشمسٍ تَبدَّتْ للعيون بمشرقٍ ... صباحاً وفي غربِ أصيلِ مساءِ

قلت: ولله هذا البيت الآهل، والمعنى الغدق المناهل، وما أحسن قوله في تتمّته:

ذروني أجبْ شرقَ البلاد وغَرْبَها ... لأشفيَ نفسي أو أموتَ بدائي
فسلتُ ككلبِ السُّوء يرضيه مَرْبِضٌ ... وعَظْمٌ ولكنِّي عُقابُ سماءِ

---

(١) قلائد العقيان: م١/٢٩٣، المغرب: ٣٧٧، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٦.

(٢) القلائد: يسكب وينحدر.

(٣) قلائد العقيان: م١/٢٩٣، المغرب: ٣٧٧/٢، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٧.

(٤) القلائد والمغرب: على الأكواس.

(٥) قلائد العقيان: م١/٢٩٤، المغرب: ٣٧٧/٢، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٧.

(٦) القلائد: تهدي إلينا.

(٧) قلائد العقيان: م١/٢٩٦، الذخيرة: ق٣ م١/١٠٨.

(٨) القلائد والذخيرة: وكنت إذا ما بلدة لي تنكّرت.

ومنهم:

٥٤ ـ ابن رزين[1]

عبدالملك بن رَزين حسان الدولة أبو مروان. ممن اختالت به الذؤابة، واغتالت الأيامُ أذوابه، والصقت المنايا خدَّهُ بالهوان، وألحقت منه عبدالملك بمروان، وكلُّهم أعني آباه أكلتهم المنون، وختلتهم حيث ظنوا بالله الظنون، فغوَّصتهم مفارش الأحداث، وأوطأتهم مفارق الأحداث، فأمسوا خبراً، ثم أصبحوا عبراً.

ومما قال ابن بسام فيه[2]:

وأما ذو الرئاستين يعنيه فكان له طبع يدعوه فيجيب[3]، ويرمي [٣٤١] ثغره عن قوسه فيصيب[4]، على قلَّة أخذه عن الأئمة، وكان ربَّما خالسهم الكلمة بين مغالطته وأنفه، وعَوَّل في أكثر ما يُقرأ على تعاليقه وصُحفهِ. وبالجملة فلو جرى عفوه، وعرف منتهى شأوه، لكان شاعراً مجيداً، وناثراً معدوداً.

ومما أنشد له قوله[5]:

يـا رُبَّ لـيـلٍ أطـالَ الـهـجـرُ لـذَّتَـهُ ... فأيأس العمر عن إدراك مُنتصفهِ[6]

لـيـلٌ تـطـاول حـتَّـى قـد تـبـيَّـن لـي ... عـنـد الـتـأمُّـلِ إنَّ الـدهـرَ مـن سُـدَفـهِ[7]

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٤٢٨/٢، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م١٠٩/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٣٠٨/٢، ابن خاقان، قلائد العقيان: م١٥٧/١.

(٢) الذخيرة: ق٣ م١١٢/١.

(٣) الذخيرة: فيجيبه.

(٤) الذخيرة: فيصيبه.

(٥) الذخيرة: ق٣ م١١٦/١.

(٦) في الأصل: منتصف.

(٧) في الأصل: سدف.

ومنهم:

٥٥ ـ ابن مهران السرقسطي[١]

سليمان بن مهران السرقسطي، أبو الربيع، عُرف ندُّه بالشذا، وزنده بالجذا، اكتفى له باليسير، ودلَّ قليله على الكثير، حارت النجوم أيّان تذهب، وسبق على أدهمٍ يركض في حشا أشهب، ونشر ميِّت الآداب وقد واراه جدثُهُ، وصفًّا منه الذهب وقد كثر كالحديد خبثه.

ومما قاله ابن بسام فيه[٢]:

له شعر كثير، وإحسان مشهور، وعلى لفظه ديباجة رائعة، غير أنَّه لم يمرَّ بي الآن له إلَّا أبيات سمعت القوَّالين يتداولونها لعذوبتها وسلالتها، وأنشدها وهي[٣]:

خليليَّ ما للريح تأتي كأنَّما ... يخالطها عند الهبوب خَلوقُ
هل الريح جاءت من بلاد أحبَّتي ... فأحسبها ريحَ الحبيبِ تسوقُ[٤]
سقى الله أرضاً حَلَّها الأغيد الذي ... لتذكاره بين الضلوع حريقُ
أصار فؤادي فرقتين فعندهُ ... فريقُ وعندي للسياقِ فريقُ

ومنهم:

٥٦ ـ ابن غصن الحجاري[٥]

أبو مروان بن غصن الحجاري. فتىً له الحجى زي، وفنَن من يُحار بي ونجا، قلَّد الأدب فحكم، وسلم الأمر منه إلى أبي مروان لأنَّه الحكم، لكنَّه ما ضَرَّه إذ لم يلده أبو العاص [٣٤٢] ولم يواخه ابن العاص. لنسب أدبي رفعه، وسبب حرٌ له أنفعه، حتى كان

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٤٤٢/٢، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٣١٧/١.

(٢) الذخيرة: ق٣ م٣١٧/١.

(٣) الذخيرة: ق٣ م٣١٧/١.

(٤) الذخيرة: أم الريح جاءت.

(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٣٣١/١، ابن سعيد، المغرب: ٣٣/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٢/٢، المقري، النفح: ٣٦٣/٣.

منتاب كل طالب، وناب مناب السحاب وحزبه الغالب.

قال ابن بسام فيه[1]:

وكان قد اقتبس من[2] العلوم والآداب ما صار به في عالم عصره علماً، وكان كما قال فيه[3] أبو محمد بن عبدالبر في رقعة خاطب بها المعتضد منها[4]: وإن[5] أحسَّ امروء من نفسه قوّة جَنَان، وفَضْلَ بيان، وتصرُّف لسان، فأقصى غرضه أن يُحلَّى بيانَهُ بمآثرك، ويقرُ[6] لسانه بمفاخرك، وإنَّ ممن استوى على الأمد الذي وصفتُهُ، وحوى قَصَبَ السَّبق فيما ذكرته، الأديب الكامل أبو مروان بن غصن الحجازي، وهو كما علمت ممن لا يجاري في ميدان، ولا يطاول بعنان. إن نظم فبنيانٌ مرصوص، أو[7] نثر فلآلئ وفصوص.

قال ابن بسام[8]:

ونكبه المأمون ابن ذي النون، وله فيه رسالة السجن والمسجون، والحزن والمحزون، أودعها قصائد مُطوَّلات، ومقطوعات أبيات، ورسالة أخرى سمَّاها بـ «العشر كلمات»، وهو القائل في سجنه، وكتب به إلى أخيه[9]:

تهيمُ الخطوبُ بوصلي فما ... لهُنَّ إلى غير قلبي طريقُ
أيا واحدي وشقيقي ويا ... فريقاً يبكّيه منِّي فريقُ
أخوكَ أخو نكباتٍ لها ... يرقُّ العدوُّ فكيف الشقيقُ
ولو جاثليقٌ تخوّلتُهُ ... بموعظةٍ آمَن الجاثليقُ

---

(١) الذخيرة: ق٣ م١/٣٣١.

(٢) الذخيرة: من أنواع

(٣) الذخيرة: كما قرأته في فصل وصف به.

(٤) الذخيرة: وقال فيها.

(٥) الذخيرة: فإن.

(٦) الذخيرة: ويفتق.

(٧) الذخيرة: وإن.

(٨) الذخيرة: ق٣ م١/٣٣٢.

(٩) الذخيرة: ق٣ م١/٣٣٢.

ومن بقيّة ما أنشد له قوله[1]:

قد ألحفَ الغيم بانسكابهِ ... والتحفَّ الجوُّ في سحابه
[٣٤٣] وقام داعي السرور يدعو ... حيَّ على السرور وانتهابه[2]
وتاه فيه النَّديم مما ... يزدحمُ الناس عند بابه

وقوله[3]:

يومٌ تبدَّى لنا بصحوٍ ... والجوُّ صافي الهوى جَليُّ
طاب رحيلي فيه إلى أنْ ... كدَّر من صفوه العشيُّ[4]

وقوله[5]:

فَديتكَ لا تخفْ منّي سُلُوًّا ... إذا ما غيَّر الشّعر الصغارا
أهيمُ بدنٌ خَلٌّ كأنَّ خمراً ... وأهوى لحيةً كانت عذارا[6]

ومنهم:

٥٧ ـ ابن جرج[7]

أبو جعفر بن جرج. أدبه أضوأ من السُرج، وأكلأ من الرج، كنفاً مَوَّطئَ في ذرى ممالك الأندلس، يبذل له مصونُه، ويذلل له حصونُه، وتوكَّل منه إلى من يصونه.

وقال ابن بسام فيه[8]:

---

(١) الذخيرة: ق٣ م١/٣٣٤.
(٢) الذخيرة: على الدن وانتهابه.
(٣) الذخيرة: ق٣ م١/٣٣٥.
(٤) الذخيرة: رحيلي به.
(٥) الذخيرة: ق٣ م١/٣٣٥، المغرب: ٢/٣٣.
(٦) الذخيرة: بدن خمرٍ صار خلاً.
(٧) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٠٥، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م١/٤٤٨.
(٨) الذخيرة: ق٣ م١/٤٤٨.

وحلَّ آخر أيام ملوك الطوائف فحلَّ[1] من الدولة محلَّ الشمس من الحَمَل، وقُلِّدَ فيها[2] فحملها على كاهله، وصرف أعنَّتها بين أنامله.

ومما أنشد له قوله[3]:

وخـدٌّ تـأنَّـق صـبـاغُـهُ ... قـد اخـتـلـفَ فـيـه أصـبـاغـه[4]

بـديـعُ الـمـحـاسـنِ قـد صـاغـه ... فـأبـدعَ مـا شـاءَ صُـوّاغـه

وقوله[5]:

كم بالمواكب من زودٍ على رقبٍ ... خطواً على الهول في غاب القنا الأشبِ[6]

أسموا إلى منزلِ الأفلاكِ مرتقياً ... حتى خلوتُ بشمس الخدر في الحُجبِ[7]

وأنجمُ الجوِّ تبدو في حدائقها ... كالنُّور أزهر في أحوى من العشبِ

[٣٤٤] ثمَّ انثنيتُ وقد روِّيتُ من غُللٍ ... هيمٍ ولم أنس بُقيا الدِّين والحسبِ

وقوله[8]:

ومَذَّهبِ الخدِّ لم يذهبْ بإبريزِ ... مُطرَّزَ الصدغِ لم يُرقمْ بتطريزِ

قد راق بالنور حتى ما تحدُّه ... بأنَّه بشرٌ إلَّا بتمييزِ

وقوله[9]:

ساروا فودَّعهم قَلبي فما بعدوا ... عنِّي ولا قربوا منِّي وقد قربوا[10]

هم الشموس ففي عيني إذا طلعوا ... في القادمين وفي قلبي إذا غربوا

---

(١) الذخيرة: محل.

(٢) «وقلد فيها» ساقطة من الذخيرة.

(٣) الذخيرة: ق٣ م١/٤٥٢.

(٤) الذخيرة: اختلفت.

(٥) الذخيرة: ق٣ م١/٤٥٣.

(٦) الذخيرة: خطراً على الهول.

(٧) الذخيرة: إلى نيّر.

(٨) الذخيرة: ق٣ م١/٤٥٤.

(٩) الذخيرة: ق٣ م١/٤٥٤.

(١٠) الذخيرة: ساروا فودَّعهم طرفي وأودعهم قلبي فقد بعدوا عني ولا قرب.

ومنهم:

٥٨ ـ البلنسي[١]

أحمد بن الدودين[٢] البلنسي، أبو جعفر، شاعر له صنائع لا تكفر، وبدائع عليها المسامع تتوفر، أضاءت به بلنسية[٣]، وكأنَّ كل زَمانها عشاياها، وعلت إلى ثبت على نمارق النجوم حشاياها.

قال ابن بسام فيه[٤]:

هو أحد من لقيته وشافهته، وأملى عليَّ[٥] نظمه ونثره بأشبونه[٦] سنة سبعٍ وتسعين.

ومما أنشد لنفسه[٧]:

فغدتْ غواني الحيِّ عنك غوانيا   وأسكنَ ألحاظَ الرَّباب ربابا
فَلأبكينَّ على الشَّبابِ مُلاَّةً   ولأجعلنَّ دمَ الفؤاد خضابا[٨]

ومنهم:

٥٩ ـ ابن عيطون الطُليطلى[٩]

عمر بن أحمد بن عبدالله بن عيطون التجيبي الطليطلى. تودّ أردان السحر أنها

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/٧٠٣، ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٢٢.

(٢) في الأصل الدود. والتصحيح من المصدرين السابقين.

(٣) بلنسية: مدينة إسبانيا، تعد الآن ثالث مدينة في إسبانيا من حيث عدد السكان، والأولى من حيث من حيث الثروة الزراعية، تبعد عن مدريد ٤٩٠كم. انظر: يوسف بني ياسين، بلدان الأندلس: ٢٦٣.

(٤) الذخيرة: ق٣ م٢/٧٠٣.

(٥) في الأصل: عليه.

(٦) الذخيرة: بالأشبونه. وهي الآن لشبونة عاصمة البرتغال.

(٧) الذخيرة: ق٣ م٢/٧٠٤، المغرب: ٢/٣٢٣.

(٨) المغرب: الشباب وطيبه، الذخيرة: الشباب ملاوة.

(٩) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢/١٦، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/٧٧٣. وفيهما: ابن عطيون.

بأنفاسه تتأرَّج، وخدود الملاح أنَّها بمائه تتضرَّج. وكان ذا شعرٍ أشجى من شدو الحمام، وأندى من صفو الغمام. حاز قصبات السبق في الزمن الأخير، وتقدَّم على التأخير، فاتَّقد مصباحاً، وأوقد في العشايا صباحا، بمدٍّ لا ينقص، وجدٍّ لا ينكص.

[٣٤٥] قال ابن بسام فيه[١]:

أحدُ بحورِ البراعة، ورؤوس الصناعة، نفثَ هاروتُ على لسانه بسحرٍ، إلا أنّه حلو حلال، وتفجرت البلاغةُ من جَنانهِ[٢] إلا أنَّه عذب زُلال. أتى ثانياً من عنانهِ، وسبق على تأخُّر زمانه. وقد أثبتُّ له[٣] ما يُزْري بالدرِّ في السلك، ويخلُّ بالكافور والمسك.

ومما أنشد له قوله[٤]:

إلى كم نَوىً تتلو نوىً وتغرّبٌ ... كأنَّا بأيدي الياسرين قداحُ[٥]
تعاوَرُنا أيدي الفيافي كأنَّنا ... هشيمٌ ذرتهُ بالفضاءِ رياحُ

وقوله، وقد وصل الممدوح وهو مُعتلٌّ[٦]:

وما اعتلَّ عنَّا جودُهُ باعتلاله ... ولكنْ وجدنا غبَّهُ ليس يُهنَّأ
يُنغِّصُ شكواه لجدواه عندنا ... كأنَّ عطاش البحر في الماء يظمأ[٧]

وقوله[٨]:

يُجاذبني العنانَ به سَبوحٌ ... طموحٌ همُّهُ أبداً أمامَهْ
قليلُ الصحب لا ألقى أنيساً ... على طولِ السُّرى إلَّا لجامهْ

---

(١) الذخيرة: ق٣ م٢/٧٧٣.
(٢) الذخيرة: جنانه ببحر.
(٣) الذخيرة: من كلامه.
(٤) الذخيرة: ق٣ م٢/٧٧٦.
(٥) الذخيرة: كأني.
(٦) المغرب: ٢/١٦، الذخيرة: ق٣ م٢/٧٧٧.
(٧) المغرب والذخيرة: كأنا ... نظمأ.
(٨) الذخيرة: ق٣ م٢/٧٨٠.

ومنهم:

٦٠ ـ يوسف بن عبدالصمد[١]

أبو بحر يوسف بن أبي القاسم خلف بن عبدالصمد. فارعُ أدبٍ حلَّ في عليائه، وسبق والنجم مُلقىً لأعيائه. خاض الدُّجى، وفاض والسحاب يقول النجا. توقَّل الذرى والمجدُ حشو بردته، والأسد ضميم لبدته، والمشرفي في نجاد أيدِه، والسمهري ثعلبُهُ من طرائد صيده.

وذكره ابن بسامٍ وقال[٢]:

ونشأ أبو بحرٍ منهم بحراً كاسمه، حسُن الحديث، حاضر النادر، ذو رَوِيَّةٍ وبديهةٍ، ومن ظريف شعره، ما أنشدت من قوله [٣٤٦] وهو[٣]:

فوصلتُ أقطاراً لغير محبَّةٍ ... ومدحتُ أقواماً بغير صلاتِ
أتقول أشعاري نمتْ فتكاثرت ... فجعلتُ شعري للآنام زكاتي[٤]

وقوله[٥]:

لم تزل تسجد الأباريقُ للشَّر ... ب سجودَ الرُّهبان للصلبانِ
نتعاطى الكؤوسَ فالليل خفَّا ... ق الخوافي ممزَّق الطيلسانِ[٦]

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢٠٣/٢، المقري، النفح: ٢٥٩/٤، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/ ٨٠٩.

(٢) الذخيرة: ق٣ م٢/٨١٠.

(٣) الذخيرة: ق٣ م٢/٨١٠.

(٤) الذخيرة: أموال أشعاري.

فجعلت مدحي للبخيل زكاتي

(٥) الذخيرة: ق٣ م٢/٨١١.

(٦) الذخيرة: والليلُ.

ومنهم:

٦١ ـ غالب الحجّام[1]

أبو تمام غالب الحجام، لقب غلب عليه فلم يذكر معه غالب، ولم يعرِّفه بسواه طالب، بارى شأوه المسترسل الرِّياح، ونافست كؤوس محاجمة كؤب الرَّاح، وأخرج الغلَّ ونقاه، واختار من مسك الدم أبقاه، وصان المهج مما أُطل من دمها، وعاند محمَّر الشقيق بعندمها، وجاء مما غادر الشعراء بما أبطل قول متردِّمها، وطاولت ذوائبها الثريَّا من فرق الصباح إلى قدمها.

ذكره ابن بسام وقال[2]:

إن طبعه كان ينبو عن الرقيق السهل، ولا يلحق بالفصيح الجزل، وربما ندَرَتْ له أبياتٌ في النظم[3] كرميةٍ من غير رامٍ. ووجدتُه قد سلك في الأوصاف طريق الرَّمادي، فغرق في بحبوحةِ ذلك الوادي، وقد أخذت من شعره بطرفُ يُعربُ عما وصف[4].

ومما أنشد له قوله[5]:

لـــم أنْـــسَ لـــيـــلاً قـــطـــعـــتُـــهُ وأنـــا ... مـــتـــكـــئٌ لاصـــطـــحـــابِ زِقَّـــيْـــنِ

ونـــمـــتُ ســـكـــرانَ بـــيـــن ذاك وذا ... تـــنـــاوُمَ الـــطـــفـــلِ بـــيـــنَ ثـــديـــيـــنِ

وقوله في طائرٍ[6]:

وبـعـيـدةِ الأوطـان فـي إقـبـالـهـا ... بـشـرٌ بـإقـبـالِ الـزمـانِ الـمـقـبـلِ[7]

نـشـرتْ جـنـاحَ الأبـنـوسِ وصـادرت ... بـالـعـاجِ فـيـه وقـهـقـهـتْ بـالـصـنـدلِ

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٠، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/٨٢١.

(٢) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٢١.

(٣) الذخيرة: النظام.

(٤) الذخيرة: عما به ذكر ووصف.

(٥) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٠.

(٦) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣١. وفيه: وقوله في البلارجة.

(٧) في الأصل: بشر بي.

وقوله[1]:

إنَّ العُقابَ له بطشٌ يُهابُ بهِ ... للطير عنه بذاك البطشِ تَكْميشُ
كأنَّه في اختراق الجوِّ مندفعاً ... إلى الفريسةِ ريحٌ ضمَّها ريشُ

وقوله[2]:

يزادُ حُسناً في الكتاب إذا بدا ... نقصٌ به فيريكَ كلَّ بَيانِ
إن السِّراج إذا قَطعْتَ ذُبالَهُ ... صحَّ الكمالُ له من النقصانِ

وقوله[3]:

يا مَنْ إذا سار والاعداءُ يوم وغىً ... ترى ذؤابته محمرَّة العَذَبِ
والجيشُ كالبحرِ لكنَّ ماؤهُ زبَدٌ ... والبَيْضُ يطفو عليه موضعَ الحببِ[4]

وقوله[5]:

يا حبيباً له الفؤادُ مَحَلٌّ ... كيف تجفو وأنتَ في سَودائهْ
كتب الحسنُ فوقَ خدِّكَ خالاً ... فامحى غير نقطة خائهْ[6]

وقوله[7]:

يا خالعَ البدرِ المنير جمالُه ... ألبَسْتني للحزنِ ثوبَ سمائهِ[8]
أوقدتَ قلبي فارتمى بشرارةٍ ... نزلتْ بخدِّكَ فانطفت في مائهِ[9]

---

(١) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣١، وفيه: وفي العُقاب.
(٢) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٣، وفيه: وقال ابن رباح في القلم.
(٣) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٤. وفيه: وقال في الجيش.
(٤) الذخيرة: ماؤه زرد.
(٥) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٦.
(٦) الذخيرة: فامحى الشكل غير.
(٧) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٦.
(٨) الذخيرة: يا طالع البدر، البستني للحسن.
(٩) الذخيرة: فارتمت بشراره.

وقوله[1]:

وكـأنَّـمـا الـنـهـدٌ الـذي هـو بـارزٌ / مـن صـدرهـا سِـرٌّ بـه قـد بـاحـا
[٣٤٨] فـي صـورة الـتُـفَّـاح إلا أنَّـه / فـي شـكـلـهِ لا يـألـفُ الـتـفـاحـا

وقوله[2]:

فـي الـصَّـدرِ مـنـهـا لـلـطـعـانِ أسـنَّـةٌ / مـا أُشْـرِعـتْ إلَّا عـلـى أعـطـافـهـا[3]
إن أنـكـرت قـتـلـي هـنـاك فـفـتِّـشـا / تَـريـا دمـي قـد جـفَّ فـي أطْـرافـهـا

وقوله[4]:

قد نالني منكَ في فرطِ الصدودِ أذىً / وكـلٌّ شـيء إذا مـا زاد يَـنـتـقـصُ
إن الـبـيـاضَ إذا مـا جـاز غـايـتَـهُ / فـلا مـحـالـةَ فـيـه أنَّـه بـرصُ

وقوله[5]:

نـظـر الـحـسـود فـازدرانـي هـيـئـةً / والـفـضـل مـنِّـي لا يـزالُ مُـبـيـنـا[6]
قَـبُـحَـتْ صـفـاتـي مـن تـغـيُّـر ودّه / صَـدأ الـمـرآة يُـقـبِّـحُ الـتـحـسـيـنـا

وقوله[7]:

صـغـارُ الـنَّـاسِ أكـثـرهـم فـسـاداً / ولـيـس لـصـالـح مـعـهـم نـهـوضُ[8]
ألـم تَـرَ فـي سـبـاعِ الـطـيـر سـرّاً / تـسـالـمـنـا ويـؤذيـنـا الـبـعـوضُ

---

(١) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٦. وفيه: وله في النهود.
(٢) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٧.
(٣) الذخيرة: ما أشرعت إلا لحمي قطافها.
(٤) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٧.
(٥) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٧.
(٦) الذخيرة: نظر الحسود فإذ رأى لي صالحاً.
(٧) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٣٨، المغرب: ٢/٤٠.
(٨) المغرب والذخيرة: وليس لهم لصالحةٍ نهوض.

ومنهم:

٦٢ ـ ابن مُعلًّى[١]

أبو إسحاق إبراهيم بن مُعلًّى، وأمير الكلام المولّى، وسيف الأدب المُحلَّى، أتى السُّحب وتعلّى، وأطلَّ على الشُّهبِ وتدلَّى، وأبدع في الفضل طريقاً وأبعد فريقاً، وآلى لا تجتني غصن البيان إلا وريقا.

ذكره ابن بسام وقال[٢]:

إبراهيم بن مُعلًّى، قِدْحُ البلاغة المعلَّى، وسيلها[٣] المُحلَّى، أحدُ من بنى منارها، ورفع بالقور[٤] اليفاع نارها، ولم أظفر من كلامه إلَّا بلمعةٍ كهلال ليلةٍ، أو ظل أنملةٍ[٥].

ومما أنشد قوله[٦]: [٣٤٩]

إذا ما زرتُ قبركَ رُضْتُ نفسي ... لأستسقي به سَبَلَ الغوادي

فأسكتُ لا يطاوعني لساني ... بذاك ولا يُساعدني فؤادي[٧]

أحاذرُ أن يَفوه به فيقضى ... بأنَّ ربَّى حَللتَ بها صواد[٨]

وكيف يكونُ عهديَ منكَ هذا ... وأحمل مِنَّةً بك للعهادِ

ومنهم:

٦٣ ـ ابن الأصيل[٩]

أبو عامر بن الأصيل. تصوّر هاماً، وتصبَّبَ غماماً، لم يُحطُّ له رحل، ولم يُخطَّ له

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٥٧، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/٨٤٠.

(٢) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٤٠.

(٣) الذخيرة: وسيفها.

(٤) الذخيرة: بالغور.

(٥) الذخيرة: أثيله.

(٦) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٤٢.

(٧) الذخيرة: فأمكث لا يطاوعني.

(٨) الذخيرة: به فأقضى، بهن صاد.

(٩) ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٤٤، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٣٠٨، ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/٨٥٧.

نبتٌ في وحل، ولم يُحط مدىً فطرقه محل كان عذباً معينا، ونديّاً لكرائم المال مهيناً. يرجع إلى أبٍ أصيل، وأدبٍ جم التحصيل.

قال ابن بسام[1]:

كان جوابُ[2] آفاق، وناظم اتفاق[3]، وله بيتُ شرفٍ، وسابقةُ سلفٍ.

ومما أنشد له قوله[4]:

وقد يلبسُ المرءُ خِزَّ الثياب ... ومن تحتها حالةٌ مضينة[5]

كمن يكتسي خدُّهُ حمرةً ... وعلَّتُهُ ورمٌ في الرِّئة[6]

ومنهم:

٦٤ - ابن عائشة[7]

أبو عبدالله بن عائشة. يده لسهام الأدب رائشه، ومراميه في إصابة العرض غير طائشة، وما للكلام عليه أثر كلفة، ولا للظلام سوى شمسه خلفه، لو همَّ بأن يمدَّ يده إلى السحاب لاغترف، أو أن يطلَّ على ما فوق الأفق لاشترف.

ذكره ابن بسام وقال[8]:

أيُ فتىً طهارة أثواب، ورِقَّة آداب، وأكثر ما عول على الحساب فهو اليوم فيه آيةٌ لا يقاس عليها، وغايةٌ لا يُضافُ إليها، يقول من الشعر ما يشهد له بكرم الطَّبْع وسعة

---

(١) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٥٧.

(٢) الذخيرة: جوابة.

(٣) الذخيرة: وناظماً وناثراً باتفاق.

(٤) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٥٩.

(٥) الذخيرة: حرُّ الثياب.

(٦) الذخيرة: كما يكتسي ... وعلتها.

(٧) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٢/٨٨٧، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٦٧١/٢، ابن سعيد، المغرب: ٣١٤/٢، المقري، النفح: ٥٣/٤، ابن خاقان، قلائد العقيان: م٢/٩٤٨. واسمه محمد.

(٨) الذخيرة: ق٣ م٢/٨٨٧.

الذَّرع، كان يوماً مع أبي إسحاق بن خفاجة، وجماعةٍ من أهل الأدب تحت دوحةٍ مُنوَّرة، فهبَّت ريحٌ صرصر، أسقطت عليهم جميع الزَّهر [٣٥٠] فقال(١):

وَدَوْحــــةٍ قــــد عَـــلــــتْ ســـمـــاءً ... تَـــطْـــلُـــعُ أزهـــارُهـــا نُـــجـــومـــا
هـــفـــا نـــســـيـــمُ الـــصَّـــبـــا عـــلـــيـــهـــا ... فـــخـــلـــتـــهـــا أرســـلـــت رُجـــومـــا(٢)
كـــأنَّـــمـــا الـــجـــوُّ غـــارَ لـــمـــا ... بَـــدتْ فـــأغْـــرَى بـــهـــا الـــنَّـــســـيـــمـــا

ومنهم:

٦٥ - ابن محمد الصقلي(٣)

سليمان بن محمد الصقلي. صقل الفهم الجلِّيُ مرآته، وصوّر في هيئة الصباح المضيء مشكاته، وداوى به سقم الأدب حتى أزال شكاته.

قال ابن بسام فيه(٤):

كان ـ فيما بلغني ـ من أهل العلم والأدب والشعر، ووفد هذا القطر سنة أربعين وأربعمائة، وقصد بمديحه عِدَّةً من الرؤساء، وتقدَّم بفضلِ أدبه عند الكبراء.

ومما أنشد له قوله(٥):

رأى وجهَ من أهوى عذولي فقال لي ... أجـــلُّـــكَ عـــن وجـــهٍ أراهُ كـــريـــهـــا
فـــقـــلـــتُ لـــه بـــل وجـــهُ حـــبـــي مـــراءة ... وأنـــت تـــرى تـــمـــثـــال وجـــهـــكَ فـــيـــهـــا

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى، قول بعض المصريين(٦):

---

(١) قلائد العقيان: م٢/٩٥٠، المغرب: ٢/٣١٤، الذخيرة: ق٣ م٢/٨٨٧.

(٢) القلائد: ... فأرسلت فوقنا رجما. الذخيرة: هبَّ نسيم.

(٣) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٩٤/١، ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/١١٩.

(٤) الذخيرة: ق٤ م١/١١٩.

(٥) الذخيرة: ق٤ م١/١١٩.

(٦) الذخيرة: ق٤ م١/١٢١.

يجري النسيمُ على غلالة وجهِهِ وأرقُّ منه ما يمرُّ عليهِ
ناولتُه المرآةَ ينظرُ وجهَهُ فعكستُ فتنةَ ناظريْه إليهِ

ومنهم:

٦٦ ـ ابن السَّقاء القرطبي[١]

إبراهيم بن محمد بن السقاء أبو الحسن القرطبي. مُدبِّر ملك الجهوري، وضيع ارتفع، وذي ضرٍّ وما نفع، ساقط طار فوقع، وبحر طما ثم ما نفع، يكثر بما ليس، وتفاطن وما فيه كيس، وعلا كالدُّخان مغيِّماً فتوهَّم أنَّه ماطر، وكسي كالظَّليم ريشاً فظنَّ أنه طائر.

ذكره ابن بسام [٣٥١] عن ابن حيّان ما كلُه ذم لابن السقاء، وعاب وجرى يلبس عليه الثياب ثم قال[٢]: وقد رأيت ابن حيَّان مدح ابن السقاء في غير ما موضع من كتابه وذكرها، وأورد بنصٍّ لفظه خبرها.

ومنهم:

٦٧ ـ الكفيف الحصري[٣]

ابن الحسن بن عبدالغني الكفيف الحصري، أبو الحسن، أعمى تخشع له الأبصار، وتخلع له الأيام أردية الإعصار، وله سموٌّ تخضع لقدره الأقدار، وتستسر لبدره الأقمار، وتسير بذكره الأسمار، ويُكال منه ويمار، ذو آدابٍ تروق، وغرائب تفوق، وسلاف صافية، كأنَّما عنقودها في كرمها راوق، أيُّ رجل بُهرت فضيلتُه، وظهرت به قبيلته، بل تؤاخي يتيمته، وعقد لا تعرف قيمته.

ذكره ابن بسام قال[٤]:

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٢٣٨.

(٢) الذخيرة: ق٤ م١/٢٣٩.

(٣) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٢٤٥، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٨٦/٢، واسمه علي بن عبدالغني.

(٤) الذخيرة: ق٤ م١/٢٤٥.

كان رأس صناعه، وزعيم جماعه، طرأ على الأندلس منتصف المائة الخامسة، بعد خراب وطنه بالقيروان، فتهادته ملوك الطوائف تهادي الروض النسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأُنس المقيم، على أنَّه كان يتلفَّتُ إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء.

ولما خُلعت(١) ملوك الطوائف، وأخوت تلك النجوم، وطُمستْ عليها الرسوم، واشتملت عليه طنجه(٢)، وقد ضاق ذرعه، وتراجع طبعه.

ومما أنشد له قوله في غلام اسمه هارون(٣):

يا غزالاً فَتَنَ النا ... س بعينيه فتونا
أنت هاروت ولكن ... صحَّفوا تاءك نونا

وقوله(٤):

إذا اعتللنا تعلَّلنا بذكركُمُ ... لو أحسنتْ بُرءَ عِلَّاتٍ تعلَّاتُ
[٣٥٢] أمُرُّ بالبحر مُرتاحاً إلى بلدٍ ... تموت نفسي وفيها منه حاجاتُ

ومنهم:

٦٨ ـ ابن فضَّال القيرواني(٥)

عبدالكريم بن فضَّال القيرواني، أبو الحسن، عرف بالحلواني، وطاف له شراب يقومُ بلا أواني، لولا مُقرّضته لما نفق القريض، ولولا مسيرُهُ لما عُرفت الأيام البيض، ولا وجب شكر السكر لولا إنشاد شعره المكرر، ولا كان النبات إلا قد جفَّ ولو سُقي بقطرٍ قد تكرَّر، فلولاه لما استحلى مرارة العشق من صبا، ولا طالب لأبي الطيِّب من حلواء البنين على الصبا، وكان مفوَّهاً، له في بتٍّ كل معضلةٍ سطا، وإلى حلّ كلٍّ

---

(١) الذخيرة: خلع.

(٢) الذخيرة: مدينة طنجة.

(٣) الذخيرة: ق٤ م١/٢٥٧.

(٤) الذخيرة: ق٤ م١/٢٧٧.

(٥) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢٨٧/١، ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٢٨٤.

مشكلةٍ خطّاً، وهدي من الأدب إلى ما لا يلهم، وجاد بما حصّل، فلو ملك البدر لأنفقه كالدرهم.

ذكره ابن بسام قال[1]:

اشتهرت معرفته بأفقنا بالحُلواني، وله كلام في النسيب رائق، ومتأخرٌ سابق، ومديحه أيضاً عليه طلاوة، وبالجملةِ ففي ألفاظ الحُلواني حلاوة.

ومما أنشد له قوله[2]:

ولما تنادَوا للرَّحيلِ وقُرِّبت ... كرامُ المطايا والرِّكابُ تسيرُ
جَعلتُ على قلبي يديّ مبادراً ... وقالوا مُحبٌّ للعناقِ بشيرُ
فقلت ومن لي بالعناقِ وإنَّما ... تداركتُ قلبي حين كاد يطيرُ

وقوله[3]: وللبيت الثاني أردتُ وله لا لأخيه أردتُ

بَنيتَ الأرضَ فوقَهمُ سماءً ... وقد أجريْتَ من عَلَقٍ بحارا
فليس تراك ألحاظُ الدَّراري ... وأنت حَشَوتَ أعينها غُبارا

وقوله[4]:

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صغرٍ ... عَجلتَ فاستآنه إلى الكبرِ
إن كنت تبغي مثوبةً فعسى ... تحملُ لي قُبْلةً إلى الحجرِ
وإن رميتَ الجِمارَ فارم بها ... كل فؤادٍ عليك لم يطرِ
فقال دعني وزمزم فعسى ... أغْسلُ من ماء دم البشر[5]

(١) الذخيرة: ق٤ م٢٨٤/١.

(٢) الذخيرة: ق٤ م٢٨٤/١.

(٣) الذخيرة: ق٤ م٢٩٧/١.

(٤) الذخيرة: ق٤ م٢٨٧/١.

(٥) الذخيرة: وزمزماً، أغسل من مقلتي دم.

ومنهم:

٦٩ - أبو العرب الصَّقلي(١)

أبو العرب الصَّقلي، أجاد في فنِّ النظم، وزخر فيه بحراً، وارِدُه لم يظم، أحد من جانحه ما تشعَّب، وسكَّن من جامحه ما تشغَّب، وحيَّ من فائحه ما يسقي الحياءُ ورد خدِّه فتشرب، تسمى في هذا الفنِّ بكلِّ أسمائه [٣٥٣] وأبرز أنواره سافرةً من ظلمائه، وكان عاطلاً حتى حلاه، وباطلاً حتى جلّاه، وشكاً حتى طلع فجره المشرق، ووهماً حتى وُضح صبحه في ضمير المشرق، وسلك منه طريقةً كان يعرفُ بحسنها، ويأمر قومَه الشعراءُ أن يأخذوا بأحسنها، وحصلت له هبَّةُ إقبالٍ، انتاشت خطَّهُ الخامل، وأمَّنت من السرار بدره الكامل، ووالت عليه صيتها، وساقت إليه في أنفاس السحر طيبها، وزفَّت عليه أبكارها، وزادت ثواباً ثيبها.

قال ابن بسام(٢):

كان لساناً بهذا الأفقِ عن العرب أعْرب، وكوكباً من المشرق غرَّب، ومن أشهر خبرٍ بلغني عنه أنه حضر يوماً مجلسَ المعتمد، وقد أدخل إليه جملةٌ وافرةٌ من دنانير الفضَّة فأمر له بخريطتين منها، وبين يديه تصاوير عنبرٍ من جُملتها صورة جملٍ مُرّصع بنفيس الجوهر، فقال له أبو العرب مُعرِّضاً: ما يحملُ هذه الدنانير ـ أيَّدك الله ـ إلَّا جَملٌ، فتبسَّم المعتمد، وأمر له به، فقال أبو العرب على البديه:

أجْدَيتني جَملاً جَوْناً شفعتَ به ... جملاً من الفضَّةِ البيضاءِ لو حُملا
فاعجبْ لشأني فشأني كلُّه عُجبٌ ... رَفَّهتني فحملتُ الحملَ والجملا

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م٣٠١/١، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢١٩/٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٣٤/٣، واسمه مصعب بن محمد بن أبي الفرات.

(٢) الذخيرة: ق٤ م٣٠١/١.

[٣٥٤] ومنهم:

٧٠ - ابن الطلاء المهدوي[١]

أبو محمد بن الطلاء المهدوي، لا يحطُّ شعره ولا يُسفّ، ولا يثقل ولا يخفّ، وتندر له الأبيات، وتبدر مُنقادةً له المعاني الأبيات، حطَّ قدر شعره إلا أنه تصنَّع، وجاء لا يخفى عليه أنَّه يطبَّع، فكان يبدو عليه أثر التكلُّف، ويظهر عليه سماءُ التحلُّق، فلا ترى وزنه وافياً، وبزّه إلَّا خافيا.

قال ابن بسام[٢]:

شعره عاطل من حُلّي البديع، وأفرط في باب الاستعارة وأبعد، وخرج فيها إلى حيِّز الإضحاك مما بَرَّدَ.

ومما أنشد له من حسنه قوله يستهدي راحاً[٣]:

رصدتُ في فلكِ الأشواقِ بدر هوىً	له رقيبٌ ثقيلٌ مثل كيوانِ
فابعث إليَّ براحٍ مثل ريقته	فمثلُها كان يُسقى عند رضوانِ

ومنهم:

٧١ - أبو زكريا ابن الزيتوني[٤]

أبو زكريا يحيى بن الزيتوني. من مدينة فاس، سريع الفطن، مَريعُ الوطن، نافذ السِّهام، نافث السحر في الإفهام، سحابُ آداب، بُرْقه يسيح، وودقه لا تسُحُّ، يومض جنبات سحابه، ويصفي عَصيّات الشعر لأصحابه.

ذكره ابن بسام وقال[٥]:

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٣٦١.
(٢) الذخيرة: ق٤ م١/٣٦٠.
(٣) الذخيرة: ق٤ م١/٣٦٢.
(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٤.
(٥) الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٤.

أحد من وفد على هذا البلد أيام ملوك الأندلس، وله شعر بديع، وكان حاضر الجواب، ذكيّ الشهاب.

قال له ابن زيدون يوماً بين يدي المعتضد، وكأنّه استجهلُهُ، وأراد[1] أن يفحمهُ ويخجلهُ: أفاسيٌّ أنت يا أبا زكريًا، يوهم أنّه يسأله عن بلدِهِ، وخبأ له شيئاً فهمه يحيى بصفاء خَلده، وأجابه سريعاً بفضل [٣٥٥] توقدٌه، فقال: منسوب أعزّك الله، فأعجب به المعتضد، ولجّ ابن زيدون، فقال: نعم الفتى أبو زكريا، وفهم ابن الزيتوني تصحيفه، فصدمه بشكله ورماه بمثله[2]، فقال له، وقبّل يده: عَبدكَ أعزّك الله، فخجل ابن زيدون، وتشوّرَ، واستخفَّ الطرب جميع[3] من حضر.

ومما أنشد له قوله[4]:

فُقتَ الهلالَ بذا الجمال فَواسِهِ   وجرحتَ باللحظ الغزالَ فآسِهِ

وقوله[5]:

سفينةُ الوعدِ في بحرِ المنى وَقَفَتْ   فامنن بريحٍ من الإنجاز تجريها[6]

ومنهم:

٧٢ ـ ابن العطّار اليابسي[7]

أبو بكر ابن العطار اليابسي، مجيد في التشبيه لا يقصر، وفريد فيه لا يطاوله مُقصر، كان لا يُضايق في هضابه، ولا يُشهدُ الشهدُ إلّا من رضابه، ما عنَّ معنىً إلا

---

(١) الذخيرة: أو أراد.
(٢) الذخيرة: فصدمة بمثله ورماه بشكله.
(٣) في الأصل: جمع.
(٤) الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٥.
(٥) الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٥.
(٦) الذخيرة: بحر الوفا.
(٧) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٤٧٠/٢، المقري، النفح: ١٠/٤، ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٦.

وسارع إلى اقتضابه، ولا اقتحم دُجى ليلٍ إلا وقطف نجومه قبل نصول خضابه بياناً في مقاصده مَهرَ، وإحساناً على معاطف قصائده ظهر.

ذكره ابن بسام، وأنشد له قوله في صفة البحر وجواز المعتمد له عن ذلك مما ساقه إليه المدح[1]:

كيف اضطربت به قُدِّست من رجُلٍ ... لو دُكَّتْ الأرض من حوليه ما اضطربا[2]

وضاق حتى لو استنهَضْتَ طرفكَ ... إن يجتابَ طامحَهُ في وثبةٍ وثبا

وكان كالسيفِ أبقتْ فوق صفحتِه ... مدارجُ الرِّيح من تكسيره شُطبا[3]

فالأرضُ تقلقُ من جيشٍ قفلتَ به ... والجوُّ يعثرُ فيه من قناً وظبا

من كلِّ ملتئمٍ والبيضُ سافرةٌ ... والشَّمسُ قد كُسيت من قسطلٍ حُجبا

جمَّت مياه وجوه القوم فاتخذوا ... من الحياءِ على أبشارها نُقُبا

[٣٥٦] وليس ينفكُّ من سُحب يُظلِّلُها ... إن لم يكن رهجاً كانت دخانَ كبا

ومنها قوله في صفة الزورق، وكأنَّما لان له عوده فأورق، فأتى بغاية العجب ونهاية التشبيه كما وجب:

يبدو على الموج أحياناً ويضمرهُ ... كالأيم يَغْتَسِفُ الأهضابَ والكُثُبا

أمطاك عَزمُكَ منه متن سابحةٍ ... خلتَ الحباب على لبّاتها لببا[4]

وقوله، وبلغ ما أراد، وبلّ الصدور بل أثلجها في وصف الخيل في الطراد[5].

هزَّتْ نواصيها لما فعلت بها ... قبُّ البطونِ لما فيها من اللَّحقِ[6]

هي البحورُ ولكن في مواكبها ... عند الكريهة مَنجاةٌ من الغرق[7]

---

(١) الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٦.

(٢) الذخيرة: من جبل.

(٣) الذخيرة: كالسيف ألقت.

(٤) الذخيرة: لهبا.

(٥) الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٨.

(٦) الذخيرة: فما قفلت بها.

(٧) الذخيرة: في كواثبها.

وقوله[1]:

والبيضُ سافرةُ الوجوهِ كأنَّما ... لخدودهنَّ من اللقاءِ حياءُ
والجيشُ مضطربُ البنودِ كأنَّه ... تحت العواصفِ لُجَّةٌ خضراءُ
والكفر محتطم الفقار بعنقهِ ... خُضَّعٌ وفي أجفانهِ إغضاءُ[2]

وقوله، وقد أخذ المعنى المعروف فقلبه، والمبتذل فغرَّبه[3]:

تظلُّ سباعُ الطيرِ عاكفةً بهم ... على جُثثٍ قد سلّ أنفسها الذعرُ
وقد عوّضتهم من قبورٍ حواصلاً ... يا من رأى ميتاً يطيرُ به قبرُ

فأما من حلَّى ابن القطَّاع بذكرهم الملح العصرية، فسأذكر ممن تفرّد بهم أُناساً، وأورد لهم أنواعاً وأجناساً، لا يُحلَّى بتلك الملح، والاغزال الموصولة بالمدح.

وابن القطَّاع هو أبو القاسم علي بن جعفر السعدي[4] فممن ذكر.

٧٣ ـ ابن سراج[5]

[٣٥٧] أبو مروان بن سراج. رجلٌ حلّ بالعلياء والنجوم رقود، وملك الشُّهبَ وصرّفها في النقود، وبنى له المنازل في السماء فشيَّد العُقود، وأبكى السُّحب وشبَّ في أحشائها الوقود.

ومما أنشد له من بديعه قوله في قطرميزٍ من الزجاج اتخذ للراح، وأطبق منه على محمَّر الشُّفق الصباح:

---

(١) الذخيرة: ق٤ م١/٣٧٩.

(٢) الذخيرة: والكفر منحطم.

(٣) الذخيرة: ق٤ م١/٣٨١.

(٤) علي بن جعفر بن علي الصقلي (ت٥١٤هـ) عالم باللغة والأدب، صنف العديد من المصنفات لم يصلنا منها سوى كتاب الأفعال. انظر عنه: ياقوت، معجم الأدباء: ٤/١٦٦٩.

(٥) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٨٠٩، ابن سعيد، المغرب: ١/١١٥، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٥٠١. وهو عبدالملك بن سراج بن عبدالله بن محمد بن سراج إمام أهل قرطبة.

أنــا شــخــص أخــو لــهــوٍ ولــــذاتٍ وأفـــــراح
ولــي مــن فــضــةٍ جــســمٌ ولــي روحٌ مــن الــراح

ومنهم:

٧٤ ـ أبو القاسم بن الأسعد[1]

أبو القاسم بن الأسعد إبراهيم. جرى على أعراق سؤدده، وسرى إلى آفاق أبيه على جده، وبرى قلمه فتعطّلت السّهام، وأُري ضرمَهُ فأشرقت الأفهام، وأرجأ الديم المغدقة بسحابه الجهام، وطال بشماله كلَّ يمين، وأخرج بأدنى فكره كلَّ ثمين. ووطئ بقدمه كل عرنين، وافتضَّ أبكار المعاني وكلُّ عنين.

ومما أنشد من قوله في وصف الديك[2]:

كــأنَّ أنــو شــروان أعــلاهُ تــاجَــهُ ونـاطـتْ عـلـيـه كـفُّ ماريَةَ القُرطا
سبى حُلّةَ الطاووسِ حُسنَ لباسه ولم يكفه حتى سبى المشية البطّا[3]
وطائر حُسنٍ في السُّقاة موكلٌ بحبِّ قلوبِ الشِّرب يلقُطها لقطا[4]
توهَّم عَطْفَ الصُّدغِ نوناً بخدِّها فباتت بمسك الخال تنقطُه نقطا[5]

وقوله[6]:

سـكـران لا أدري وقـد وافـى بـنـا أَمِنْ المـلاحـةِ أم مـن الـجـريـال[7]

---

(١) انظر ترجمته: ابن خاقان، قلائد العقيان: م٢/٨٩٤ وفيه: الأسعد بن بلّيطة وانظر: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٧٩٠، ابن سعيد، المغرب: ١٧/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢٦٢/٢، ٢٨٥/٣، المقري، النفح: ٥١/٤، الرايات: ٨١، الحلّة: ٨٣/٢.

(٢) قلائد العقيان: م٨٩٧/١، الذخيرة: ق١ م٧٩٩/٢.

(٣) القلائد: لباسها. ولم يرد في الذخيرة.

(٤) الذخيرة: فبان بمسك. ولم يرد البيت في القلائد.

(٥) الذخيرة: بالسقاة. ولم يرد البيت في القلائد.

(٦) الذخيرة: ق١ م٧٩٤/٢ وأورد البيتان الثاني والثالث. الخريدة: ٢٦٩/٢.

(٧) الخريدة: وافي بها.

تتنفَّسُ الصهباءُ في لهواتِهِ كتنفُّسِ الرَّيحانِ في الآصالِ
[٣٥٨] وكأنَّما الخيلانُ في وجناتِهِ ساعاتُ هجرٍ في زمانِ وِصالِ

قلت: وجاءه مُليحٌ فتن بتورُّد خدِّه، وفتق كافور بنده، واقد وافى إثر ليلةٍ أكلت صباحها، ووكلت إلى سمير الرِّيح مصباحها، وكان غمامُها يعتلج، وكاد سيلها يلج، إلى أن أسكت الله بقدرته لسان برقها، وأمسك بمشيئته عنان وَدقِها، وخصم عنها خصيم الرَّعد المماطل بحقِّها. وأصبحت سماؤها لا تمطر وسحابها لا يذهب، ورياحها لا تجس خلال ديارها ولا تنهب.

فقال:

قال لي إذا بدا كغصن لُجينٍ تهادى لنا بُروق ثيابهِ
أيُّ شيء أنكرتَ من يوم دجنٍ أطلع الشمس من خلال سحابه[1]

وقوله، وأجاد، والثاني أردت[2]:

لبسوا من الزَرِدِ المُضاعف نسجةً ماءً طفت للبيض منه حَباب[3]
صفٌّ كحاشيةِ الرِّداءِ يؤمُّهُ صَفُّ القنا فكأنَّه هُدّابُ

[٣٥٩] ومنهم:

٧٥ ـ ابن المُرعز النصراني[4]

ابن المُرعز النصراني، وهو مُجيد على ما عُرف به من فدامه، وعُلم منه من جهلِ ما فكَّ عنه فدامه. وقد تُروي القُلبُ وهي ثماد، وتنطق الأوتار وهي جماد، وتضيء النار وهي من حطبٍ إلى رماد، والحمامة وهي عجماءُ تسجع، والغمامةُ وهي ظلَّةٌ تُستنجع.

(١) بعد الشعر بياض بحوالي أربعة أسطر.
(٢) الخريدة: ٢٧٠/٢.
(٣) الخريدة: ما قد طفا للبيض فيه حباب، وفي ٥٨٧/٣ ماء طفا للبيض.
(٤) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢٦٩/١ وفيه ابن المرعزي، المقري، النفح: ٣٥٠/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٩١/٢.

ومما أنشد له قوله، وقد بات عند قوم لم يوقدوا سراجاً[1]:

نزلتُ في آل مكحولٍ وضيفهمُ ... كنازلٍ بين سمع الأرض والبصرِ
لا تستضيء بضوء في بيوتهم ... ما لم يكن منك تطفيلٌ على القمرِ

ومنهم:

٧٦ ـ ابن الشقاق[2]

أحمد بن الشقاق، المنفتل غمام لا عيب فيه إلَّا أنَّه مُباح، وتمام لا يحتاج في محاسنه إلَّا إلى حظٍّ القباح، لم يزل أدبه في رياح، وحاسدُه في نُباح، بخُلق طبعت عليه وجوه الصباح، وخلق يقول رائيه سُبحان فالقِ الإصباح.

ومما أنشد له قوله:

بخدٍّ أحمد للأبصار مُعتبرٌ ... عذارُ مسكٍ جرى في صفحتي برَدِ
كأنَّ وجنتَهُ من حُسنه خجلت ... واسوّد عارضُهُ من شدّةِ الحسدِ

ومنهم:

٧٧ ـ ابن الباجي[3]

أبو عمر بن الباجي، صارمٌ لا يُفلّ، وعارمٌ دمه بعيون الغيد لا يُطل، وكان على ورق شبابه، ورقة جلبابه، لا تغره الدنيا بالعرض الأدنى، ولا يلتفت منها إلى ما هو أدنى.

قال فيه بعضهم ما معناه[4]: لو مُنِّينا سجاياه، لما زدنا أو تمثلنا خلائقه، لما بالينا بما جُدنا، أغدق من [٣٦٠] النوء نفعاً، وأنجح من النجم مسعى، وأظهر من ضياء الشمس صنعا، وأكرم من زاخر البحر قطعا.

---

(١) الخريدة: ٩١/٢.

(٢) قارن: ابن سعيد، المغرب: ٩٩/٢، ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢٥٩/٢.

(٣) انظر: ابن سعيد، المغرب: ٤٠٥/١، ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١٨٦/١، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٣١٣/٢، ابن خاقان، القلائد: م٣٠٠/١.

(٤) قارن القلائد: م٣٠٠/١.

ومما أنشد له صاحب الملح قوله:

يا أكثر الناس في نفسي وآثرهم ... عندي ومن حُبُّه شرعي أعظمُهُ
كتمتُ سرِّي إلَّا عنك مجتهداً ... في حفظه إنَّما سر الفتى دَمُهُ

ومنهم:

٧٨ ـ الوقشي[١]

أبو الوليد هشام بن أحمد الوقشي. فصيح رامت مُحاكاته الورق فخرست، وخافت مُفاجأته السماء فحرست، وخشي حريق نيرانه البرق فأكثر يقرع سنَّهُ الولوع، وسرق لمعه بيانه الصباح. فلهذا كان متهم الطلوع.

ومما أنشد له قوله[٢]:

قد بيَّنتْ فيه الطبيعةُ أنَّها ... ببديع أعمال المهندس باهره
عُنيتْ بمبسمه فخطَّت فوقَه ... بالمسك قوساً من مُحيط الدائره

ومنهم:

٧٩ ـ ابن خلصة المكفوف[٣]

أبو عبدالله بن خلصه المكفوف النحوي، رجل تفرشُ كلمُه الباب الرجال، وحكمُه أرباب الارتجال، ببديعٍ يدنو من الإفهام، وهو يعيد ويلين وهو ذهب ويشتد وهو جديد، بدقائق ما جاء ابن الساعاتي إلَّا في أثوابها، ولا ابن الخيمي إلَّا بعد تقويض مبانيها، ولا سبق أقرانُه إلى منحاها صُرّدُرّ إلَّا وجاء في ليلٍ صارد ولا ظافر الحداد إلَّا وظلَّ يضربُ في حديدٍ بارد، أوقد في باطنه نور ناظريه، وأشعل سراجيهما في ليل الفكر عليه.

---

(١) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٨٩/٢، ياقوت، معجم الأدباء: ٢٧٧٨/٦.

(٢) الخريدة: ١٩١/٢، معجم الأدباء: ٢٧٧٨/٦.

(٣) العماد الأصفهاني، الخريدة: ٩٢/٢ وفيه أبو عبدالله محمد بن خلصه، المقري، النفح: ١٠٠/٣، الصفدي، الوافي: ٨٢/٢.

ومما أنشد له قوله[1]:

لئن أوردت من لفظها المنهلَ العذبا ... لقد جرّدتْ من لحظِها المُنصل العَضبا[2]
وما بين هذين المنيّةُ والمنى [٣٦١] ... فلا عتبٌ من دُنياك تصفو ولا عُتْبى[3]
وقالوا كساك الحبٌ أثواب ذلّةٍ ... وهل ممكنٌ أن أجمع العزَّ والحُبا

وقوله[4]:

مليكٌ إذا ألهى الملوك عن اللُّهى ... خمار وخمرٌ هاجر الدِّل والدَّنا[5]
ولم تثنه الأوتاد أوتار قينةٍ ... إذا ما دعاه السَّيف لم يثنه المثنى
فلو جاد بالدُّنيا وعاد بضعفها ... لظنَّ من استصغاره أنَّه ضَنا
ولا طعن في أقدامه غير أنه ... لبوسٌ إلى حاجاته الضرب والطعنا

ومنهم:

٨٠ ـ ابن الشماخ[6]

أبو الحسن عبدالله بن محمد بن شماخ الكاتب. يقفو أثره عطارد، ويقف أمامه من يطارد، ما زال يروع ببراعته التي تسقي العُداة حِمامها، ويثّل عروشها ويثلمُ حسامها، ويبين لها خطأ رأيها وصوابه، وقلّة أدبها إذا لم يقرعوا أبوابه.

ومما أنشد له قوله:

ومُسمعةٍ تغنَّت فوق غُصنٍ ... فهيَّج صوتها حرَّ اشتياقي
فقلت لها أعيدي إنَّ عيشي ... مضى بصفائه كدرُ الفراقِ

---

(١) الخريدة: ٢/٩٤.
(٢) الخريدة: لئن وردت.
(٣) لم يرد البيت في الخريدة.
(٤) الخريدة: ٢/٩٣.
(٥) الخريدة: فارق الدّل.
(٦) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢/٨٢٧، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢/٥٧٥.

ومنهم:

٨١ ـ ابن الفكيك[١]

أبو الحسن بن الفكيك. رجلٌ لما شاء من المعاني جائز، وعلى أيِّ طريق أراد من المعاني حائز، لا ضعيف الرأي ولا عاجز، ولا مُباين له سوى الحظِّ ما سواه فيه غرائز.

ومما أنشد له قوله[٢]:

ووعدتني وعداً حسبتك صادقاً ... فجعلتُ من طمعي أجيءُ وأذهبُ
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلسٍ ... قالوا مُسيلمة وهذا أشعبُ[٣]

وقوله:

بيني وبين عواذلي ... في الحبِّ أطرافُ الرِّماح
[٣٦٢] أنا خارجي في الهوى ... لا حكم إلَّا للملاح

ومنهم:

٨٢ ـ السُّميسر[٤]

السميسر، وهو صاحب قطعٍ لو تجسَّمت لزيّنت النحور، ولو شُبهت لما أخطأت خبايا البحور. أشرف ما اتخذته الغواني، ونبذته للعجز عن تحصيله الأماني. أملك للطرف من صفو الدِّنان، وأسلك في السمع من عزف القيان، هي في ثغر الرضى شنب، وفي أحلام الكرى وصل حبيب، يُخاف فيجتنب.

ومما أنشد له قوله[٥]:

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م٣٦٨/١، المقري، النفح: ١١٩/٣، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢١٧/٢. وفيه أبو الحسن.

(٢) الخريدة: ٢١٨/٢.

(٣) الخريدة: وإذا اجتمعت.

(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٨٨٢/٢ وفيه «أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسُّمير»، ابن سعيد، المغرب: ١٠٠/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٦٧/٢، المقري، النفح: ٥٢٧/١

(٥) الذخيرة: ق١ م٨٩٢/٢، الخريدة: ١٦٧/٢، المغرب: ١٠٠/١.

يـــا آكـــلاً كـــلَّ مـــا اشـــتـــهـــاه وشـــاتـــم الـــطـــبُّ والـــطـــبِّـــيـــبِ
يـــجـــتـــمـــعُ الـــداءُ كـــلّ يـــومِ أغـــذَيـــةُ الـــســـوء كـــالـــذنـــوبِ

وقوله[1]:

يـــا ســـائـــلـــي عـــن خـــمـــول قـــومٍ لـــيـــس لـــهـــم عـــنـــدنـــا خـــلاقُ[2]
ذلّـــوا وقـــد طـــالـــمـــا أذلّـــوا دعـــهـــمْ يـــذوقـــوا الـــذي أذاقـــوا[3]

ومنهم:

٨٣ ـ ابن القلّاس النحوي[4]

ابن الفلّاس النحوي، ممن سُهلَ عليه الكلام. يسلُك سُبُلَه، ويركب صعابةُ وذلله، ويجيء به أشهى من غفلةِ الرقيب، وأعلق بالطماعية من وعد الحبيب، وأعلُّ لصداء المشوق من الصهباءِ في يد الشادن الربيب.

ومما أنشد له قوله:

إنَّ الـــرمـــيـــلـــي فـــتـــىً راويـــةً لـــلـــطـــبِّ والـــفـــلـــســـفـــة الـــعـــالـــيـــة
حـــاز الـــمـــســـاحـــات فـــأضـــحـــى بـــهـــا يـــســـتـــنـــبـــطُ الـــمـــاء بـــلا شـــائـــنـــة
كـــأنَّـــمـــا يـــنـــزل مـــخـــروطـــه عـــلـــى عـــمـــودٍ قـــائـــم الـــزاويـــة

ومنهم:

٨٤ ـ ابن ايس

محمد بن ايس. رجلٌ مثله لم يتوهّم، وشبيهه لا يكون [٣٦٣] إلَّا كيوان لمن يتفهم، مذ أسفر مُحيَّاه لم يتجهَّم، ومذ حطَّ سهمُ قلمه وخطَّ، لم يذكر الرداء المسَّهم،

---

(١) الخريدة: ١٦٨/٢.
(٢) الخريدة: يا مشنقاً من خمول.
(٣) الخريدة: وكم طالما.
(٤) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٤١٨/١، ابن سعيد، المغرب: ٣٦٣/١ وفيه ابن الفلاس، المقري، النفح: ١٨٦/١.

وكان عون المحتاج، وباب الكرم والمفتاح. هذا على قلّة ثراء، ويُبس ثرى، وضائقة يد، ومضايقة يومٍ لغد، مع أدبٍ يهزُّ المرتاح، ويهزأ بالقمر الملتاح، ويقرِّبُ نأي القلب للمحتاج.

إلّا أنه بلي بداهية الدهر ودهيائه، وقوبل بوجهه الوقاح وقلّة حيائه، لعب الزمان لعب الكرة، وعوّده الحدثان بصرفه حتى ما أنكره، فلم يُر قدره إلّا في انحطاط، ولا شخصه إلّا مثل المُصوَّر في البساط. وما زال الحرمان يدفعه عن مطلبه، ويمنعه، إلّا من المطل به لا يرى قدر صنيعه، وقد حاكه أي حوك، ولا يرى حتى أنامله إلّا أغصان شوك لسوء بخت يجنيه نقص الخطِّ على الأديب، وجهد بلاءٍ لو ناوبت نوبة الصخر لكانت له تذيب. وطالما برز وقلمه كالسيف في كفِّ المليح، وقرطاسه بخيلانه كخدِّ المُليح. وأيامه الأول، وقد كانت وجوههنَّ نضرات، ولياليه الماضية وقد كانت أوراقهن خضرات. فيقشع ذلك الغيم الممطر، وهمد جوانب ذلك الجوِّ المزهر، وجفّ جدول تلك المجرَّة، وبُدِّلت أوقات تلك المسرَّة، وذهب مُذهب ذلك الزمان، كأنَّه ما عُدَّ له في الأيام مرَّة.

ومما أنشد له صاحب الملح قوله:

جعلوا رُضابك كي تحرِّم راحا ... ورأوا به قتل النفوس مُباحا
وجلوا ظلام الليل بالفتح الذي ... سمّوه بين جيادهم أوضاحا
وأتوا بغدران المياه جوامداً ... قد فصَّلوها ملبساً ووشاحا
[٣٦٤] منعوا خيالك أن يزور معرّساً ... وحموا عليه روابياً وبطاحا

وقوله:

عصبوا الصباح فقسموه خدودا ... واسترهفوا قضب الأراك قدودا
ورأوا حصى الياقوت دون محلِّهم ... فاستبدلوا منها النجوم عقودا
لم يكف أن حملوا الأسنَّة والظبى ... حتى استعانوا أعيناً وخدودا

وقوله:

يُعيِّرني العُداة رثيث زيٍّ ... وإني لابس شَملَ الرقاعِ
بـرودٌ قد خلقن عليَّ ... حكين الصبر في يوم الوداعِ

ومنهم:

٨٥ ـ أبو عامر بن عبد[1]

أبو عامر محمد بن عبد. شاعر ينظم الدُّر، وتُنظَر منه الشموس في صبح الأيام الغرر. ركب مرَّةً البحر، وكأنَّ أمواجَهُ جبالٌ تتصادم، أو رجال تتصالم، والماء يقذف بألسُن مارج مُتَلِّهب، والموج يُشمِّر ذيلَه تشمير مسافرٍ مُتأهِّب. وشقَّه على زوزاء يسجد للرِّياح، وخرقاء تجرُّ بأطراف الرِّماح. قد لبست الشباب مُلاءة، وانبتت مُشتجر البحر آلاءه، وكانت سفنه محكمةً، قد قسمت بالتقدير فلم تسبح ولم تطر، وجرت بساقي عائمٍ ذرب [٣٦٥] ثم طارت بجناحي طائرٍ حذر، فأقلعت به في جملة سفنٍ تزأر زئير الأسد وهي صوامت، وتسير سير الشهب وهي ثوابت كأنَّها عقبان طارت فانقضت على الماء، أو سحائب حَلَّقت فتقطعت في أديم السماء بقلْع تمرح به في عنانٍ مطلق، ومجاذيف كأنَّها أراقم نزلت لتكرع في غديرٍ مُتأق قد أتلع إليها جيده الأجل المتاح، وخاضت البحر لا تخاف الغمرات ولا الضحضاح. إلَّا أنَّه لم تدم له صحابتها، ولا رمته بالصواعق سحابتها. فقال يصفها:

وسوابق دهم كما اطَّرد المدى	فتصوب محتبكاً بريح الشمالِ
عدٌّد إذا ما شئت كانت عُدَّةً	عند المُلَمِّ وزينةً للجحفلِ
تعلو بها الأمواج ثمَّ تحطُّها	كمُسِّفةِ الغربان تكسر من علِ
مثل الخواتيم غير أنَّ هواءها	يهفو بأجنحةٍ خفاف المحملِ
كالربُد ثرنَ منفِّراتٍ بالفلا	فجفلن في نسج التراب الهلهلِ
غيدُ السوالف أتلعت فكأنها	سربُ الظباء تشوَّفت للخُتلِ

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٣ م٨٥٧/٢، العماد الأصفهاني، الخريدة: ٣٠٨/٢، ابن سعيد، المغرب: ٤٤٤/٢.

ومنهم:

٨٦ ـ ابن هاده[1]

أبو علي الحسن بن هاده. فاتك التعريض، مالك للقريض، لا يُطمأنّ من ضراره، ولا يسلم عرضٌ من تطاير شراره، ولا يأمن منه البدر التمام أن يدخله في سراره.

ومما أنشد له صاحب الملح قوله:

إن ابـــــن زيـــــنـــــبِ رامٍ ... لـــــه مـــــرامٍ بـــــعـــــيـــــده

يـــــريـــــشـــــنـــــي بـــــســـــهـــــامٍ ... تـــــجـــــيء غـــــيـــــر ســـــديـــــده

والـــــلـــــه إن لـــــم يـــــدعـــــنـــــي ... لأخـــــصـــــيّـــــن عـــــبـــــيـــــده

ومنهم:

٨٧ ـ الطبيب المصري[2]

أبو محمد الطبيب المصري [٣٦٦] أحد البواقع، والمصائب التي تدع الديار بلاقع، والبلايا التي ما لحروقها راقع.

ومنهم:

٨٨ ـ ابن البرجي[3]

عبدالحميد بن عبدالحميد البرجي. أعار أنفته ابن الأيهم، وتقاه ابن أدهم، وبيّن زهده حرص المعرِّي، وقد قال إن الشمس دينار، والبدر درهم، فهم عن العلياء ما لم تفهم وآسى كلومها من كلمه بمرهم، ووقع من أعراضها على ما لا يقدر عليه إلّا من يُلهَم، بذكاءٍ يحلُّ المُبهم، وارتقاءٍ معه القوس تُعطَّل، والسهمُ لا يسهم.

ومن شعره، أنشد له صاحب الملح[4]:

---

(١) انظر: العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٩٣/٢.

(٢) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ١٢٨/١، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٩٣/٢.

(٣) انظر: العماد الأصفهاني، الخريدة: ٢٠٩/٢، المقري، النفح: ٤٩٧/٢. وبرجة من نواحي المريّة.

(٤) الخريدة: ٢٠٩/٢. وأورد البيت الأول فقط.

أرِحْ مَتْنَ المُهنَّدِ والجوادِ	فقد تعبا بجدِّك في الجهادِ
ومن يأخذ مآربه برفقٍ	وتدريجٍ تمكن بالمرادِ
فدعْ فرط الترامي والتواني	وخذ ما بين ذلك باقتصادِ
فإنَّ البيض يُصديها التواري	ويقصفُها مُداومةُ الجلادِ

ومنهم:

٨٩ - أبو الحسن جعفر بن الحاج(1)

أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج. سلسل مطرد، ومنهلٌ لمن يرد، إلَّا أنه طالما ذكر زمانه، ولمَّتهُ كجناح الغداف، وماء شبيبته لم يشربه الجفاف، وجعل يبكي من الشيب وهو يضحك منه في لُمتِّه ضحك من شمت، وتأسَّف لذاهب الشباب كأنَّه في لياليه لم يبت حيث ذهب، وكأنَّه فياءً بظلِّه وتولّى، وكأنَّه كان حُلماً بضلِّه ومضى، بزمانٍ لا عيب فيه سوى قصر المدى، وسُرعة ما جفَّ عن ورقة الندى، إذ كان سواد شبابه كالسواد من القلوب، وإذ كان يُخبَّأ بين المخانق [٣٦٧] والجيوب، وهيهات لقد كان يذكر شباباً لا يرتجع، وسحاباً لا ينتجع.

وقال فيه الفتح(2):

شيخ الجلالة وفتاها، ومبدأ الفضائل ومنتهاها، ومن نثره(3):

وفي الروض مستمتع، وفي الغوص مالا يرقى له مدمع إلَّا يدمع، وللنجوم لوامع تكاد تجمع، ومن العجائب أن الدُّرر تُسمع، وما ذاك إلَّا كلمك الزواهر، ونظمك وما لكليهما ما فيها من أرج الأزاهر.

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ٢٧٧/٢، ابن خاقان، قلائد العقيان: م١/٤٠٠، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٣٩/٢، ونسبه اللرقي نسبة إلى مدينة لرقة.

(٢) قلائد العقيان: م١/٤٠٠ مع المقارنة، الخريدة: ١٤٣/٢.

(٣) لم يرد في القلائد.

ومن نظمه قوله [في][1] قرين تفاح أهداه[2]: [الوافر]

بعثت بها ولا آلوكَ حمداً ... بهدية ذي اصطناع واعتلاق[3]
خدود أحِبَّةٌ وافين صَبَّاً ... وعُدن على ارتماضٍ واحتراق
فحمَّر بعضها خزل التلاقي ... وصفَّر بعضها وجلَ الفراق[4]

ومما أنشد له صاحب الملح قوله المستمتع وهو[5]:

وأعجبني من بائع دينه ... بلذَّةٍ يبلغ منها مناه[6]
وإنما أعجبُ من خاسرٍ ... يبيع أخراه بدنيا سواه

وقوله:

لا تجفلنَّ بحادثٍ ... وكل الأمور إلى المقادر
وإذا تضايقت الأوائل ... فسوف تنفرج الأواخر

ومنهم:

٩٠ - ابن زهيرة

أبوعبدالله بن أبي عمرو بن عامر بن مرح المعروف بابن زهيرة. شاعر مفتوق اللسان، يقدر على غير الإحسان، مُغرىً بالأعراض يهتك مصونها، ويدكُّ حصونها.

ومما أنشد له قوله:

رأيتُ في رأسه قروناً ... تنطحُ من طولها السماءُ
فقلت ماذا الذي أراه ... وما على مثله خفاءُ
فقال ربُّ الورى لطيف ... يزيد في الخلق ما يشاءُ

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق.
(٢) القلائد: م١/٤٠٨، الخريدة: ٢/١٤٥.
(٣) القلائد والخريدة: هدية.
(٤) القلائد والخريدة: خجل التلاقي.
(٥) الخريدة: ٢/١٤٠.
(٦) الخريدة: يا عجبي.

ومنهم:

٩١ ـ أبو الحسين الحصري[1]

أبو الحسين علي بن عبدالعزيز الحصري. مُفتِّق كلم حسان، ومشقِّق قلم ولسان، جرَّ ذيله على جرير، وتنعَّم في سندسٍ وحرير، فعبَّر نفسه عن العبير، ورجح شعره وزناً خفَّ دونه ثبير، وفاق حُسناً ما جُني بعده الحبير، حتى لقد أُنسي لمحاسنه ذكرى حبيب، وأسلى ببدائعه لفتان الظبى الربيب، وقعد للإملاء فأضاق بازدحام الأقلام المحابر [٣٦٨] ونشر من دفاتر حفظه الأمم الغوابر. وظل ينتهبه الوارد والصادر، وبنيانه طائل الفوائد والنوادر، وكان على صحيح تمسكه، وصريح تنسُكه، وصيانة علمه، ورزانة حلمه، وجلوسه مُصدراً، وتفرُّده في الورى، يتغزَّلُ من غير استباحة محظور، ولا سباحة غمراتٍ في محذور، بل هو ما عرف من لطف أهل الورع، وما شربوه من الكؤوس التي أبقوا منها إلَّا الجرع، وعلى كثرة ما كان يُنتاب، ويقصده حتى المرتاب، لا يتجهم سحابُه المتهلل، ولا يطوى بارق بشره للمتأثل، ولا يتلقى القاصدين بمعاذيره، ولا يُنفر الجالسين بإفراط تحذيره، بل ربما حام في حديثه حول الحمى، وأتى بزواجره مبهما.

وهو مع هذا يحدّث عن الحمى بأمور، ويذكر سرب مهاه ومفاجأة الغيور، ويصف أعين عينه التي ترمي الصوارم بالفتور.

ومن شعره قوله[2]:

أقول له وقد حيَّا بكأسٍ ... لها من طيب نكهته ختامُ[3]

أمن خدَّيك تُعصرُ قال: كلَّا ... متى عُصرتْ من الورد المُدامُ

---

(١) انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٢٤٥، العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٨٨/٢، بان خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣١/٣، ياقوت، معجم الأدباء: ١٨٠٨/٤. ومعظم المصادر أشارت إلى أن اسمه علي بن عبدالغني.

(٢) الخريدة: ١٨٧/٢.

(٣) الخريدة: من مسك راحته.

[٣٦٩] ومنهم:

٩٢ ـ ابن وهب[1]

أبو الحسن علي بن أحمد بن وهب. برٌّ فصيح، وبرٌّ فسيح، تحلّق بالنهى، وتعلَّق بالسهى، وتحقق هوان اللُّمى، فلم يحفل بمدحٍ، ولم يحفز إلى طلب منح، تحلّق ندى، وتخلَّق في ندى وكرم، يُخفى معه الرباب، ويحتقر دونه البحر العباب، ويردُّ عين الشمس رمداء، في شعريَّةٍ من ضباب.

ومما أنشد له قوله في النِّيلوفر الأبيض[2]:

ألم ترَ النيلوفر الغضَّ أصبحت تطلَّع نحوي منه كالأعين الحورِ
تُلاقي الدُّجى يوماً بأجفان هاجرٍ وتلقى الضحى سُهْداً بأجفان مهجورِ
كأنَّ سويداواتها في بياضها بقايا غوالٍ في مداهي كافورِ

ومنهم:

٩٣ ـ الأعنبي النحوي

أبو محمد الأعنبي النحوي، أسٌّ لأبنية النحو، وشمس يرمي البدر بالمحو، وسحاب ممطر. إلَّا أنَّ زمانه أيام الصحو ما تساقطت له نجوم، ولا تسايرت لمثله أنواء غيوبٍ سجوم، فلم يزل حتى قادته المنيَّةُ بخطام مشيبه، وأعادته كالوَجُل لا يقعُ في عين رقيبه، وما نكصت به مذ شرعت في تقويس ظهره، وحَنتْهُ ليرى في الأرض موضع قبره، وأشرفت به على موارد العطب، وثلمته والسيف لا يُردي وإن كان ذا شطب. فقد أبلت الأيام جسمه، وما أبلت اسمه، وانحلَّت جسده، وما نحَت عن غابه أسده، فقد كانت بقيته شديدة، وقوى عزائمه حديدة، وقدرة رأيه على ما كان [٣٧٠] عليه أو أزيد، وصفاء ذهنه على ما عُرف منه أو أجود، والجفن يجلو فوق الصارم الذكر، والهلال بعد ما أفناه المُحاق، وأبلته الغير.

---

(١) العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٦٩/٢ وفيه ابن أبي وهب.

(٢) الخريدة: ولم يورد سوى البيت الثاني.

ومما أنشد له قوله:

صحَّ الهوى منك ولكننا نعجب من بينٍ لنا يُقدرُ
كأنَّنا في فلك دائرٍ فأنت تخفى وأنا أظهرُ

ومنهم:

٩٤ ـ ابن الرفاء[١]

محمدبن يوسف، عرف بابن الرفاء، لا يُسام درّةُ السنيِّ، ولا يُسامى وأبوه الرفاء، وهو السريُّ، ذو صناعةٍ تحرّرُ الحبر، وتحرض السيوف إذا عجزت عما ينال الأبر، وكان مهما شاء رنق، ولو أنَّه ثوب السحر لما أعياه منه تخييط ما فتق.

ومم أنشد له قوله:

يا غريراً غرّني ماذا ترجى بصلاتك
كيف تجزيك صلاةٌ ودمي في وجناتك

ومنهم:

٩٥ ـ ابن سريّه[٢]

أبو مروان عبيدالله بن سريَّه. مُجمر سريِّه، ومُبرِّز في البريِّه، لا ترد له رميه، ولا تعد كماته بكميِّه، لجَّ به الكبر حتى طوى مُدَّته، ونكس صعدته وقوسه كما يصير البدر هلالاً حين يتمحق.

وحمَّله العصا لعله يلتحق وتركه انحناء الظهر كأنه خاتل لصيد، وخلّاه مشي الخطا كأنَّه ماشٍ في قيد، فلم يهنه طعامٌ ولا شراب، ولم يؤنسه وطن ولا اغتراب حتى كأنَّما كان ينشد.

والدَّهر قيَّدني بقيد مُثقلٍ فمشيت فيه وكلُّ يومٍ يقصرُ

---

(١) انظر: العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٨٣/٢ وقارن ٥٧٨/٣.

(٢) انظر ترجمته: العماد الأصفهاني، الخريدة: ١٨٤/٢، المقري، النفح: ٣٢٦/١.

[٣٧١] ومما أنشد صاحب الملح له قوله[١]:

راقـــنـــي الـــنـــهـــرُ صـــفـــاءً بـــعـــد تـــكـــديـــر صـــفـــائـــه
كـــان مـــثـــل الـــورد غـــضّـــاً فـــهـــو الآن كـــمـــائـــه[٢]

وقوله[٣]:

ولـمَّـا رأيتُ الغربَ قد غُصَّ بالدُّجى وفي الشرق من ضوء الصباح دلائلُ
تـوهَـمَّـتُ أنَّ الـغـربَ بـحـر أخـوضُـهُ وأنَّ الـذي يـبـدو مـن الـشـرقِ سـاحـلُ

وقوله:

قـل لـمـولاي لـم يـغـيـب عـنِّـي ألـوعـدٍ أصـابـه أم لـعُـذرِ
فـثـنـى رأسَـهُ وقـال ازدهـاءً تـسـتـسـرُّ الـبـدور فـي كـلِّ شـهـرِ

وأمَّا من غيرهم فطائفةٌ ممن تضمنهم محاسن الهصر بشيخ.

ومنهم:

٩٦ ـ خلف الفيتوري[٤]

خلف بن عبدالعزيز بن محمد بن خلف بن خلف بن عبدالعزيز بن محمد الغافقي القبتوري الأصل، الأشبيلي المولد والمنشأ.

هبت بمصر ريحه مرةً على مرّة، وشبَّت فيها مصابيحه كرةً على كره، وحج في الأولى يلطم بأيدي العيس وجه السبسب، ويطأ عقارب الليل ولو أنَّه بزباناها يُلسب حتى قضى نفثه، ويطوف بالبيت العتيق لا يخاف رفثه، وسمع عليه هناك من شعره واجد على خاطري من ذكره.

---

(١) الخريدة: ١٨٤/٢.

(٢) الخريدة: فهو اليوم كمائه.

(٣) الخريدة: ١٨٥/٢.

(٤) توفي سنة ٧٠٤هـ. انظر عنه: الصفدي، أعيان العصر: ٣٢٢/٢، الوافي بالوفيات: ٣٧١/١٣.

مما أنشد شيخنا أبو حيَّان قوله(1):

واحسرتا لأمور ليس يبلغها ... مالي وهنَّ مني نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لا جدوى لديَّ وما ... آلوت جدّاً ولكن جدِّي الآلي

ومنهم:

٩٧ ـ جعفر الحسني(2)

جعفر بن محمد بن عبدالعزيز من ولد إدريس المتأيد بن يحيى المعتلي الحسني. قمر له أدب يكادُ غصنه يُهتصر، ومُزنهُ يُعتصر، طال باع قصائده فما فيها قصر [٣٧٢] ولا جفَّف بللٌ فيها حصر، لمحاسن لو نشرت لحلّت كل بصر، ولجلَّت أن تدع للزلال ما فضل من خصر، على أنَّها لم تخلُ من كلمٍ بها يُنتصر، وحكم لها طريق إلى القلوب مُختصر، ينمى فرعه إلى ملك كان لا يُحرم سائلُه، ولا يعظم إلَّا البحر ونائله، تنكَّست له رؤوس أعدائه الصُّغر، وأمنت رعيتُهُ من الذُّعر، وغلَّت مهابته أيدي الطُّغاة، فلم تمتد وألانت حصاه، تألَّبهم فلم يشتد.

ولقد كان آملُه يستقبل العمر جديدا، ويستقبل النجوم عديدا، وتستقر حيث رأى المرعى خصباً والظلُّ مديداً.

ومما على ذكري من شعره شيخنا أبو حَيَّان قوله(3):

يا أُهيل الحيِّ من كاظمةٍ ... قد لقينا من هواكم نصبا
قلتم جز لترانا بالحمى ... وملأتم حيَّكمُ بالرُّقبا

---

(1) أعيان العصر: ٣٢٣/٢.

(2) توفي سنة ٦٩٦هـ. انظر عنه: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢٩٦/١، الصفدي، أعيان العصر: ٢/ ١٥٧، الوافي بالوفيات: ١٥/١١.

(3) أعيان العصر: ١٥٧/٢.

ومنهم:

٩٨ ـ محمد الصدفي[1]

محمد بن أحمد بن إبراهيم الصدفي الأشبيلي. هو الصدفي الذي لا يخرج إلَّا الدرُّ اليتيم، ولا يؤمن حتى يُلمس جانب العقد النظيم، ما ولدت مثله إشبيلية، ولا أكنَّه دهرُها، ولا أجنَّة جنّاتُها، ولا سقاه نهرُها.

ومن شعره قوله من قصيدةٍ أولها[2]:

مـابـي مـواردُ حـبـي بـل مـصـادره	الـلَّـحـظ أولُـه والـلَّـحـدُ آخـرهُ
يـبـاشـر الـوشـي مـن أعـطـافـه نـشـراً	يـكـادُ يـخـرجـه قـولـي يُـبـاشـرهُ
هـو الـحـديـقـة لـكـن ربَّـمـا كـمـنـت	مـكـان حـيـاتـهـا مـنـه غـدائـرهُ

ومنهم:

٩٩ ـ الكساد الإشبيلي

الكسادُ الإشبيلي، لله هو من كسادٍ هو النفاق، وواحد في طريقه على كره الرفاق، وجالب دُرٍّ وقف حاله حتى عرف بالكساد، وألف الزمان له الكياد، لأنَّه لم يعرف لما معه قيمة، ولا وُجد زبون تنفُق عليه تلك الفرائد اليتيمة.

وله في مليح حلق رأسه ليكسى قبحاً. فمحا ليله، وبقي كله صُبحا.

مما أنشد له شيخنا أبو حيّان:

كـان مـوسـى كـهـلالٍ نـيِّـرِ	لـيـلـه إذ يـتـبـدَّى الـشـعَـرُ
[٣٧٣] فـبـدا مـذ حـلـقـوا لـمُـتَّـهُ	مـن مـحـيَّـاهُ صـبـاح مُـسـفـرُ
كـان إلَّا قـمـراً تـحـت الـدَّجـى	فـانـجـلـى الـلـيـل ولاح الـقـمـرُ
أو كـزهـرٍ فـي كـمـامٍ كـامـنٍ	شـقـقـت عـنـه فـنـام الـزهـرُ

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٩٦/٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩٦/٢.

ومنهم:

١٠٠ ـ القَلَلَوْسي[١]

محمد بن إدريس القللوسي من أهل العرب. جاز الأندلس تجري به السفنُ في موجٍ كالجبال، وتبتلعه ثُعبان اليّم وما ألقى له من عصِّي وجبال حتى علوٍّ بملك لو رام البحر أن يتشبَّه به لرام الشطط، أودى النَّجم من رتبة تحلُّ أشرف الخطط، أو استنار المجدود بشهبه لتجلّى حظُّه الغطط، أو اتَّصل الزَّمان بسببه لما قُطَّ شعر ليله القَطط.

وله شعر فائق منه. مما أنشده له[٢] شيخنا أبو حيَّان[٣]:

لا تـنـكـرنَّ مـشـاريـطـاً بـوجـنـتـه ... فـإنَّـهـا أثـرُ الألـحـاظِ والـفـكـرِ
فـطـالـمـا جُرحـت بـالـلـحـظ وجـنـتـه ... والـجـرحُ لـيـس لـه بـدٌّ مـن الأثـرِ

ومنهم:

١٠١ ـ محمد التجيبي[٤]

محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيـبـي. من أهل يلّش، فقيه طالما شُيِّد به درس، وجُدِّد غَرس، رحل من الأندلس إلى مصر، وسكن القاهرة، وقصر هواه على ربوعها الزاهرة، ونزّل بها في المدارس وتره ببحوثها في أزكى المغارس.

وكان ظاهر الصلاح، زاهر الصباح، يقطع الليل إحياءً، ويعيدُ أموات القلوب أحياء.

ومن شعره مما أنشد شيخنا أبو حيّان قوله في مليح له رقيب أحول[٥]:

أحـوى الـجـفـون لـه رقـيـب أحـولٌ ... الـشـيءُ فـي إدراكـه شـيـان
يـا لـيـتـه تـرك الـذي أنـا مـبـصـرُ ... وهـو الـمـخـيَّـرُ في الـغـزال الـثـانـي

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٢٩/٢.
(٢) مما أنشد له: مكررة.
(٣) الوافي بالوفيات: ١٢٩/٢.
(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٩٩/٢.
(٥) الوافي بالوفيات: ٩٩/٢.

[٣٧٤] ومنهم:

١٠٢ - إبراهيم الإسلامي[(١)]

إبراهيم بن سهل الأشبيلي الإسلامي. كان يهودياً فأسلم، وأنار من جوّه ما أظلم، أديبٌ فات المذاكي وما قرح، وتقدّم الناس فما دخلوا إلّا من الباب الذي فتح، فاق الأدباء وهو منهم، وعدّى الفضلاء وما أخذ إلّا عنهم، وكان مُذ تفتّقت عنه كمامتُه، وليثبت عليه عمامته، وخطّ مسك الشباب عارضه، وأطاع جامح الصبا رائضه.

شراره سناء، ونوّاره غنّاء، أضاء جُنح الدُّجى فرقده، ورفع أسنمة الرُّبى موقده، حتى كان لو باراه البدر لما قيل إلّا أنّه ناقص، أو قاحمه الأسدُ لما قال إلّا وهو على عقبه ناكص.

إقداماً على الأدب أخذ بأعناقه، وأمسك بآفاقه، وكان على إضاعته ليقينه ووضاعته في دينه، ومحافظته على ملّته القديمة، ونسخ شريعتها، وضيق شريطتها، له مكان في الصدور، وإمكان لا تزاحمه الصخور، لفضله الذي اشتهر، وفعله الذي بهر.

ولقد مدح وهو على دين اليهودية الجناب الشريف النبوي المحمدي زاده الله تشريفاً بقصيدة لم تَدَع مسمعا، ولم تَدُع مدمعا، وسأذكر بعضها لغرابتها، وعلوّ رايتها على غرابتها، ولأنّها من الدُّرّ الذي يُخزن، والذهب الذي لا يسمح به أن يوزن. هذا مع عجائب وقوعها من مثله قبل إجابته ورجوع بصره وإنابته وهي[(٢)]:

وركبٍ دعتهم نحو طيبةٍ نيّةٌ	فما وجدت إلّا مُطيعاً وسامِعا[(٣)]
يسابق وخدَ العيس ماء شؤنهم	فيقفون بالبرق المدى والمدامعا
إذا انعطفوا أو رجعّوا الذكر خلتهم	غُصوناً لداناً أو حَماماً سواجعا

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: ١/٢٦٩، المقري، النفح: ٢/٣٥١، ابن شاكر الكتبي، الفوات: ١/ ٢٣، ديوان ابن سهل الأندلسي، تح: إحسان عباس، ص٩ وما بعدها.

(٢) الديوان: ٢٣٢.

(٣) الديوان: نحو يثرب.

[٣٧٥] تضيءُ من التقوى خبايا صُدُورهمْ وقد لبسوا الليلَ البهيم مدارعا
تكادُ مناجاةُ النبيّ محمَّدٍ تنمُّ بهم مسكاً على الشمِّ ذائعاً
تلاقى على ورد اليقينِ قلوبهمْ خوافقَ يُذكرنَ القطا والمَشارعا[1]
سقوا دمعهم غرسَ الأسى في ثَرى الجوى فأنبتَ أزهارَ الشُّحوب الفواقعا[2]
خذوا القلبَ يا ركبَ الحجازِ فإنَّه ثوى الجسمُ في أرض البطالة كانعا[3]
ولا تصرفُوه إن قفلتُمْ فإنَّه أمانتكُمْ أن لا تردوا الودائعا[4]
مع الجمراتِ ارموا فؤادي فإنَّه حَصاةٌ تَلقَّتْ من يد الشوق صادعا[5]
بُنيت بناءَ الحرف خامر طبعَه فصرتُ لتأثير العواملِ مانعا[6]
تنبَّه لأولي السَّمِّ إن كنت راقياً وعاجلْ رقوعَ الحرفِ إنْ كنت راقعا[7]
وما اشتبهت طرقُ النَّجاةِ وإنَّما ركبتَ إليها من يقيني ضالعا[8]
ووالله مالي في الدخولِ وسيلةٌ تُرجَّى ولكن أعرفُ البابَ واسعا

وحكي أنَّه نزل هو وآخر أظنُّه الهوريني في أفنان سدرةٍ يذوب في الماء ظلِّها وتصافحه بعض أغصانها لا كلُّها، وتحتها غدير سحبت عليه ضفائرها، وبثت إليه سرائرها، وعلى فننه حمائم ظلَّ يطارحها بشجوه، ويحدثُها في هذا ونحوه، فطفقت بمُنيّةِ الطيف وما عنده مقلة تكرى وتسلّيه، ولا تجد السُلو مغرى، إلَّا أنَّه أنس بتغريدها، ويأس من نفار شريدها، وأقبل عليها وهي تحاكيه، إلَّا أنَّها غير عبرى وتباكيه، وفيض الدمع مرتبة أخرى. فقال: [٣٧٧][9]

---

(١) الديوان: وادي اليقين.
(٢) الديوان: سقى دمعهم، أزهار الشجون.
(٣) الديوان: فإنني، أرى الجسم في أسر العلائق قابعا.
(٤) الديوان: ولا ترجعوه ... فإنما.
(٥) الديوان: ... ارموه يا قوم فإنَّه.
(٦) الديوان: فصار لتأثير.
(٧) الديوان: وبادر بوادي السّم ... رقوع الفتق.
(٨) الديوان: فما اشتبهت، من يقينك.
(٩) صفحة ٣٧٦ من المخطوط بياض.

ولقد حكى أنَّه كان في زمان شبابه وزناده ما قدح ولا ورى، وماؤه في غصنه ما شحَّ ولا جرى، ونجمه بعد ما عُرف وطرفُ حاسده به ما طُرف، وفجره سرٌّ مكتوم في خاطر ليله ما ذاع، وعرفه مسك في عاتق سحره محفوظ ما ضاع.

والهيثم شيخ الأدباء آنذاك بالأندلس واقف ينشد قصيدةً قالها في المتوكِّلْ ابن هود، وقد بايع الدولة العباسية، وانتمى إليها، وجاءت إليه تشاريفها، والأعلام السود لديها، ولم تركز قبلها لهم رايةٌ بالأندلس، ولا خُطمت لهم أنوف تلك المصاعيب الشمس. فجعل المتوكِّل أعلامه سوداً حملاً لشعارها، وجهلاً بالدنيا في ارتجاع مُعارها.

فلما أتى الهيثم على آخر القصيدة، وأتمَّ مجموع تلك الفريدة، ولم يذكر أعلامَهُ السود، ولا شبَّهها بالخيلان على الخدود.

قال له ابن سهل: زد بين البيت الفلاني والبيت الفُلاني.

أعلامُهُ السودُ إعلامٌ بسؤددِهِ ... كأنَّهنَّ لخدِّ الملك خيلانُ[1]

فبُهت الهيم لهذا البيت وقال له: أهذا شيء ترويه أم شيء نظمته. فقال: بل شيء نظمته. فقال الهيثم: إن عاش هذا سيكون أشعر أهل الأندلس. أو قال كلاماً هذا معناه، فكان أمر ابن سهلٍ كما ذكر، وفوق قدر ما شكر.

وحكي أنَّه كان كلفاً في حال يهوديته بغلامٍ اسمه موسى كان له حبيباً، وكان به كئيبا، وكان يفرط فيه غُلوّاً، ولا يجدُ عنه سُلوّاً، ولا يزال في أودية فكره به هائماً، وعلى مشرب ماءِ خدِّه النّدي جاثماً. فلما شُرِّفَ بدين الإسلام، وعرف شرفه سفه تلك الأحلام، كلف بغلام اسمه محمد، اشتدَّ به كلفُه وقرب [٣٧٨] بسببه تلفه إذ كان لا يقرُّ هدوّاً، ولا يُقلُّ رواجاً إليه أو غدوّاً لهوى ثانٍ نُسي به حبُّ الحبيب الأوّل. ونسخ شرعه وكان يرى أنَّه لا يتحول. وفيهما يقول[2]:

---

(١) الديوان: ٣٥٢. وفي الديوان: كأنها فوق خدّ ...

(٢) الديوان: ١١٦.

تركتُ هوى موسى لحبٌ محمدٍ ولولا هُدى الرحمان ما كنتُ أهتدي(١)
وما عنْ قِلىً منِّي تركت وإنَّما شريعةُ موسى عُطِّلت بمحمَّدِ(٢)

وحكى أنه في حال يهوديته هام بغلامٍ من أهل الشرف من بني الحسن بن علي، وكلف به كلفاً شغله، وأوقد شُعلَهُ. وكان لا يصر عن حُبِّه، ولا يقدر على قربه، ولا يزال يتعرَّض له وهو يُعرض، ويُصحُّ له ودَّهُ وهو يمرض. وكان الغلام ذا وجناتٍ مُشرقةٍ يَشُّب لها حريق، ويُشابُ ماءُ شبابها برحيق. فلما رأى ديباجة خدِّه المُذهَّب، وسنا وجههِ الذي كاد أن يتلَّهب. زاد به فتونه، وعظم في حبِّه جنونه. وظنَّ أنَّه يُعاجل لهب ذلك الخدّ تُحرق، ثم بحريق نار الآخرة وعُد أن يُلحق، فلما لم يجد مفرّاً من ناريه، ولا ممراً عن طريق أواريه. وتيقَّن أنَّه سيحرُقُ في الدنيا قلبه بخدِّه، وفي الآخرة جسمه بحدِّه. قال:

أيا ابن رسولِ اللهِ رفقاً بمغرمٍ فعمَّا قليلٍ ينقضي فيك نحبُهُ
يحرَّقُ في الأخرى بجدِّك جسمُهُ ويحرق في الدُّنيا بخدِّك قلبُهُ

وحكى أنه كان في حال يهوديته حافظاً للقرآن الكريم، يُرتِّل سوره، ويرتِّب سُرره، ويقرب مشاره، ويقرأ على ما جرت به العوائد أعشاره.

وكان يكاثر المسلمين ويخالطهم، ويحضر مجالس علمائهم ويباسطهم، وربَّما ناظر الفقهاء [٣٧٩] مناظرة يقف في مدارج حلوقهم. وتذهب لو قبل الجدل بمناهج حقوقهم، ثم لم يزل على هذا إلى أن وضح له نور الحق الساطع، وأصاب مقاتل جَدلهِ حدَّ السف القاطع، وبانت له أعلام الإسلام، وما يسعُه ظلُّها الذي يسبغه، وحزب الحق وهو يُكرّ على الباطل فيدمغه، والبُدأة وقد جارت، والشريعة المحمدية وهي لأطراف مُلك الملك قد حازت.

فهديت حينئذٍ ضلالتُه، وعُجِّلت من عثرات الإصرار إقالته. ثم دخل في الدين الحنيف بكُلِّيته. وأقبل يُطهِّر به ذنوب أوّليته.

---

(١) الديوان: تسلَّيت عن موسى بحب محمد هديتُ ولولا الله ما كنت أهتدي.

(٢) الديوان: وما عن قلى قد كان ذاك وإنَّما.

ثم كان آخر أمره أنّه مات شهيداً، حيث ركب البحر فغرق، وغُصّ به اليّم لفضله الجمّ فشرق. وذلك في شهور سنة تسع وخمسين وستمائة.

ولقد أجاد من قال حين بلغه غرقه: هو دُرّةٌ غار عليها الدَّهر فردّها إلى مكانها، هو الله كذلك، لو كانت هذه الفضائل في قوى الدُّرَّة أو إمكانها وقد أنشدنا رواية عليه شيهنا أبو حيان إن لم يكن سماعاً فعرضاً.

ومن ميسور شعره قوله(1):

أقلِّدُ وجدي فليبرهنُ مفنِّدي | فما أضْيعَ البرهانَ عند المُقلِّدِ
هبوا نُضحكم شمساً في عينِ أرمدِ | بأكره في مرآة من عين مُكْمد(2)
تأمَّل لظى شوقي وموسى يُشبُّهُ | تَجدْ خيرَ نارٍ عنده خيرُ مُوقدِ
إذا مارنا شَزَراً فَعَنْ لحظِ أحورِ | وإن يَلوِ إعراضاً فصفحةُ أغْيدِ(3)
وعذَّب بالي نَعَّمَ الله بالَه | وسهَّدني لا ذاق بلوى مُسَّهدِ(4)
فيا طيبَ سُكرِ الحبِّ لولا جنونُه | مما لذَّة النَّسوان سُكر المُعربدِ(5)

وقوله مما أنشده له الفاضل أبو الصفاء الصفدي(6):

وخالُهُ نُقطةٌ من غُنجِ مُقْلتهِ | أتى بها الحُسن من آياته الكُبُرِ
[٣٨٠] جاءت بها العينُ نحو الخدِّ زائرةً | فراقها الوردُ فاستغنتْ عن الصَّدرِ(7)

وقوله(8):

(١) الديوان: ٩٨.
(٢) الديوان: فما عين أرمد.
(٣) الديوان: فمن لحظِ.
(٤) الديوان: التسَّهد.
(٥) الديوان: ويا طيب سخف المعربد.
(٦) الديوان: ١٤٩.
(٧) الديوان: من العين، وراقها.
(٨) الديوان: ٧٤.

رُدُّوا على طرفيَ النومَ الذي سُلبا وخبِّروني بقلبي أيَّةً ذهبا
عَلمتُ لما رضيتُ الحبَّ مَنزلةً إنَّ المنامَ على عينيَّ قد غَضبا
فقلت واحربا والصمت أجدرُ بي قد يَغضبُ الحبُّ إن ناديتُ واحربا[1]
قالوا: عهدناكَ من أهلِ الرَّشادِ فما أغراكَ؟ قلت اطلبوا في لحظه السَّببا
مَنْ صاغَهُ اللهُ من ماءِ الحياة وقد جرت بقيَّته في ثغره شَنَبا
مُردَّداً في الدُّجى لهفاً ولو نَطقتْ نجومها ردَّدت من حالتي عجبا
ماذا ترى في مُحبٍّ ما ذُكرتَ له إلَّا بكى أو شكا أو حنَّ أو طَرِبا
يرى خيالَك في الماءِ الزُّلال وما ذاق الشراب فيروي وهو ما شربا[2]

وقوله[3]:

وجه يَفُضُّ عرى التُّقى تفضيضُهُ منِّي ويُذهبُ عِفَّتي تذهيبهُ[4]
يذكي الحياءُ بوجنتيه حمرةٌ فيكاد ندُّ الخال يعبق طيبهُ
غُفرتْ جرائمُ لحظهِ لسقامهِ فسطَا ولم تُكتب عليهِ ذنوبُهُ
ما ضَرَّ موسى أن يشُقَّ مدامعي بحراً فيغرق عاذلي ورقيبهُ[5]
يا نجمَ حُسنٍ في جفوني نُؤهُ وبأضلُعي خفقانهُ ولهيبهُ
أو ما تَرِقَ على رهين بلابلٍ رقَّتْ عليكَ دموعهُ ونسيبُهُ

وقوله[6]:

سَلْ في الظلامِ أخاك البدرَ عن سهري ندري النُّجوم كما يَدْري الورى خبري
[٣٨١] بعضُ المحاسنِ يَهْوي بعضها عجباً تأمَّلوا كيف هامَ الغُنجُ بالغفرِ[7]

---

(١) الديوان: يغضب الحسن.
(٢) الديوان: ... وما رام.
(٣) الديوان: ٨٤.
(٤) الديوان: خدٌّ يفض، عني.
(٥) الديوان: ليغرق.
(٦) الديوان: ١٤٨.
(٧) الديوان: بعضها طربا، بالحور.

وخـالُـهُ نـقـطـةٌ مـن غُـنـجِ مُـقْـلـتـه ... أتـى بـهـا الـحـسـنُ مـن آيـاتـهِ الـكُـبُـرِ

إن تُـقـصـنـي فـنـفـارٌ داء مـن رشـأٍ ... أو تُـضْـنـنـي فـمـحـاقٌ جـاء مـن قـمـرِ

قَـدْ مُـتُّ مِـنـك ولـكـن أدَّعـي شـطـطَـا ... إنِّـي سـقـيـمٌ ومـن لـلـعُـمـي بـالـعَـورِ

وقوله[1]:

ولـمـا عَـزَمـنـا ولـم يـبـق مـن ... مُـصـانـعـةِ الـشـوقِ غـيـرُ الـيـسـيـرِ

بـكـيـتُ عـلـى الـنـهـرِ أُخـفـي الـدموعَ ... فـعـرَّضـهـا لـونُـهـا لـلـظـهـورِ

ولـو عـرفَ الـسـفـرُ عـنـد الـوداع ... لـمـا صـحـبـونـي عـنـد الـمـسـيـرِ[2]

ومـنَّ الـفـراقُ بـتـوديـعـةٍ ... فـشـبَّـهـتُ نـاعـي الـنَّـوى بـالـبـشـيـرِ

وقـبَّـلـتُ وجـنـتـه فـي الـدُّمـوع ... كـمـا الـتُـقـطـتْ وردةٌ مـن غـديـرِ[3]

وقـبَّـلـتُ فـي الـتـراب مـنـه خـطـىً ... أُمـيِّـزهـا بـشـمـيـم الـعـبـيـرِ

وقوله[4]:

طـار الـكـرى لـكـن وجـدي قُـصَّ فـي ... وكـرِ الـضـلـوع فـلـم يُـطـق أن يَـنْـهـضـا

أصـبـوا إلـى قِـصـصِ الـكـلام وقـومِـه ... قَـصْـداً بـذكـرك عـنـدهـا وتـعـرُّضـا[5]

أشـكـو إلـى الـحَـدَقِ الـمِـراض وضَـلَّـةٌ ... أن يـشـتـكـي هَـدفٌ إلـى سـهـمٍ مـضـى

يـجـنـي عـلـى قـلـبـي الـمـتـيَّـم جـرَّهـا ... طرفي الظُّلومُ ولحظُ موسى والقضا[6]

وقوله[7]:

عـبـثـتْ بـقـتـلِ مُـحـبِّـه لـحـظـاتُـهُ ... يـا ربِّ لا تـعـتـب عـلـى لـحـظـاتـهِ

[٣٨٢] بتنا نُشعشعُ والعفافُ نديمنا ... خـمـريـن مـن غَـزلـي ومـن كـلـمـاتـهِ

---

(١) الديوان: ١٥٢.

(٢) الديوان: ولو علم الركب خطبي إذن.

(٣) الديوان: بالدموع.

(٤) الديوان: ٢٢٨.

(٥) الديوان: لذكرك.

(٦) الديوان: بلوى على القلب المعذَّب ... لحظي الظلوم.

(٧) الديوان: ٣٤٩.

يـأبـى عـفـافـي أن أُقـبِّـل ثـغـرَهُ   والـقـلـبُ مـجـبـولٌ عـلـى حـسـراتـه[1]
فـاعـجـب لـمـكـتـئـب الـجـوانـح غـلّـةً   يـشـكـو الـظـمـا والـمـاءُ فـي لـهـواتـه

وقوله[2]:

يقـولـون: لـو قـبَّلـتَه لاشـتفى الـجوى   أيَطمعُ في التَّقبيل من يَعشقُ البدرا
ولـو غـفَـل الـواشـي لـقـبَّـلـت نَـعْـلَـهُ   أُنـزِّهـهُ أن يُـذكـرَ الـجـيـدَ والـثـغـرا
ومـا أنـا مـمـن تـحـمـل الـرِّيـح سـرّه   أغـارُ جِـفـاظـاً أن أُذيـع لـه سـرّا[3]
إذا فـئـة الـعُـذَّال جـاءوا بـسـحـرهـا   فـفـي وجـه مـوسـى آيـةٌ تُـبطـل الـسـحـرا

وقوله[4]:

كـأنَّ الـخـالَ فـي وجـنـاتِ مـوسـى   سـوادُ الـعـتـب فـي نُـورِ الـودادِ
لـواحـظـهُ مـحـيَّـرةٌ ولـكـن   بـهـا اهـتـدت الـشُّـجـون إلـى فـؤادي

وقوله[5]:

شـكـوتُ فـجـاءوا بـالـطـبـيـب وإنَّـمـا   طبيبي سَقامٌ من لواحظ مُبعدي[6]
فـقـال عـلـى الـتـأنـيس طِـبّكَ حـاضرٌ   فـقـلـتْ نـعـم لـو أنَّـهُ بـعـضُ عُـوّدي
فيا آفة العقلِ الحصيفِ وصبوة الـ   ـعفيف وعيِّ الناسكِ المتعبِّدِ[7]
عليك فطمتُ العين من لذَّة الكرى   وأخرجت قلبي طيِّب النفس من يدي

وقوله[8]:

مـوسـى تـنـبـأ بـالـجـمـالِ وإنَّـمـا   هـاروتُ لا هـارونُ مـن أنـصـارهِ

---

(١) الديوان: وأبى، والقلب مجبول على جمراته.
(٢) الديوان: ١٥٩.
(٣) الديوان: من يستحمل الريح، أن أبيح.
(٤) الديوان: ١١٨.
(٥) الديوان: ٩٩.
(٦) الديوان: شكوت مزاجاً للطيب ...
(٧) الديوان: أي علّةَ العقل.
(٨) الديوان: ١٥٥.

إن قلت فيه هو الكليمُ فَخدُّهُ   يُهديَك مُعجزةَ الخليلِ بنارِهِ
[٣٨٣] أنِسَتْ بنارِ الشَّوقِ منك جوانحي   والزَّنْدُ لا يسلو اتِّقاد شرارِهِ(١)
أتلفتَ قلبي فاسترحتُ من المنى   كم من رضىً في طيٍّ كُره الكارِهِ

ومنهم:

١٠٣ ـ صالح أبو الطيب الأندلسي(٢)

صالح بن يزيد بن صالح بن علي بن موسى بن أبي القاسم بن شريف النفزي الرُنْدي أبو الطيب الأندلسي، من أهل رُنده، أحد الأدباء المجيدين، والألبَّاءِ المفيدين، وكان في الأندلس يعقد الرأي في أعلام عسكرها، ويُدب النشوة في مفاصل مُسكرها، غاص في البحر فجاءته جواهره، ومرَّ بالروض فأجنته أزاهره، وأغمد ذهنه الأسياف حتى صديت، وأخلى دُرُّه الأسماع حتى مُلئت، فاخضرَّ به الزمان، وصرَّ به في زبرجد ورقه الجمان، ومن شعره المُخلّا للظمآن، الفارغ به القلب الملآن، قوله مما أنشده أبو حيَّان(٣):

يا منكر الحُبِّ دعني أنثني كلفاً   على الحبيب بكائي لا على الطلل
نكادُ إذ نتلاقى أن نذوب معاً   أنا لفرط غرامي وهو من خجلِ

وقوله موطئاً على أعجاز أبيات امرءِ القيس(٤):

رُبَّ شيخ قد مررت به   تقشعرّ النفس من خبره
وهو بالحمام منبطحٌ   بإزاء الحوضِ أو عُقره
يبتغي الفيشات ليس له   غيرها كسبٌ على كبره
فأبى من حكٍّ إليتَهُ   ثم أمهاهُ على حُجره
ثم ولَّى عنه قبل يرى   صفو ماءِ الحوض عن كدره

---

(١) الديوان: ١٥٥.
(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦٠/١٦.
(٣) الوافي بالوفيات: ١٦١/١٦.
(٤) الأبيات مشطوب عليها، انظر: الوافي بالوفيات: ١٦١/١٦.

فـانـثـنـى يـبـكـي فـقـلـت لـه مـالَـه لا عُـدَّ مـن نـفـره
فـشـدا شـدواً وأضـلـعـه كـتـلـظّـي الـجـمـر فـي شـرره [٣٨٤]

ومنهم:

١٠٤ ـ ابن خاروف القيذافي القرطبي[1]

علي بن محمد بن يوسف القيسي القيذافي القرطبي، عرف بابن خاروف. مجيد ليس بينه وبين الموصلي شقيق نسبه فرق، إلّا أنَّ هذا بالغرب وهذا بالشرق، ساقه من أقصى دياره المحلُ المحوف، وطرده ومُدي البرق الخُلَّب ترسل إليه الحتوف.

وامتد به المرعى حتى أتى حلب، وخلفت له أخلافُ شاتها عن أمِّهِ الحلب، اتّصل بسلطانها الملك الأفضل، فأنعم عليه وأفضل، ثم اتَّصل بأخيه الملك الظاهر، فسرح في حصبه الظاهر، فنعم في ذراهما، ورغم حاسده بما أرهما من أدبٍ ما عُهد مثله لابن خاروف، ودأبٍ لا ينكر منه له معروف، وكان يتيماً يتقلَّبُ على صوف، ولا يُتطلب له مرعىً مخصبٌ ولا كلأٌ موصوف.

ثم لم يزل في كنفهما يسرح، وبمقيله لديهما لا يبالي بالفقر الذي يذبح، فهناه لديهما الماء والعلف، وأرضاه سوق الدَّهر له إليهما عما سلف، وأقام لديهما واحداً بعد واحد، سائماً في تلك المسارح، هائماً بطالع كل نجم يرعاه إلَّا سعد الذابح حتى تفقَّأ سمنا، ورأى كل عامرٍ سوى جنابهما المُمرع دِمنا. فعفَّ عن الكلا، وخفَّ بعد أن طغى به شحم الكلا، وناطح الكباش، ولم يتغط بذاهب القرون، ولا تبصَّر بما أفنته سكاكين المنون.

ولم يعلم بأنَّ ابن الخاروف وإن كان الحمل، فإن طرفه في السماء لم ينم. [٣٨٥] ولم يشعر بأنَّه وإن نأى عن العرب، سيُعقَّب في مصر بجزارٍ لا يهوله كثرة الغنم.

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٥٨/٢٢.

واغتر بكفٍّ يد الأيام عن هدِّ أسره، وغنى الأنام عن رضِّ عظمه وكسره، وأنساه الغرور فأمسى واضحاً، وامتدَّ كأنَّه لم يؤخر لفطرٍ، ولا يعدُّ لأضحى، وأدفأته جلدتهُ، ولم يعلم كيف تُنزعُ فروتُهُ وتقصر مُدّته.

فسعى إلى مصر ولم يأن له أن يسعى، ولا بان له كم خاروف في المسلخ وكبش في المرعى، فحين أتاها عاجله الحين، وأدخل الرأس منه البُطين، وأتاه جيش المنايا ولا يعرف إلى أين.

ومما حضرني له قوله في كأسٍ تُدار على الندامى، مملؤةً مُداما، وهو[1]:

أنـــا جـــســـمٌ لـــلـــحُـــمـــيَّـــا والـــحُـــمـــيَّـــا لـــي روح
بـــيـــن أهـــل الـــطـــرف أغـــدو وكـــــــلَّ يـــــــومٍ وأروح

وقد ذكره أبو حيّان وأنشدهما له.

ومنهم:

١٠٥ ـ محمد الطائي القفصي[2]

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطائي القفصي. ما نهنه في الدأب، ولا قصَّر به إلَّا حرفة الأدب، قدم مصر وأقام بالقاهرة لا تسعه شوارعها، ولا تُجرِّعه مشارعها، وهي على مجمع ناسها، ومسبع أخياسها، لا تبيِّتُهُ إلَّا على سغب، ولا تسكنُ له إلَّا على شَعب، كان بها يستجدي بالشعر، ولا تجدي عليه لرخص السعر، فكان فيها يخمد كلَّما التهب، ويطلب نحاسةً وهو ينفق الذهب فآهاً لتصاريف الأيام، وأحواج الكرام إلى اللئام، فلقد طويت به محاسن طي، بل هُدّت قواعدها، وهدأت رواعدها، وقصر باعها، فلا ساعدها امتد، ولا مساعدها.

ذكره شيخنا أبو حيَّان، ومن بديع شعره قوله في السفينة التي على قبة الإمام

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥٩/٢٢.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٤٦/١.

الشافعي رحمه الله[1]:

[٣٨٦] سقى قُبَّة الشافعي الإمام ... من الكوثر الأعين الجارية
له قُبَّةٌ نحتها سيِّدٌ ... وبحرٌ له فوقها جارية

ومنهم:

١٠٦ ـ أبو الحسن سهل الأزدي

من أصل كريم، يتيه على النجم ويشمخ، ويفخر على الصُبح ويبزخ، وكانت له قدرة على تشقيق الكلام، وتحقيق ما يؤخذ عن مثله من الأعلام، كان لو شاء نزف البحار لما بُلَّت بها اليد، أو نسف الجبال لم يُلقها طرفه العين مرود. رَحُبت به بقعة المسلمين بالأندلس وكانت كالضريح، وأفهمت معارضيه فكادت تكون كالصَّريح، ناهيك من رجلٍ يزداد شغفاً به كلما فحص فاحص، وشرفاً بأدبه كُلَّما تطلَّع إلى النجوم شاخص.

قال شيخنا أبو حيَّان:

هو من أهل غرناطة، ويُعدُّ في علمائها، وفي رجال الكمال، وكانت له معارف في العلوم، وتصرف بين منثور ومنظوم، وأظنُّه قال: أنَّه كان خطيباً.

ومما أنشد له قوله:

مُنغَّص العيش لا يأوي إلى دعةٍ ... من كان في بلدٍ أو كان ذا ولدِ
والساكن النفس من لم ترض همته ... سُكنى مكانٍ ولم يسكن إلى أحدِ

ومنهم:

١٠٧ ـ أبو الزهر الحميري[2]

أبو الزهر محمد بن عبدالعزيز بن الناصر الحميري التونسي. خدم السلطان ثمَّ نسك، وأطلق عنانه ثم أمسك، وقدم مصر حاجّاً فلما أدَّى فريضته ملأ بحبِّها حقيبته،

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤٦/١.
(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢١٧/٣.

فعاد إليها راغباً في وطنها، وضارباً في حياض نيلها المُتدفِّق بعَطَنها، وحضر المدارس بها، وارتزق نسبها.

قال شيخنا أبو حيَّان: له معرفةٌ بالعروض والأدب.

ومما أنشد له قوله:

[٣٨٧] ينظر في النحو وهو مجتهدٌ لـكـنَّـه لا يـقـولُ بـالـعـطـف
قـد عـلَّـم الـعـيـن فـي مـحـاسـنـه تـقـارنُ الابـتـداءَ بـالـوقـف

ومنهم:

١٠٨ ـ ابن القينة الغرناطي

ابن القينة الغرناطي. فاضل لو أُمهل غُصُتهُ لسمق، أو لم يعاجل هلاله لاتَّسق، لم يخلُ من أدبٍ، لم يذد طيره عن شجره، ولم يدع سرَّ ناره الكامن به من حجره، إلَّا أن المنايا بدأته بشرب كأسها، وصرف مكاسها، فخلَّته في ضريحه موسَّدا، وخلفته في يومٍ لا ينتظر له غدا.

قال شيخنا أبو حيَّان، وقد ذكره: كان يُقرئ الفقه والعربية، وتوفي شاباً ولم أقف له على اسم ولا نسب(١).

ومما أنشد له قوله:

جحدت الهوى فيه فباحت مدامعي وهل ينفع الهيمان فرط جحودهِ
وهـيـهـات يـخـفـى وجدَه وغـرامـه ومـا الـدَّمـع إلَّا مـن أدلِّ شـهـودهِ

ومنهم:

١٠٩ ـ ابن خطّاب الغافقي المرسي(٢)

محمد بن عبيدالله بن هارون بن خطاب الغافقي المرسي، أبو بكر، ذو أدابٍ لو عوّذ

(١) الوافي بالوفيات: ٢١٧/٣.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٠/٤.

بها الحنق لسكن غضبه، لو عوّذ بها الدهر لتيقّن غلبه...[1] من قصائد أسرّ من الراح في الزجاج، وأسرى من الروح في معتدل المزاج. تحرّك الشوق في القلوب، ويردُّ السَّلب من الأفئدة والمسلوب، بأغاريد لو فهمتها الوُّرق لجعلت أطواقها لها مما تهب أو وفتها الأيام حقها لكتبتها بعين البصر لا عين الذهب.

قال شيخنا أبو حيَّان، وقد ذكره:

كاتب عالم، عالي الهمَّة، قدم غرناطة، وكتب بها عن ملكها الغالب بالله أبي عبدالله بن الأحمر، ثم رغب عنه وجاز البحر إلى تلمسان، وكان في كنف مالكها أبي يحيى يغمور العبد الوادي المعروف بغمراس، مُعظَّماً مُكرَّماً إلى أن توفي بها. وقدم القاهرة حاجّاً [٣٨٨].

ومما أنشد له قوله[2]:

مرّت الموسى على عارضه ... فكأنَّ الآس بالماءِ غُمر

مجمع البحرين أمسى خدُّه ... إذ تلاقى فيه موسى والخضر

ومنهم:

١١٠ - يحيى بن مراده الأشبيلي

يحيى بن مراده الأشبيلي أبو زكرياء. رجل أقام به الدهر المذنب عُذره، وأوفى به الزمان المتذمّم نذره، وحلّى به الفخار قلائده والنجم شذره، وكان مريع الجناب، سريع الجواب، حتى كان ربما حُمّق، وقيل فيه الشيء نُصدِّق.

وقدم غرناطة حيث تُجلى عروسها، وتُجنى غروسها، واتَّصل بسلطانها ابن الأحمر، فلاذ منه بملكٍ تكاثر زهر الدراري عدداً، ويجير من صرف الدهر إذا اعتدى، يغيث النبت الهشيم فيربُع، ويحمي الكناس المغزل فيُسبع، قبل به عود الفواصل وقد ذوي،

---

(١) فراغ في الأصل.

(٢) الوافي بالوفيات: ٤/٢٠.

وشدَّ أسر الفضائل وما لهنَّ قوى. ثم لم يفارق كنفَه حتَّى أمرع، ولا تنحَّى عن سبيله حتى أسرع.

وقد ذكره شيخنا أبو حيَّان، ومما أنشد له قوله:

وليل مُصابٍ قاد صبح مسرّةٍ ... فلله ما أدجى لدينا وما أجلى
لئن كان ذاك القسمُ أغمد صارماً ... فقد سلّ من ذا القسم آخر لا فُلَّا
وإن كان أصلَ المجد والفخر قد ذوى ... فقد أينع الفرع الذي أشبه الأصلا
وإن كان كلُّ الأمر عنَّا قد انقضى ... فقد بقي العضبُ الذي ورث الكُلَّا

وقوله:

لله دولابٌ يفيضُ بسلسلٍ ... في روضةٍ قد أينعت أفنانا
ضاقت مجاري جفنه عن دمعه ... فتفتَّحت أضلاعه أجفانا

ومنهم:

١١١ ـ يوسف ابن المفوّز[(١)]

يوسف بن أبي الحسن بن مُفوَّز. الأديب والمبرِّز الأريب، كم له بيت لا يهيئ مبناه، ولا يُلهي عن حُسن لفظه إلَّا معناه.

أنشد له شيخنا أبو حيَّان في مليح منعت الشمس النظر إليه[(٢)]:

أهلالٍ لاح في زاد الضُّحى ... كلُّ حسنٍ من مُحيّاه استمد
حجبته الشمس أن رأت ... كلَّ لحظٍ في سناه قد ورد
منعت مرآه عن هوىً علقـ ... ـت منه وإمَّا من حسد

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٩/٨١.
(٢) الوافي بالوفيات: ٢٩/٨١.

ومنهم:

١١٢ - أبو بكر ابن حُبَيش[1]

محمد بن الحسن بن حبيش، أبو بكر. نزيل تونس [٣٨٩] رجل نقَّص الله نظراؤه وكمَّله، وقبَّح أعداءه وجمَّله، لم يُخيِّب من أمَّله، ولاكزيه نبيه إلَّا نبَّهه وأخمله، لوقرن بمضائه الصارم الذكر لأرمله أو بسط يده مع السَّحاب لما جاء البرق بأنمله، بوجهٍ لو بدا للبدر لأخجله، وبأسٍ لو توقّاه الحِمام الأدنى أجله، وفهمٍ لو جاراه الرِّيح إلى مدىً لأعجبه، لمحاسن شيمٍ لا تمر بالتوّهم، ودقائق كرمٍ لا تحتاج إلى التفهُّم، هذا إلى المهابة لو صرخت بالرَّعد لرجف، وبشاشةٍ لو سقت الروض لم يجف.

قال شيخنا أبو حيَّان فيه:

أحد الأدباء المكثرين المجيدين، له تصانيف في الآداب، دخلتُ تونس ولم يُقض لي به اجتماع، وقد استجازه صاحبنا أبو العبّاس الأشعري، وله سماع ورواية، ومما أنشد له قوله:

أفلا تشوقك روضةٌ نجديَّةٌ ... نفاحة الآصال والأسحارِ
أفيكتمُ الأسرار صبٌّ والصبا ... نفسي من الرَّوضات كلَّ سرارِ
أفلا يُدنيك رقَّةَ ما ذاب ... من ذهب العشيِّ بفضَّة الأنهارِ
أفلا ينعم أعيناً ومسامعاً ... بجمال أقمارٍ وسجع قماري
فاسحب ذيول الأُنس بين أباطحٍ ... لبست رداء الحسن غير مُعارِ
نهرٌ يرفُّ بشاطئيه نباتُهُ ... مثل الزبرجد حُفَّ بالبلّارِ
والروح مثل الغيد يُكسى سندساً ... خضراً وشتهُ لها يدُ الأمطارِ
تثني لنا الأعطافُ حين نزو ... رها فكأنَّها ترتاحُ للزوَّارِ
والليل يصبو نحو مجلس أُنسنا ... فنُقابل الأقمار بالأقمارِ
[٣٩٠] دلّت على الخلّاق مخلوقاته ... أفلا اعتبار يا أولي الأبصارِ

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢/٢٦٦.

قوله من قطعةٍ قالها في مجلسٍ فيه مليح، والشمع قد أوقد، فنزل المطر:

بدرٌ شكى وحشةً إلينا ... فجاء بالشَّمس للنَّديم
أطلع من شمسه نُجوماً ... تشرقُ في ليلهِ البهيم
فحقَّ للشمس أن تبكي ... بأدمعٍ للحيا سُجوم
فقد عصيناه في ثلاثٍ ... الشمس والبدر والنجوم

وقوله:

متّع جُفوني بذاك المنظر الحسنِ ... واستبق روحي فإنَّ الجسم فيك فني
حنَّت للقياك روحي يا مُعذِّبها ... واستعذبت فيك ما تلقى من المحنِ
قاسيت بعدك ما رقَّ الجمادُ له ... فما لقلبك لم يُشقق ولم يكنِ
وقد وهبتُك نفسي لا أمنٌّ بها ... فإن تقبَّلت كانت أعظم المننِ
بالله يا من جفاني سل جفونك لم ... قاسمنني السُّقم واستأثرت بالوسنِ

ومنهم:

١١٣ - ابن رشيق الربعي(١)

الحسين بن عتيق بن الحسن بن رشيق الربعي الأندلسي، أبو علي. ذو علمٍ ثاقب، أمضى من الأسهم، وعلمٍ ساطعٍ أضوأُ من الأنجم، علق بصاحب المرّيةِ فأتى منه رجلاً فتح للجود باباً مُغلقاً، وأفاد النجوم بضياء حسّه تألُّقاً، وأعاد بتواضعه الدَّهر محمّقاً، وأعار فيض راحته الجهامَ فانهلَّ مُغدقاً، طالما بات في حُبِّ الفضائل مورّقاً، وهزَّ عود الآداب فأصبح مورّقاً، وجاء يتلو كريمي طيء، فأنساهما كأن لم يخلقا، فتقبَّله بكرمٍ [٣٩١] ما ردَّ سعي آملٍ مخفقا، ولا ترك جديد هَمّةٍ مُخلقا، ونزل منه بملكٍ جاره جار الفرقد وإن بعد عن مداه.

قال شيخنا أبو حيَّان: كان بسبته في كنف العَزفيّين له فنون من المعارف، وله

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٢/٢٦١.

تصانيف وأدب كبير، وقال يمدح الرئيس أبا الحسن علي بن نصر صاحب المريَّة[1]:

فعل النوى مُلغيّ لبعض نوالكا ... فاشفِ الخيال ولو بطيف خيالكا
ما ضرَّ لو سامحت منه بزورةٍ ... أردُ السراب بها مكانَ زُلالكا
ما زورةُ الطيف المراد وإنَّما ... صدق الهوى يُرضيه زور وصالكا
حُسنُ الحبيب حقيقةٌ أبصرتها ... فمتى يمحّلُها مجاز خيالكا
أبصره تستحسن قبيح فعاله ... وتكفُّ عنِّي من قبيح فعالكا
فمجالُ باع الحبُّ أوسعُ مذهباً ... من باع عدلك واتساع مجالكا
عاينتُ لوّامي فلما عاينوا ... عجبوا لفرط تجمُلي وجمالكا
فمتى أشتكي صدرٌ فدون شكايتي ... ومتى بدا بدرٌ فدون كمالكا

ومنهم:

١١٤ - ابن صابر القيسي[2]

أحمد بن صابر القيسي، أبو جعفر. رجل كان بصيراً بالدنيا وسوء تقلّبها، وجدّ لياليها العواثر في تطلُّبها، ورأى ما فات بالعمى أن يراه سميُّه ابن سليمان فتبعه وزاد عليه، بقدر ما بينهما من الزمان إلّا أنه لم يعدل عن كتابٍ وسُنّه وحقٍّ عمل منه يقين لا ظنّه.

ومما أنشد له شيخنا أبو حيّان قوله[3]:

أرى الدَّهر ساد به الأرذلون ... كالسيل يطفو عليه الغثاء
ومات الكرام وفات المديح ... فلم يبق في القول إلّا الرِّثاء

[٣٩٢] وقوله[4]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٦١/١٢.
(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٥٧/٦.
(٣) الوافي بالوفيات: ٢٥٨/٦.
(٤) الوافي بالوفيات: ٢٥٨/٦.

أتنكرُ أن يبيَّضَّ رأسي لحادثٍ — من الدَّهر لا يقوى له الجبل الراسي
وكل شعارٍ في الهوى قد لبسته — فرأسي أميٌّ وقلبي عباسي

وقوله[1]:

فلا تعجبا ممن عوى خلف ذي عُلا — لكلِّ عليٍّ في الأنام معاويه

ومنهم:

١١٥ ـ ابن الأخرس

عبدالله بن أحمد الأنصاري القرموني، أبو محمد، عرف بابن الأخرس. رَبُّ فضائل تعنو له بها وجوه أربابها، وبلاغةٍ بلغ بها السماء حتى سئل عن أسبابها، طمت فوائده فكادت تغرق بعُبابها، وتغدق لولا تعلُّق الغمام بربابها، ذلِّلت له المعاني، فغدت تُساقُ إليه برقابها، وحُلِّلت له الغواني فما أتته مُستَّرةً بناقبها، ومنَّت نفوسها الغوادي أن تماثله فما قدرت على غير انتحابها، وظنَّت أنها تشابهه وما حنبه كهلالها ولا تمسه كسحابها، بروائع ما جرت على العوائد، وبدائع لو بُذلت للغيد لَقلَت القلائد على أنها تُقضى المدى، وتُقصِدُ العدى، وتدع زاهياً كلَّ زاهد، وما جناً كل ماجد ببنان يدنو من فهم الجماد، ويذكو منه بردُ الرَّماد. وتوفي بفاس، فدفن بها، وسقط نجمه وغار في تربُها.

قال شيخنا أبو حيَّان عنه:

أديب فاضل نحوي. يحبُّ كتاب سيبويه وغيره، وأنشدني كثيراً من شعره، وكتبت عنه، وضاع مني، فما بقي في محفوظي منه قوله:

جُبلوا على إثباج كلِّ مُطهَّمٍ — نهدٍ يباري الرِّيح في هبَّاتها
[٣٩٣] لم يعرفوا بعد المهود سوى الذي — قد مَهَّدوا في الدهر صهواتها

وقوله:

أمير المؤمنين ألا عتابٌ — فقد ضجَّت ملائكة السماءِ
قضاةُ المسلمين بنو ماءٍ — لقد نزل القضاء على القضاءِ

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٥٨/٦.

ومنهم:

١١٦ ـ محمد ابن الكاتب[(١)]

محمد بن علي العابد، ابن الكاتب. ماجدٌ شريف، وماجن ظريف، لو تأخرت شمس ابن الحجاج لاستمدَّ من حجاه، أو هبَّ نسيمُ ابن الهبَّارية لتعلّق به يطلبُ النجاة، أنارت به غرر غرناطة فوضحت، وبارت بأدبه أقمار سمائها فَفُضحت.

وقد ذكره شيخنا أبو حيَّان وقال:

هو والد الكاتب أبي القاسم علي العابد، ومما أنشد له[(٢)]:

ما اسم لحسناءَ تسمَّت به ... فما بعينيها لقتل العبادِ

ونصفُه الثاني مُرادي الذي ... أختاره منها ونعم المرادِ

ومنهم:

١١٧ ـ ابن المرابط

يحيى بن المرابط، أبو بكر. مورَّدٌ يُقصر آملهُ لقرب المُستقى، ويحجُّ إليه الشكر مُقصراً، إذ كان في السماءِ مُحلِّقا أضحى به قاصدُه في مغنم، وحاسده في مغرم، ومُنافسه فيما يذلّ معطسهُ ويرغم، طالما منح الجفون الكرى، ومنع من أقام بوطنه أن يحمد السُّرى.

نفقت لديه بضائع كل فضلٍ لا يُشترى، ووقفت البحار له هيبةً لما جرى، لا يُنسى له كل سائرة، ولا تسف كل طائرة، قام بالحق وقد قعد الزمان، وقال والكلمة جمان، وقال ولا هجير إلَّا ذكاء خاطره، وتحرقه على الإيمان.

قال شيخنا أبو حيَّان:

كان الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يذكر أنَّه من قضاة العدل، وهو والد أبي عمرو بن

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٣٦/٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٣٦/٤.

المرابط، كاتب [٣٩٤] السّر السلطاني لابن الأحمر، وقال: ويأتي ذكره، وأنشد لأبي بكر يحيى مادحاً ومتفائلاً، أنَّه حيث غدا كان فاتحاً.

وقوله:

الـفـتـح فـي رايـاتـكـم مـعـقـودُ ... والـنـصـر مـن أجـنـادكـمُ مَـعـدودُ
وجـنـاح جـبـريـل عـلـيـكـم خـافـقُ ... يـضـفـو عـلـيـكـم ظـلُّـهُ الـمـمـدودُ
فـانـهـض أمـيـر الـمـسـلـمـيـن بعزمـةٍ ... تُـضـحـي لـهـاشـم الـجـبـالِ تـمـيـدُ
سـر فـي ضـمـان الـلـه مُـكـتـنـفـاً ... بـمـا نَـصـرت بـه يـوم الـقـلـيـب الـصـيـدُ

ومنهم:

١١٨ ـ محمد السلوي

محمد بن موسى السلوى، رجلٌ جوّاب الأرض، وحوّاز طولٍ وعرض، تغلغل بيداً تكدُّ قوادم العقبان، ويبيضُّ أجنحة الغربان، لقفارٍ يهولُ اقتحامها الأسود في خَفَّان، ويجفِّف ضرامُها الدموع في الأجفان، تنكر مجاهلها العرفان، ويخاف دواخلها الضيفان، وتنير بها الرِّياح وعليها للسحاب أكفان.

ومما أنشد له شيخنا أبو حيَّان قوله:

دمـاءُ جـرحٍ بـدت مـا بـيـن مـنـبـلـجٍ ... من الـجـبـيـن وشـعـرٍ صـيـغ من غـسـق
هـو اتـضـاحُ نـهـارٍ وانـبـهـام دُجـىً ... لابُـدَّ بـيـنـهـمـا مـن حـمـرةَ الـشـفـق

ومنهم:

١١٩ ـ عياش أبو الحيا

عيّاش بن حواقر الأموي أبو الحيا. فتى كان لا يكف في مروم، ولا يقنع بما دون النجوم، ولا يفاخر إلَّا بنفسه، وآباؤه بنو عبدشمس، إلَّا أن أقمارهم دون شمسه.

وقد ذكره شيخنا أبو حيَّان، وأنشد له:

مـا فـي بـنـي فـعـلـةٍ من يرتـجـي لـنـدىً ... ولا يـهـانُ لـبـأسٍ مـنـهـمُ أحـدُ
[٣٩٥] هجوتهم حين عاف الناس هجوهم ... فـلـي عـلـيـهـم بـتـنـويـه الـهـجـاءِ يـدُ

وقوله:

اصبر على الدَّهر إن تأتيك نائبةٌ ... ولا تقولنَّ ذرعي منه قد ضاقا
فبالنوائب يزداد الفتى شرفاً ... كالنجم يزدادُ في الظلماءِ إشراقا

ومنهم:

١٢٠ - ابن الحنَّان[1]

ابن الجنَّان، وهو محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبدالحق بن خلف بن مُفرِّج بن سعيد، أبو الوليد فخر الدين الكناني الشاطبي، عرف بابن الجنَّان، ونسبه في مجاني الهصر المرسي، خُصَّ من بني العديم بكمال، وظفر بكلِّ مال، قدم عليهم قدمُ المنى، وحلّ لديهم حُلول الغنى، وجاء والسعد يحدوه، والحظُّ لا يعدوه، والقبول يوطئ له الكتف، ويوطِّد له الجنف، فنزل ببيتهم الرفيع، وحصل بسببهم في زمن الربيع، وحفظ بسببهم نسب أدبه، وقد أوشك أن يضيع.

ذكر ابن اليونيني[2]: أنَّ مولده بشاطبة وأثنى عليه والناسُ قاطبة، ووصفه بكرم الخلائق، وما لم يرُم مما هو به لائق.

كان مالكي المذهب، فلم يزل به برُّ بني العديم إلى أن أنساه حتى مذهبه، وأسلاه عن كلِّ ما فات إلَّا زماناً عند غيرهم أذهبه، فتبعهم حتى في التمذهب للإمام أبي حنيفة، والاهتمام في تحصيله بالهمَّةِ العنيفة، ودرّس بالمدرسة الإقبالية الحنفيَّة بدمشق مدةً عمّ الطلبة نفعُها، وعُرف به وترُها وبرُّهُ شِفعها، وكانت له يد في عُلومٍ كثيرة، وعلوّ مراتب في فضائل أثيره.

وقد ذكره شيخنا أبو حيَّان وقال[3]:

---

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢٦٣/٣ن الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧٥/١، ابن سعيد، المغرب: ٨٣٢/٢، المقري، النفح: ١٢٠/٢، وتوفي سنة ٦٧٥هـ.

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان: ١٩٧/٣.

(٣) فوات الوفيات: ٢٦٣/٣.

كان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، وكان لطيف المزاج، أديباً فاضلاً، وشعره حسن، وكان بدمشق وبها توفِّي، وقع من علوٍّ فمات.

[٣٩٦] ومما أنشد له قوله[١]:

نشر النسيم بعرفكمُ يتعرَّفُ ... وأخو الغرام بحبِّكم يتشرَّفُ[٢]

شرفُ المتيَّمُ في هواكم أنَّه ... طوراً ينوح وتارة يتلهَّفُ

صبٌّ إذا كتم المشوق دموعَهُ ... كتمت محاجرُه الدموع الذُرَّفُ

لَطُفت معانيه فهبَّ مع الصبا ... فرقيبُهُ بهبوبهِ لا يعرفُ

ولانه تعدو النسيم دياركم ... وله على تلك الديار توقُّفُ

وأما ماله سوى هذا فكثير، فمما أورده ابن اليونيني له[٣]:

ودوح بدت معجزاتٌ له ... تبين عليه وتدعو إليه

جرى النهر حتى سقى أرضه ... وقام فقبَّل شكراً يديه

وَكف الصبا صَبغت حُليهُ ... فقام الحمام ينادي عليه

كساه الأصيلُ ثياب الضنى ... فحلَّ طيب الدياجى لديه

وجاء النسيم له عائداً ... فقام له لاثماً معطفيه

وقوله[٤]:

لله قوم يعشقون ذوي اللحى ... لا يسألون عن السواد المُقبل

وبمهجتي نفرٌ وإنِّي منهمُ ... جُبلوا على حُبِّ الطراز الأوّلِ

وقوله[٥]:

---

(١) فوات الوفيات: ٢٦٣/٣.

(٢) في فوات الوفيات: عرف النسيم بعرفكم.

(٣) ذيل مرآة الزمان: ١٩٨/٣.

(٤) ذيل مرآة الزمان: ١٩٨/٣.

(٥) ذيل مرآة الزمان: ١٩٩/٣.

وما مال ذاك الخدرُ إلّا لأنّه يخمر دلال الحاجريَّة نشوانِ[1]
يقولون عنوان المُحبِّ دموعُهُ وصبُّك يا ليلى على الدَّمع عنوانِ

وقوله[2]: [٣٩٧]

قم سقنيها وجيش اللَّيل منهزمٌ والصبحُ أعلامُه مُحمرَّةُ العَذبِ[3]
والسحبُ قد نثرت في الأرض لؤلؤها فضمَّهُ الشمس في ثوبٍ من الذهبِ

وقوله[4]:

مُتيَّمُ ذاك الحي لا تعدُ حُيُّهم لتظفر مثلي من جنونك بالوصلِ
جُننت بهم حيّاً ولي في رحالهم تمائمُ وسواسٍ تعيذُ من العقلِ

وقوله[5]:

يا رعى اللهُ يومنا بين روضٍ حيثُ ماءُ السرور فيه يجولُ
يحسبُ النهر عندهُ ينثني وتخالُ الغُصون فيه تسيلُ

وقوله[6]:

وبي كاتبٌ أضمرتُ في القلب حُبَّهُ مخافة حُسَّادي عليه وعُذَّالي
له صنعةٌ في خطٍّ لامِ عِذارهِ ولكن سهى إذ نقَّط اللام بالخالِ

وقوله[7]:

بالله يا سرحة الوادي إذا خطرت تلك المعاطفُ حيث البانُ والغارُ
عانقيها عن الصبِّ الكئيب فما على معانقة الأغصانِ إنكارُ

---

(١) في ذيل مرآة الزمان: وما ذاك الخدر.
(٢) ذيل مرآة الزمان: ١٩٩/٣.
(٣) في ذيل مرآة الزمان: فم فاسقينا.
(٤) ذيل مرآة الزمان: ١٩٩/٣.
(٥) ذيل مرآة الزمان: ٢٠٠/٣.
(٦) ذيل مرآة الزمان: ٢٠٠/٣.
(٧) ذيل مرآة الزمان: ٢٠٠/٣.

وقوله[1]:

قم سقنيِّها وثغر الصُّبح مبتسمٌ والليل تبكيه عينُ البدر بالشُّهبِ
والكأسُ خلتها حمراء مُذهبةٌ لكن أزرّتها من لؤلؤ الحببِ
وأعينُ الزَّهر من طول البُكى رمدت فكحلَّتها يمينُ الشمسِ بالذهبِ
إن تهتَ بالشمس يا وجه السماء فلي شمسان وجه حبيبي وابنةُ العنبِ

وقوله[2]: [٣٩٨]

[٣٩٨] غدا مُغرماً أفق السماءِ بدوحنا فدمع الندى حُزناً عليه أساله
وهام نضير الدَّوح فيه فأبرزت لهُ نهرها حتى يصيدَ خياله[3]

ومنهم:

١٢١ ـ ابن الرُّندي[4]

محمد بن علي الرندي. بدر من العرب طلع، وسابق لا يمشي على ظلع، أبى له إباؤه إن يقرَّ على ضيم، أو نفر ولو ساوره كل أيم، حيث كانت تسمح الأنفةُ بأنفه، ويتكفَّل العفاف بكفِّه، وله أسبابٌ في الفضائل متنوّعة، وآداب لا تطمئن بها أحشاءُ البروق المروَّعة لفكر مألفه، وقد مشى الزمان على تلك المعاهد، ودب الحدثان في حلِّ تلك المعاقد فأخنى على تلك المعاقل، وأخفى محاسن تلك العقائل، وهتمَ ثغور تلك الشُرفات، وهدم معمور تلك الغُرفات، فأتى مصر لعلَّة يغسلُ شقوة أيامه الذاهبة، ويغلُّ أيدي لياليه الناهية، فما اعتذر إليه زمانه المسيئ، ولا زاده إلَّا ما يريده في الأيام النسيء، فصرف مطيه للرحيل وصدَّ عن نيلها وإن كان لا يروى بمثله الغليل.

وقد ذكره شيخنا أبو حيَّان قال كلاماً ما معناه:

---

(١) ذيل مرآة الزمان: ٣/٢٠٠.

(٢) ذيل مرآة الزمان: ٣/٢٠٢.

(٣) في ذيل مرآة الزمان: وهام رياض الدوح.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٤/١٣٦.

قدم القاهرة، تم تركها استنقاصاً لهمم أهلها، وقال: لا أدري أين أذهب.

قال: وله أشعار موشّحات، وأنشد له قوله في بعض بني شُكر[1]:

شكري لعليائكم كالرَّوض للسُّحب ... وقد غذاها بدرٌّ غيثُ منسكبِ
إذ لُحت في آل شكرٍ بدر هالتها ... تمدُّ بحر الندى بالعلم والأدبِ
في بيت عزٍّ شهيرٍ لا يلمُّ به ... خرمٌ ولا وتدٌ ينفك عن سببِ
مديد سبق طويل في دوائره ... وكاملٌ وافرٌ يُغني عن الخببِ

[٣٩٩] ومنهم:

١٢٢ ـ العفيف التلمساني[2]

العفيف التلمساني، وهو سليمان بن علي بن عبدالله بن علي بن ماتنين الكومي العابدي. رجل قُلَّب، وسحاب ممطر خُلَّب، يباشر مرّةً الخدم، ويثابر مرّةً على التحلُّق بالندم، ووقتاً حرصاً، ووقتاً [٤٠٠] زهداً، وآونةً صاباً، وآونةً شُهدا، يتطوَّر في هذا كله على غير نظام، ويتنقَّل في أحواله جميعها من غير استعظام، ولم يزل مختلف الأحوال، مؤتلفَ الأقوال، يجيدُ الشعر لا لكلفٍ ولا نوال، ويطوف بالطلل لا لردِّ جواب ولا سؤال.

يكلفُ بليلى ولا ليلى ولا أترابُها، ويهيم يحزوى ولا حزوى ولا تُرابُها، صرَّح بهواه المقيَّد الجمال المطلق، وبرح به الحبُّ ولا حُبٌّ يُعرف ولا مليح يعشق.

إنَّما هي أسماءٌ سمَّاها، وأشياء لا يدرك مُسمَّاها، وأمور ادّعى أنَّها الحقيقة وهي الباطل، وقد خيَّلته لا بل ختلته، وقال إنَّها الطريقة، وسلكها جاهلاً لا يخبرُ أرضها فقتلته.

سلك طريقة القوم بزعمه فأخطأها، واستسقى تلك السُّحب فما قصد إلَّا أبطأها، وظنَّ أنَّها المعارف وهي النكر، والسكر بشراب القوم فعربد في السُّكر، وجدَ في زُجاجه

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣٦/٤.

(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٧٢/٢، الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٤٩/١٥.

أهل الاتحاد بقيّةً شربها وحده، وبقي في خمارها حتى نزل لحده.

وتُحكى عنه ـ سامحه الله ـ أمور متناقضة، وأحوال متعارضة، وتمسُّك بباطل، وتنُّسك من حليه عاطل، وتهتُّك لا يليق بعاقل، ولا يُقيلُ عثرة ناقل. هذا إلى ارتكاب عظائم، واحتقاب حزائم، لا يزعه وازع، ولا ينزعه عن قبح فعلاته نازع، قليل المبالاة لا يبالي لمحذور الفضائح، ومحظور القبائح، والإصرار على المآثم الشنيعة، والمحارم المخالفة للشريعة.

وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود، قال ما معناه:

قصدته في جماعةٍ من الأدباء، فلما طرقنا عليه الباب أُذن لنا من داخل الدار بصوتٍ رخيم كأنَّه صوتُ امرأة. فدخلنا إليه فرأيناه قد خضَّب يديه ورجليه، ولبس ثياب النساء عليه، وخطَّط حاجبيه [٤٠١] وحَشَّاهما، ونقَّش معصميه ووشَّاهما، وتهيَّأ في زي النساء العواهر، وغمر أذنيه ويديه بالأقراط والأساور.

هذا والكبر قد أزال أعذاره، والشيبُ قد وشَّح لمتَّهُ وعذاره، فلما رأيناه على تلك الهيئة المنكرة، والحالة المتنكرة، وقد خلع رياش الرجال، ولبس زيَّ ربَّات الحجال. فقلنا له: ما هذا الذي نراه، وما هذا القبيح الذي لا ينظره إلَّا من ازدراه. فقال: أردت تحقيق هذا المقام، وما يناسبُ هذا القول مما لا يُطيِّبُ له سقام. فخرجنا ونحن نذمُّه، ونبالغُ في سبِّه ولا يهمُّهُ.

وحُكي أنَّه قيل له أنَّ ابنه قد أمسك، ودخل به إلى اصطبل ليفعل به الفاحشة. فقال: أنتم رأيتموه؟ قالوا: نعم. قال: فهل شكا إليكم؟ قالوا: لا. فقال: ما نقول نحن إذا كان هو ما شكا منه، دعوه وما اختار لنفسه.

ويحكى أنه ربما كان يراود ابنه على القبيح، ولعلَّ هذا غير صحيح.

ويُحكى عنه من هذا ومثله من سقوط الغيرة، وعدم النخوة، وقلَّة المبالاة، وتساوي الخير والشرّ لديه، والمدح والذَّم عليه ما تقشعر منه الجلود، وتُعقم بمثله أم الدَّهر الولود مما لا يُحصى كثرة، ولا يحصُل منه له ولا لأمثاله أُثره، وكان على هذا كلِّه وسُرعة انجذابه في يد مُضلِّهِ. أديب دهره، ورقيب النجوم على دُرِّه. إلَّا أنه خلط

شهدُه بالسُّمِّ الناقع، وبنى بيوته في القفار البلاقع، ولولا ما شاب مزاج كؤوسه بمُعتقده، وزيَّف قدر خلاصه في كفِّ مُنتقده لكانت طناناته دأبَ الألسنة، وحسب المسامع من كل حسنة ومما له في هذا قوله:

توهَّمتُ قدماً أن ليلى تبرقعت وأنَّ حجاباً دونها يمنعُ اللَّثما

[٤٠٢] فلاحت فلا والله ما كان حُجبها سوى أنَّ طرفي كان عن حُسنها أعمى

وقوله[1]:

وفي الحيِّ هيفاءُ المعاطف لو بدت مع البان كان الورقُ فيها تغنَّت

عجبتُ لها في حُسنها إذ تفرَّدت لأيَّةِ معنى بعد ذاك تثنَّت

قلت: هذا من رواية شيخنا أبو الثناء، وأما رواية شيخنا الكندي فهي وإن لثاماً دونها يمنع اللثما.

وذكره شيخنا أبو حيَّان وقال:

أديبٌ حسن النظم، كثير التقلُّب، فتارةً يكون شيخ صوفيةٍ، وتارةً يُعاني الخِدم. قدم علينا القاهرة، ونزل بخانقاةِ سعيد السعداء عند صاحبة الأيكي، وكان شيخها إذ ذاك، وكان منتحلاً طريقة ابن العربي، وله النظم الكثير، فمن ذلك[2]:

وقفنا على المغنى قديماً فما أغنى ولا دلَّت الألفاظ منه على معنى

ثملنا وملنا والدموع مدامُنا ولولا التصابي ما ثملنا ولا ملنا

فلم نر للغيد الحسان بها سناً وهم من بدور التمِّ في حُسنها أسنى

نسائل بانات الحمى عن قدودهم ولا سيَّما في لينها البانةَ الغنّا

ومن شعره مما لم يتضمنه مجاني الهصر، وذكره الفاضل أبو الصفاء والصفدي[3]:

---

(١) فوات الوفيات: ٧٤/٢.

(٢) فوات الوفيات: ٧٣/٢.

(٣) فوات الوفيات: ٧٤/٢، الوافي بالوفيات: ٢٥١/١٥.

وخُضر خمائلٍ كجُسوم غيدٍ قد انتقشت فراق بها الخضَابُ
لها بالطلِّ أزرار حسانٌ وأطواقٌ ومن ورقٍ ثيابُ
وورق حمائمٍ في كل فنٍّ إذا نطقت لها لحنٌ صوابُ
وللأغصان هيمنة تحاكي حبائب رقَّ بينهمُ العتابُ

قلت: وذكِّرت بالبيت الأول منها مجاراة جرت بيني وبين الخطيب أبي محمد يوسف الصوفي، خرجنا مرةً إبَّان ربيعٍ، وشى الرياض نقشها، وصقل الأرض وأزال نمشها، فجلسنا على مجرى كان يجري به الماء، وقد اكتسى نباتاً أخضراً، وأطلع ببيته زهراً أبيض نضرا. فتعاطينا القول فيه. فقال:

وجدول ماءٍ زان مُخضَّر بيته بياضُ أقاحٍ تاهت رياضه
كإتقان نقشٍ أخضرٍ فوق معصمٍ صقيل تجلَّى بينهنَّ بياضه

عدنا إلى قول أبو الصفاء[1]:

وأما ما سوى هذا من شعره فأكثره على نوع:

ما دون رامةٌ للمُحبٌ مرامُ سيما إذا لاحت له الأعلامُ
[٤٠٣] لا تملكُ العبرات مقلته ولا تثني أعنَّةَ شوقهِ اللُّوامُ
يا عُرب نجدٍ ما مضى من عيشنا أتُرى تعودُ لنا به الأيَّامُ
رَدُّوا الكرى إن كان عزَّ وصا لكم لعيني تمثِّلُهُ لي الأحلامُ
لو لم يلذُّ الموتُ لي في حبِّكم لم أصبُ نحو البرق وهو حُسامُ
ولما اعترضتُ بنار قلبي للهـ ـوى ولكلِّ نارٍ بالنسيم ضرامُ

وكقوله:

لو كنت فيه هائماً وحدي لعذرتُ عُذَّالي على وجدي
أما وكلُّ الكون يعشقُهُ فعلام أخفي فيه ما عندي

---

(١) لم نجد بقية أشعار العفيف في الوافي بالوفيات، ويبدو أن العمري ينقل من ديوان العفيف الذي عمله الصفدي.

قلتُ: هذه طريقةٌ متناسبة مختارة كلُّها، وليس فيها النادر، ولا الذي إليه السمع يبادر. فأما أعلاها طبقةً، وأقربها من الغوص، فهو ما اخترته من حَسنِهِ، وآثرتُهُ من معدنهِ وهو قوله:

تبسَّم ثغرُها والليلُ داجٍ … فنبَّهتُ الندامى للصبوح
فكيف بقاءُ ليلٍ مع صباحٍ … ولا سيما لذي القلب الصَّحيح

وقوله:

هات كأسي في حُبِّه يا نديمي … فهي تُغري منه لثغرٍ وخدٍّ
وأجلُها في غلالةٍ من نُضارٍ … زرَّرتها يدُ المزاج بعقدِ

وقوله:

فأدر يا فدتك روحي … دائماً في الصُّبوح والاغتباقِ
راحي ما ترى كيف تنجلي في قميصٍ … باللآلئ مُزرَّر الأطواقِ
[٤٠٤] قد كست بالشُّعاع وجه الندامى … وكساها جمالُ وجه الساقي

وقوله:

قلبي المُنعم في هواك بناره … إن كان غيري في الهوى يتألَّمُ
للصبِّ أسوة خال خدِّك إنَّه … في جمرة متوقداً يتنعَّمُ

وقوله:

يا صاح ما بال نسيم الحمى … قد بَلَّ تُرديه دموعُ الغمام
وهام في الآفاق مُضنىً فهل … هام بليلي فاعتراه غرامُ
معانقاً أغصان بان الحمى إذا … شبهت في اللِّين منها القوام
كأنَّما الأغصان إذ هيمنت … حيَّت فقد ردَّ عليها السلام

وقوله:

يا عيون البدويَّات التي … جعلت بالهدب للخدِّ لثاما
اجعليني دون صحبي غرضاً … إن رمت من عينك السهاما

وقوله:

أيا عرب الخيامَ كذا أضعتم ... نزيلاً في جنابكمُ المنيعِ
ويا ظبي الصَّريم أخذت قلبي ... فليتك لو أضفت له جميعي

وقوله:

ولي على عاذلي حقوق هوىً ... عليه شكري ببعضها تجبُ
لام فلمَّا رآه هام به ... وكنت في عشقه أنا السببُ

وقوله: [٤٠٥]

إذا فهمت منه الغُصون توشوشت ... بسرٍّ له شرح الغرام يطولُ
إذا اختلجت عينُ الغدير لقادمٍ ... فليس سوى أنَّ النسيم رسولُ
كأنَّ القباب السود خيلانُ وجنةٍ ... وربع الحمى خدٌّ لهُنَّ صقيلُ
وفي سفح ديَّاك الحمى من رُبى النقا ... عيونٌ ولكن ما بهنَّ كليلُ
تشابهت القامات والسمر أيُّها ... الأسنَّةُ منها أزرقٌ وكحيلُ

وقوله:

والدوح يعطفهُ النسيم كأنَّهُ ... ركب أمالهُم النسيم فمالوا
والقُضب كالأحباب يسعى بينهم ... بتميمةٍ نَفَس الصبا النقَّالُ
فعناقها وصل وحكم فراقها ... صدٌّ وورقُ حمامها عُذَّالُ
وكأنَّهنَّ صوابغٌ وكُراتها ... ثمراتها ولها الفضاءُ مجالُ
في روضةٍ ما عيب أهيف بانها ... في الحسن إلَّا أنَّه ميَّالُ
يا بدرُ مرآة السماءِ صديَّةٌ ... بالغيم كيف يُرى به الأشكالُ
وأرى المدامة كالنديم صفاؤها ... كالصرف منها والمزاج زلالُ
هي في الضحى شمسٌ وفي جنح الدُّجى ... بدرٌ وفي شفق العشيِّ هلالُ

وقوله:

وأمرُّ في روض الحمى ... لمواطئ الأقدام لاثم

سكران لا أصحو ولستُ على فوات الصحو نادم
والورد يقطر دمعه طربًا وكأس الراح باسمُ
وأبيك لو أنّي صحوت لكنت في اللذات آثمُ

[٤٠٦] وقوله:

على حمامات الأراك تنوح وباسمك أنفاسُ النَّسيم تبوحُ
فهل حدَّثت عنك الرياض فإنني أرى البشر في وجه الرياض يلوحُ

وقوله:

يا قامةً تُخجل غُصن النقا أنت أمرت القلب أن يعشقا
ملتَ فهذا البان من خجلةٍ نكس رأساً وغدا مُطرقا
فلي بما استوجبَ ناراً وبالمرسل من صدغيك قد صدقا
يستوجب القلب لإيمانه بسحر أجفانك أن يُحرقا
وحق من حلّ بمعقود ذاك الخصر من صبري عُقودَ التقى
لو أنَّ ثُعباناً سوى شعره أصاب قلبي نفعتني الرُّقا

وقوله:

مرَّ النسيمُ على أسحارها عجلاً كأنَّما كان من تمامهِ وجلا
فقم لتهب صفو العيش إن سمحت به صروف الليالي طالما نجلا
تلك الحدائق ما الأحداق يشبهها لأنَّها اتخذت من نرجسٍ مقلا
وروضة كخضاب نُقشُ خضرتهِ لغير معصم ذاك النهر ما فُتلا
واجلُ الدُّجى باصفرارٍ من أشعتها لينقضي الليلُ منها كلُّه أصُلا

وقوله:

ولا تشكُ هجراً من حبيبٍ مواصلٍ تنكّر إذ سمَّيتهُ باسم كاشح
وإن كنت مزكوماً فليس بلائقٍ مقالك إن المِّسك ليس بفائح

[٤٠٧] وقوله:

فاليوم من فرط لهفي بالصبابة   لو تروم نقصان ما ألقى لقلت زِدِ
لا تعتبن ناظراً تلقاك عبرتهُ   فالشَّمسُ تُسبلُ دمعَ الناظر الرمَدِ

وقوله:

أحنُّ إليه وهو قلبي وهل يُرى   سواي أخو وجدٍ يحنُّ لقلبهِ
ويحجبُ طرفي عنه إذ هو ناظري   وما بعدهُ إلَّا لإفراط قربهِ

وقوله:

سألته يردُّ عني أدمعي   فقال لي يقبحُ ردُّ السائلِ
يا ذابل الجفن أراك جاحداً   قتلي وهل يجحد قتل الذابلِ
غصنٌ عليه القلب طائر   ثنى أعطافَهُ في ورق الغلائلِ
كأنَّه حبي له مُدامةٌ   شمولةٌ تَدُبُّ في مفاصلي

وقوله:

يا شعرها قف بالكثيب فغيرةً   من لثمهِ الأقدام قلبي يخفقُ
سَرقَت ذوائبك الدُّجى ثم اختفت   أرأيت يفعلُ هكذا من يسرقُ

وقوله:

يشقُّ على النعمان أن شقيقه   بوجنتها قد أوحشت منهُ نعمانُ
فواعجباً والقلب بيتٌ مُقدَّسٌ   به حُسنها الأقصى وما فيه سلوان

وقوله:

غربٌ سيوفهم الجفون ومعجزٌ   في حسنهم إنَّ السيوف جفونُ
[٤٠٨] ومعاطفٌ لو أثمرت غير الهوى   ما قلتُ إلَّا أنهنَّ غصونُ

وقوله:

يا لائمي لا تعتُبني في الضنا   عليلَ حشاً على الكمد انطوى
وارحم بدرٌ لطلعته الهلالُ قد انحنى   سقماً وفيه النجم ضلَّ وما غوى

وقوله:

ألا هل إلى غصن الحمى لي عودةٌ وهيهات ما قد مرَّ ليس يعودُ
كأنَّ لياليه لمبدع حُسنها شعورٌ ومحمَّر الأصيل خدودُ

وقوله:

سباني المنظر الأسنى بحسنٍ كلُّه حُسنى
جلا وجداً مُحيَّاهُ فمالي فيه لا أفنى
واطرب مسمعي فحُسبت طائر بانه غنَّى
بلفظٍ رقَّ حتى خلتُ أنَّ اللفظ في المعنى

وقوله:

ذكر الحمى والذكر للأوطان مما يهيج لواعجَ الأحزانِ
وهفت قدودهُم بطائر قلبه إنَّ الحمام لمولعٌ بالبانِ
وتلثَّموا خُضر المعاجر فاختفت خلف الكمام شقائقُ النعمانِ
فهمُ بأحشاءِ الحذور سرائرٌ طويت عن الواشين بالكتمانِ

وقوله:

خذ بوجدي من ذمَّةِ البُرحاءِ وأجرني من لوعتي
[٤٠٩] وبنجدٍ عربٌ نزولٌ أضاعوا وعنائي للمحبِّين ذمَّةَ النزلاءِ
وذّعوا بالعقيق دمعي ومن أين لدمعي العقيقُ لولا دمائي
وبظبي الحمى إشارة وجدي حين أكنى عن طيبه الجرعاءِ

وقوله:

نادم عيون النرجس بخدود ورد الأكؤس
واستحل بكر مُدامةٍ معشوقةٍ للأنفس
من فوق بسطٍ بنفسج مرقومةٍ بالسندس
خلعت خليعاً واغتدت بجديد حسنٍ تكتسي

وقوله:

يا ذا الذي بمُدام ريقته انتشى ... أنا عبد رقِّك شئتني أو لم تشأ
يا أهيف القد الذي وقفت له ... البانات تعظيماً له لما مشى
وقفت وهمَّت بالسجود فعاقها ... سهوٌ لأن جماله قد أدهشا
قالوا رشا هيهات وهو يصيدني ... لو كان ذاك لصدتُه مثل الرشا

وقوله:

وأحور أحوى إن تكلَّم أو رنا ... فراح يُعاطي أو غزال نقاء يعطو
توهَّم سلوان المحبِّ فجاءه ... بأن يسألوا عنه من صدعه خطّ
له حسنٌ شكل من عذاريه فاتنٌ ... ومن صور الخيلان في خدِّه نقطُ
فمن تنبت خطٌّ كما جاء صدغه ... ويُعصر من عطفيه ما ينبت الخطُّ

[٤١٠] وقوله:

لا تُخدعنَّ برقَّةٍ في خدِّه ... فالسيف قتالٌ برقَّةِ خدِّه
ودع الجفون فإنَّما وسنانها ... أضحى سناناً في مُثقَّف قدِّه
وسرى إلى جسمي الضنا من جسمه ... فهويت ذاك لأنَّه من عندهِ
يا بانة الوادي ويا ورقاءه ... نوحي لغصنك إذا نوحُ لقدِّهِ

وقوله:

خذوا عن تثنِّي الغُصن أخبار قدِّه ... ولا سيما عن بان نجدٍ ورنده
ولا تسألا عن فاتكات جفونه ... وأسيافها إلَّا حشاشة عبدهِ
وما كنت أدري قبل وسنان طرفه ... بأنَّ كلالَ السَّيف أمضى لحدِّهِ
وقد كنت أرجو أن قلبي يطيعني ... إلى أن رأيت القلب من بعض جُندهِ

وقوله:

عاطني ذكره لأصحو ففي الخمر ... وإن أسكرتُ دواء المخمورِ
ثمَّ صف لي ذؤابةً منه ... طالت ودَجت فهي ليلةُ المهجورِ

وقوله:

عَشقت قَدَّهُ غصون الآسِ ... ما ترى ما بها من الوسواسِ
وبخدَّيه ذابت الخمر عشقاً ... فلهذا التهابُها في الكاسِ
كيف يحكي النسيم فيه غرامي ... وهو قد راح بارد الأنفاسِ
ولعمري لولا التجنِّي علينا ... لم يكن فيه بالهوى من باسِ

وهو آخر الشعراء الأموات بالجانب الغربي ممن حطمه سيل المنون وغشاه، وأجنَّة القبر في حشاه. فذهبوا إلَّا هذه الآثار، وأفلوا إلَّا هذه الأنوار، ومضوا إلى جوار الله، والله أوصى بالجار.

وأما الأحياء من أهل الغرب، فجماعة لا يحضرني الآن منهم إلَّا القليل، ولا أجد من غدرهم إلَّا أنها التي تروي الغليل، إلَّا أنني كنت حين ألفتُّ كتابي المسمى بذهبية العصر، قد أثبت فيه بأعيانٍ منهم، تقابلت بهم لألئة في تاجها المرصع، وتفتَّحت كمائمه في ثوبها الموشَّى الموسع، إلَّا أن تصاريف الأيام التي نقلت بين نوائبها ورتبت فلم تخط يدي صفحاتها، غالت شمل ذلك الكتاب بالتفريق، وألقته فرقاً في كل فريق نفذ علي جمعه، بل تعذر ولم أستطع [٤١١] لقط ذلك الدُّرِّ، وقد وهى سلكه فتبرز.

فأما من بقي منهم على الخاطر وهو النادر.

ومنهم:

١٢٣ ـ أحمد بن حاتمة

أحمد بن علي بن حاتمة. حلف فضائل، وخَلَفُ أوائل، ومنشئ قصائد ورسائل، ومنشئ مقاصد، كاتب وقائل.

هو ممن حدثني الإمام أبو عبدالله العقيلي اليبري عن أدبه، وعرفني ما عرفته على بعد البلاد به. ذكر أنه فارقه، وهو كالروِض مُخضر الغلائل، وكالنسيم مُخضَّل الأنفاس القلائل، في خمائل فنٍّ لا تطوى قلائده، ولا يروى وارده.

إلّا أنه زعم أنَّه فارقه وقد أسنَّ، وقال: وأنَّه إلى الآن في قيد الحياة في غالب الظنِّ.

ومما أنشدني بالقاهرة المعزية سنة أربعين وسبعمائة قوله:

أحنُّ إلى نجدٍ إذا ذكرت نجدُ ... ويعتادُ قلبي من تذكُّرها وجدُ
رمتني النَّوى عمداً فأصمت مقاتلي ... وللبين سهمٌ ليس يُخطي له قصدُ
سقى الله أكناف الحمى كلَّ واكفٍ ... من الدمع يرويها إذا خلف الرعدُ
خليليَّ والعُشَّاقُ في الحبِّ أضربٌ ... ولكنني في لوعتي العلم الفردُ
بعيشكما إن جئتما أجرع الحمى ... قفا فابكيا من ليس يُرجى له رشدُ
فإن تُسألا من ذا الذي تندبانه ... فقولا مشوق خانه في الهوى الجدُ
أعاذلتي إن كان عذلك في الهوى ... فليس لقلبي فيه أخذٌ ولا ردُّ

ومنهم:

١٢٤ ـ حفيظ المربلي

حفيظ بن عبيد بن محمد المربلي من أهل مربلة. بصير بالبلاغة لا يخاف عثرة قدم، ولا تُسمع له زفرة ندم.

حكى اليبري عنه:

إن الألسنة لديه لا تطلق، ووجوه السوابق معه لا تُخلَّق، ترد الأدباء من عبابه، وتقف الألبَّاءُ على بابه، وهو يُسعهم بخلقٍ قطفته المكارم، وروقته وتقلدته الأكارم وتطوقته، وتبعته البحار الخضارم وآمنت به وصدقته [٤١٢] بسجايا كريمة ألذُّ من فقد الواشي، وأرقُّ من الماء أطرافاً وحواشي.

ومما له قوله:

بكيتُ لهجرهم طوراً وطوراً ... لبُعدهم وقد أزف الرحيلُ
ومما شفَّني وجدٌ عزيزٌ ... يحاول قَهره صبرٌ ذليلُ

ومنهم:

١٢٥ ـ أبو الحسن الشاطبي

أبو الحسن بن عمر الشاطبي. عذبُ الشمائل، جمُّ الفضائل، نمى في العرب من أكرم عرق، وورد ماء الأدب وهو غير طرق. من أسرةٍ علقوا بأمير افريقية، وارتضعوا بدر أنعامه، وتوسَّموا بشرف أيامه، واختصَّ هو به فأعاد كساد بضاعته نفاقاً، واسترجع ذاهب زمانه قصداً لا اتفاقاً.

وله أدبٌ تميلُ به أعطاف الأفنان، وترنو تُحبُّه بعين الظبي الوسنان.

حدثني اليبري عنه، وأنشد له، ومن قوله:

وخلٍّ كنت أسقيه ودادي ... فُراتاً عاد يسقيني أجاجَة
وأودعُ عنده سرِّي زمانا ... فكان به أتمُّ من الزجاجة

ومنهم:

١٢٦ ـ ابن حائر الهواري[1]

محمد بن أحمد بن علي الهواري المعروف بابن حائر، أبو عبدالله المالقي، من أهل مالقة. بحرٌ يتلاطم أدبه، وحِبرٌ لا تُزاحم أجوبته، جمع الفضل موّزعاً، ونزع حتى لم يجد في قوس الأدب منزعاً.

وتصعَّبت البلاغة حتى راد أكنافها، وراض أصنافها، وأتى بمصابيحها تتقد، ومعانيها وما فيها نقد لمنتقد.

وبلغني أنَّ له نظراء يُسامونه فيسأمون، ويماثلونه فيكرمُ ويُلامون، واستحقاقه يفضِّلهُ على الفرناء، ويؤهِّله لما يستحقُّهُ من الاعتناء.

حدثني عنه اليبري وصاحبنا أبو عبدالله ابن الشديد، وأنشدني له قوله:

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة: ٢٠٧/٣ وتوفي سنة ٧٨٠هـ.

نـدىً تـحـيـا الـعُـفـاة بـه وعـزٌّ تـمـوت بـه الـضـغـائـن والـذُّحـول
[٤١٣] تُردِّي الصبح من نقع قياماً كـلـيـلٍ والـدروع بـه نـصـولُ

ومنهم:

١٢٧ ـ ابن عبدالقوي

أحمد بن عبدالقوي الوادي آشي، أديب لا يعتريه سأم، ولا يعتليه سدَم، ولا يعتاده على فائتٍ ندم، لولا تدلسُّه بالكيمياء، وتلبيسه بالسيمياء لما تطا من به الاغضاءُ، ولا دفنت بالملامة منه الأعضاءُ.

كان لا يزال يمدُّ شباكه لصيد ما سنح، ومعاجلة ما جنح، ثم لا يلبث أن يظهر زيفه، ويغمد في عنقه سيفه.

وأنشدني له اليبري قوله:

ولـرُبَّ نـارٍ أجـجـت فـأحـلـتَـهـا بـرداً عـلـيَّ مـن خـطَـتـهُ وسـلامـا
ولـقـد لـقـيـت كـتـائـبـاً فـشـلـلـتـهـا فـرداً كـمـا شـلَّ الـخـمـيـس نـعـامـى
إن الـرَّعـايـا مـذ ولـيـت تـقـيَّـلـوا مـن ظـلِّ عـدلـك يـذبُـلاً وشـمـامـا
أمـنـاً أنـام الـسـاهـريـن وقـبـلـه خـوف لـعـمـري أسـهـر الـنـوّاحـا
وحـسـمـت داءً لا يُـصـابُ دواؤُه لـو غـيـرك الآسـي لـكـان عُـقـامـا
بـضـاءِ حـفـصـيٍّ أطـلّ عـلـى الـعـلـى يُـسـنـي الـلـهـى ويُـعـلِّـمُ الإقـدامـا
تـفـديـك مـن غـيـر الـحـوادث أنـفـسٌ أنـت الـذي أوطـئـتـهـا الأجـسـامـا
قـابـل الـلـيـالـي واسـتـجـد ولا تـبـل قَـعـدَ الـمـنـافـسُ سـاخـطـاً أو قـامـا
ما في البسيطة من يُساجلك العُلى شـطَّ الـمـدى مـرمـىً وعـزَّ مـرامـا

قوله:

تـسـلاهـم وقـرَّبـه الـقـرار فـأصـبـح لا يـزور ولا يُـزارُ
فـلـم يـحـفـل بـطـيـفـهـم مُـلِّـمـاً ولا أصـبـاهُ فـي داريـن دارُ
[٤١٤] وشـيَّـب رأسَـهُ حـدثـان دهـرٍ فـقـرَّ لـه وحُـقَّ لـه الـقـرارُ
ولـيـل شـبـابـه قـد كـان عُـذراً ولا عـذرٌ وقـد طـلـع الـنـهـارُ

وقوله:

يرنو فيرمي الحشا عن قوس حاجبه ... بأسهم قد علمنا أنَّها الحدَقُ
أرقَّت دمعي وجداً في محبَّته ... فلم يرقَّ لطرفٍ مضَّهُ الأرقُ
وذبتُ فيه بنار الشوق مُذ هطلت ... عيني فلي من هواه النار والغرقُ
في الظبي من حسنه للعين أربعةٌ ... النشر والنفرُ والعينان والعنقُ

ومنها في المدح:

هو الإمام الذي إن سار جحفلُهُ ... ضاقت بمتَّسعٍ من عزمهِ الطرقُ
يشكو السِّنانُ من الهيجاء في يدهِ ... ما يشتكي من عطايا كفِّهِ الورقُ
يجدي ويُردي فرداً وزد به حذراً ... فإنَّه البحر منه الريُّ والشرقُ
حُسامُهُ للمباري مُحصدٌ ذلق ... ومجده للمحاري مُصعدٌ زلقُ
لن يفرقَ الناسُ من دهرٍ يخيف ردىً ... يخطيه وهمُ في بابه فرقُ
يا من عواطفُه في حالنا سعةٌ ... ومنْ عوارفُهُ في جيدنا ربقُ
قد لحتَ في الدِّست بدراً فاستنار ... سناً كأنَّه لك من إجلاله أفقُ
لو حدَّث الناس أن الحسن منتقلٌ ... إليك يوسف عن صدِّيقهم صدقوا

ومنها في وصف القصيدة، ويُعرِّض بمن عارضه ويهنئ برجب:

جاءتك ما شانها كدٌّ ولا كدرُ ... آيةٍ ولا شأنها مينُ ولا سرقُ
لو قستها بسواها بان جوهرها ... ما كلُّ أبرصٍ يُدعى أنَّه بَلَقُ
[٤١٥] قامت بواجب فرضٍ من هنا رجبٍ ... لها إليك بما في عُنقها عَنَقُ
فدم ودهرك في تكرار أشهره ... عَودٌ يعود وفيه الماءُ والورقُ
تأتي إليك الليالي وهي باسمةٌ ... وتستقلُّ وما في صفوها رَنَقُ

ومنهم:

١٢٨ ـ ابن الحكم[1]

واسمه محمد بن يحيى بن محمد الأموي الحكمي، جمال الدين. كوكب سيَّار، وصيتٌ سفار، وذو رحلٍ لا يليقه نشب ولا ولد، وثقلٍ لا يعيقه سبب ولا بلد.

فكان خافقةً لا يستقرُّ بها قرار، وبدراً لا يستمر له تمامٌ ولا سرار، سريعُ البديهة، نطق اللسان، كأنَّ قريحته تندفع من صبب، وبديهته تمتُّ إلى السيل بسبب، اجتمعت به وأخبرني أنه من بني أمية بن عبدشمس، ثم من بني عمر بن عبدالعزيز، مولده في صفر سنة إحدى وسبعين وستمائة بمصر، فناب باحسابه، وأبان عن أنسابه، وأشرقت عليه البسمة العبشمية، وأعرقت إليه الشنشنة الأخزمية، فاتفق من ذلك الحاصل، وطبع زُبرةً من فضلات تلك المناصل.

أنشدني كثيراً من شعره، إلَّا أنَّه كان قليل الغوص، عري المعاطف من الصنعة، وأشبه ما سمعت من شعره

قوله:

شهَّرتُ ثوبَ مسرَّتي ... والنيلُ صافٍ قد تروّق

كأسُ المدامة أحمرٌ ... مُتلهِّبٌ والنيل أزرق

وهذا نظم بديع لو لم يكن له سواه لكان فيه مُقنع وممتع وقال:

تفاحةٌ تحكي لنا ... في لونها قوس قزح

شبيه خدٌّ أبيض ... مُعَذر قد انجرح

وحكى لي الخطيب جمال الدين الصوفي:

أنه خرج هو وإيَّاه إلى جسرين، فوقفوا على جسرها، وصيَّاد سمك يصيدُ في نهرها، وقد أذن تلك الأسماك بحربٍ لا تلوّث بالدماءِ، وجال في صيد بنات ذلك الماء، وأخذ تلك الطيور الطائرة في لب السماء فقال ابن الحكم:

وسابحٍ يسبح في بحره

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة: ١٧٦/٤، توفي سنة ٧٢٢هـ.

ثم استجازه فقال:

وكفه يقبض أسماكها.

فقال:

ما قلب كني سابحه قد ندب

فاستجازه فقال: في الماء ألا قال لي هاكها.

[٤١٦] ومنهم:

١٢٩ ـ إبراهيم الطويجن[(١)]

إبراهيم بن محمد الساحلي المعروف بالطويجن، أبو إسحاق، منبع زلالٍ عذبُ الماء، رطب الأرض والسماء، أزهر نجماً، وبدر رجماً، ففاءت له الظلال، وفات عامُه كلُّ قمرٍ وهلالٍ.

قدم مصر ونزل بها على بني الأثير في فلك علاءٍ، وملك بهم جزيل آلاء، وجرت مُكاتبات بينه وبين من لاذ بهم من الفضلاء، ومتَّ إلى عليِّهم بالولاء.

وأتى دمشق بكتبٍ منهم إليَّ، وسبب كرم موقعه لديَّ، ومدحني بعدة قصائد، وتردد إليَّ مدة أيام، ورأيت له بياناً تنصب منه المصائد، ولساناً له الإعراض حصائد. وأخذ مني كتباً طاف بها أكناف الشام، وطار بها إلى كلِّ بارق يُشام. ثم عاد إلى مصر، وأتاني داعي السلطانِ إثر عوده، فأتيت مصر فوجدته قد غاب عنها غيبة الحين، ورحل لا إلى أين، إلَّا أنه اتجه وهو مغرب، لا يُعرف من خبره إلَّا مثل عنقاء مغرب، وأعقاب نجم مغرب:

ثم وافت الأخبار بأنَّه قصد بلاد التكرور، وقضى بها ما أراد من السرور، وقالوا،

---

(١) ابن حجر، الدر الكامنة: ٣٧/١ وتوفي سنة ٧٣٩هـ.

والعهدة على الناقل أنَّهُ سمَّ ابن الكويك حين حلَّ بناديه، وجزاه ولكن بكفر أياديه.

هذا على ما حكى لي بمصر من إكرام ابن الكويك له، إذ أتى لا يمصُّ بللاً ولا يجد ما يَسُدُّ خللاً، ولا يَعُدُ بيتاً يأوي إليه إلَّا رآه طللاً، وذلك قبل أن يعلق بحبالة بني الأثير، ويظفر بحباء ذلك المدد الكثير، ومن شعره قوله:

[٤١٧] والخالُ نطقةُ مركزٍ في وجنةٍ ... دارت عليه دوائر الأحداقِ

ومنها قوله:

في ليلةٍ أدجى وأدجن جوُّها ... ليلان من صدغيك أو أشواقي
إن أطلعتْ بدراً أسرت ثلاثةً ... للثغر أو للخمر أو للساقي
وبكلِّ مسرىً لعين يُزيِّنهُ ... شغلت عن الإغضاء والإطراقِ
يا ظبي أنس لم يُرعْ بتقنُّصٍ ... وهلال أفقٍ لم يُشن بمحاقِ
إنِّي خفيت وتحت شعرك كوكبٌ ... للخدِّ مطلعه من الأطواقِ
بتنا وخمرتنا لمى في طيِّها ... نفثُ الحباب وقوَّة الدرياقِ
مُتقسِّمين كؤوسها فالسقى ... من أخلاقها والسكر من أخلاقي

[٤١٨] وقوله من أخرى:

تألَّق البرقُ مُجتازاً على أضمِ ... فبتُّ أعشو لوقْدٍ منه مُضطرمِ
وصافح السَّفح من أكناف كاظمةٍ ... وسالم الرَّوْح من علياء ذي سَلمِ
وطال متناً على وهنٍ يؤرِّجه ... تحنو عليها قدودُ البانِ والسَّلمِ
بحيث أجري دُموعي فوق دِمنتهِ ... ماءً تولَّد من لفحٍ ومن ضرمِ
وحَيْثُ أوطأت خدِّي تُربَه ... كرماً وظلتُ أقفو على أثاره بفمي
دعني ونجداً أناديها على خَرسٍ ... من ربعها فأناجيها على صممِ
واسأل الرِّيح هل جرّت مطارفها ... على المحصَّب أو أرست على العلمِ
عَاطتْ كؤوس الهوى صرفاً مُعتَّقةً ... فأبرزت حبباً يطفو على لممِ
ومالَ بي عن مُعاطاة الصبا زمن ... أدّى إلى شيبةٍ أدَّتْ إلى هرمِ
واهاً لعمرٍ قطعناه على خُدَعٍ ... من الهوى وأضعناه على كرمِ

قضيتُ عُمري وعين الغيِّ مُبصرةٌ طريق لهوي وزهو في الرشاد عمي
وصُمَّ سمعي كأن لم يأتِهِ نباءٌ للدهر حدّث عن عادٍ وعن إرمِ
فيا أخا العيشُ مُزجيها مُحلاّةً لم تشكُ من شهرٍ يوماً ولا سأمِ
تُروي بدمعٍ من الأجفانُ مُنبجسٍ وتصطلي بلظى في القلب مضطرمِ
مُذ شارف الرَّكب أكناف العقيق وما أزف هضباه من بانٍ ومن سلمِ
وأظهرت طيبةُ الطيبَ التي نسمت عن تُربةٍ حلَّ فيها أشرفُ النَسمِ
مد الضريح وما ضُمَّت صفائحه من النبيِّ الرِّضى الطاهرِ الشيمِ
أنواره غرَّة في المجدِ نيِّرةٌ وفخرهُ شمم في معطس الكرمِ
ولاح من نورهِ مَغنيً أضاء به مقام آدم فخراً وهو في العدمِ

[٤١٩] ومنهم:

١٣٠ ـ ابن أبي النوق

ابن أبي النوق. سيلُ بداية، ووبلُ خاطرُ متدفِّق من بداية، يقضى مجالسه العجب، ويرفع مجالسه كما وجب.

وقدم دمشق، وأقام بها ثم فارقها، وقد موّه بلآلآئه مشارقها، بقريحةٍ مقتدرة، وبديهةٍ مبتدرة، لو شاء لما كان تكلَّم إلَّا موزونا، ولا أخرج إلَّا من حاصله مخزونا، وكان لا يملّ إليَّ تردّداً، ولا يميل عني تودُّدا.

ولقد رآني مرةً وفي يدي كتاب له فاتحة من الذهب تشبُّ وقودا، وتَهُبُّ حتى تكاد تتناول نقودا. فقال كأنَّه يتحدّث، ولم يتليَّث:

أراك تنظر في شيء من الكتب وفي أوائله شيء من الذهب
لو شئت تصرفُ نقداً من فواتحه صرفت منه دنانيراً بلا ريب

فوهبته الكتاب وأنشدته:

خُذهُ إليك بما يحوي من الذهب ففي ندى السُّحب لا يُخشى من اللَّهبِ
واضمم يديك عليه لا تُمزِّقه يا آفة الفضَّةِ البيضاءِ والذهبِ

وكتب إليَّ يتقاضاني لفرسه عَليقاً يُعلِّقُه وشيئاً ينفقه:

دمــوع كُــمــيــتــي عــلــى خــدِّه ... مــن الـجـوع يُـطـلـبُ مـنِّـي الـعـلـفْ
ولــيــس مــعــي ذهــبٌ حــاضــرٌ ... ولا فــضَّــةٌ وعــلــيَّ الــكــلــفْ
ولــي مــنــك وعــدٌ فــعــجِّــل بــه ... فـمـن أنـجـز الـوعـدَ حـاز الـشـرفْ

فبعثت إليه بشعيرٍ ونفقةٍ، وكتبت إليه أداعبه مداعبة مِقةٍ:

مــسـحـتُ بـكـمِّـي دمـوع الـكـمـيـت ... وقــلــتُ لــه قــد أتــاك الــعــلــفْ
ووافــى إلــيــك جــديــدُ الــشــعــيــر ... لــعــلّ يُــداوي ســقــامَ الــعــجــفْ
وفــي كــمٌ ســائــقــهِ صُــرَّةٌ ... تــسـرُّ لـتـخـفـيـف ثـقـل الـكُـلـفْ
فــإيَّــاك نــحــسـبُـهـا لـلـوفـا ... فــإنّــي بــعــثــت بــهــا لــلــسَّــلــفْ

[٤٢٠] ومنهم:

١٣١ ـ ابن الحاج

ابن الحاج، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم النميري الأندلسي الغرناطي الفقيه المالكي. من كتَّاب الإنشاء بالحضرة الشريفة المرينية.

أفق إحسان، وشفق صباح، لا يختص بإحيان طرق الفراقد في بواديها، ونزل بحيال المجرّةِ ونواديها، وأصاب نبلاً، وصار وبلاً، وصار حيثُ شاء براعةً ونبلاً، من بيتٍ معرّق، ونبتٍ مورق، وثبتٍ حوى زينةً لمغربٍ ومشرق.

وقدم مصرحاجاً، وجاء إليَّ بقلعة الجبل في جماعةٍ من أهل الفضل، جاءوا معه، وانحطّوا إليه حيثُ أعلاهُ قدرهُ ورفعه، فخضعت وهادهم عن رُباه، وكان والناس ما عداه أشباه. فلما تكلَّم سكتوا له وهو أصغرهم سِنَّاً، وأضرمهم ذِهناً، فرأيتُ منه متحفِّزاً لا يدفعُ همَّهُ الوثوب، ولا يؤتى عزمه من خور الإنبوب، والصُّوان حجرٌ لولا جُذاه، والمسكُ دمٌ لولا شذاه.

وكتب إليَّ ورقةً يؤسف على ضياعها، ويؤسى على حبَّةِ قُلبٍ يشح بها في ابتياعها، ولله قلمه، وما ضمر، وطرسه وما أخرج ورقهُ من الثمر، فلقد جاء يبذرُ نظمٍ

وسحرٍ عظيم على إنَّ دوح نظمه أشفُّ، وروح علمه فيه أخفُّ، وبينه وبين نثره ما بين الأرض والسماء، ودائرة القمر ودارة الماء.

ومن شعره قوله:

يا مالكي بصبيح وجه حسنه ... أربى على فلق الصباح الأوضحِ
ما شكَّ قلبي فيك مالكٌ ... لما عرفتَ وسامةً بالأصبح

وقوله:

لي جفن إذا ذكرت مَعين ... ليس يأتي إلَّا بدمعٍ هتونِ
جرَّح الخدَّ راوياً وهولا ... يمسك عنه لأنَّه ابن معين

وقوله:

وبي عربي النطق ما زال هاجري ... على فرط حبِّي والخلوص الذي يُرضي
طلبت لدى أفعاله خفض عيشتي ... فقال أفي الأفعال ويحك من خفض

وقوله:

وقال عذولي حين لاح عذاره ... بوجنته أنهرُه وإنِّي قابلُ
أراني الضُّحى إذ سال من سفح خدِّه ... أنهرهُ من بعد ذا وهو سائلُ

وقوله:

يا ربَّ كأسٍ لم تشجّ شمولُها ... فأعجبُ لها جسماً بغير مزاح
لما رأينا السحر من أشكالها ... جُملاً نسبناه إلى الزُّجاح

[٤٢١] وقوله:

ومُمنَّعٍ رفعتُ بعلوٌ هضابه ... نارٌ تضيء بجنح ليلٍ دامسِ
إن أم منه القايسون موطئاً ... جعلوا قراه ملجأٌ للقابسِ

وقوله:

بدا عارض المحبوب فاحمر خجلةً ... وأهدى لنا ورداً به الحسنُ ناهضُ
فقلت له لا تنكر الورد ناضراً ... فقد سال في خدَّيك من قبل عارضُ

وقوله:

أجزني بوصلٍ على مدحتي فلي فيك مدح يروّى عزيزاً
وإن كنت لي في الورى مالكاً فما مالك منكرٌ أن يجيزا

وقوله:

يا مالكي وصلت هديتك التي أهديتها فشكرت ملء المقول
وتبعت منك لنا مذاهب مالك حقاً فمذهبنا قبول المرسلِ

وقوله:

يا بدر بادر إليّ بالكأس فربَّ خيراتي على بأسِ
ولا تُقَبِّل يدي فإنَّ فمي أولى بها من يدي ومن رأسي

وقوله:

وحقكم ما زلت أسمعُ عنكم أحاديث فضلٍ كلُّهن حسانُ
إلى أن حداني السوق نحو دياركم فأراني على ما قد سمعتُ عيانُ

وقوله:

أتوني فعابوا من أحبُّ جهالةً وذاك على سمع المُحبِّ خفيف
فما فيه عيبٌ غير أنَّ جفونه تراضُ وأنَّ الخصر منه ضعيف

ومنهم:

١٣٢ ـ ابن سالم الألبيري

محمد بن سالم الألبيري. مُوردُ فضلٍ ومناهله، وسنام أدبٍ وكاهله، ومحتدّ شعرٍ ذكت منه أعراقه، وذكت ذكاء زَهِير الغصون أوراقُهُ، لا يفرح قلب حاسده.

قدم علينا القاهرة، وقدم إلينا تشرق به الأيام الزاهرة، جمعتنا وإيَّاه ساعات غفل الدَّهر المتطلع عنها، وغلّ الدهر المتضوِّع منها. ثم ذهب مشكور الأيادي، مشهور

الفعلات في ماله والأعادي، تبكي عليه حمامةُ الأيكة وغمامةُ الوادي، وكان يوصف بكرمٍ لا يُعرفُ من بلادٍ جاء منه زائراً، وجدَّ بها إلى أجله سائراً.

وقد كان آوى من صاحب الأندلس إلى ملك لم يزل مسروراً بجمع المكارم، وقمع المحارم، وتقليد المنن إذا أثقل الأعناق وحملُ المغارم. دواعيه بدد، ومساعيه مالها عدد، لا يفرح منه قلبٌ من الرهب، ولا ينسخ مداه إلَّا أكسير الذهب، فلما علق بحباله، قال في حاله:

وركبٍ سرى والعيس تجذبُها الربى ... لها كبدٌ يقظى وطرفٌ مُهومُ
تراها على الوعساءِ تعطو كأنَّها ... سفينٌ وبحر الأل ملآل مٌفهمُ
وإن أدلجت ليلاً ظننت الدُّجى ... فلا وهُنَّ نجومٌ للشياطين ترجمُ
أقول لصحبي حين صرنا على منًى ... بيمنةَ ذا الوادي أقاموا وخيموا
[٤٢٢] لئن كان في تلك الممالك مالكٌ ... فإنَّي على تتميم حُزني مُتمِّمُ
بنفسي غزالٌ غازلتني لحاظُه ... ورُبَّ فتورٍ عن فتونٍ يُترجمُ
يطيل مدى الهجران وهو مُقصر ... ويقتلُ عمداً بالقلى وهو محرمُ
إذا ما لوى ريم اللّوى بوصالهِ ... ولم تسلُ نفسي حُبّه فهو ألومُ
أقول لها لا تأسفي ما عاش يوسف ... على أحدٍ فهو الإمامُ المقدَّمُ
همام له رأيٌ إذا شهد الوغى ... يُصحِّح معناه الحسامُ المثلمُ
إذا جاد لن يثني يداً عن نواله ... وإن كاد أثنى الجيش وهو عرمرمُ
ففي راحتيه للسماحة ديمةٌ ... وفي معطفيه للشجاعة ضيغمُ
وكم مرحت في مرج جيّان خيله ... وخاض بها بحر الردى وهو حصرمُ
عدت ولها بالطعن في الكُفر ميسم ... وراحت وفي أحقابها الشيء مبهمُ
أيا ملكاً ما قام شعري بفرضه ... ولو كان لي في كلِّ جارحةٍ فمُ
ومن لان لي مذ صرت في فيء ظلِّه ... زمانٌ قسى فالمغرم اليوم مغنمُ
رأيتك في دست الإمارة حاكماً ... فقلت سليمان ابن داود يحكمُ
إذا حضر الخصمان أظهرت منهما ... براءتك مستوراً كأنَّك تعلمُ

وحُكي لي أنه أتى تونس راغباً في نعمة أوطانها، طالباً ذمَّة سلطانها، فأقام بها لديه مُكرَّماً، ونزل عليه فجعل له ربيع نداه على سواهُ محرّماً، فلما غاب عن افريقية نجم ملكها، ثم عاد تجُلى مُدْلهمِّ حلكها، وأتى يسرُّ به الرفيق، ويبشِّرُ بقدومه التوفيق. فاهتزَّ بمقدمه الفريق، واعتذر الدهر بلقائه عن التفريق، وأصبح به الصباح في شفةِ الظلام يتبَسَّم، والشمس في ثوب السَّماء حلوق تتقسَّم.

وظلَّت تقبل في البيداء آثار ركائبه، ويستقبلُ من الأنداء أمطار سحائبه، سروراً بغائبٍ كان ينتظر، وقادمٍ [٤٢٣] عاب السرور حتى حضر، ثم لم يحطَّ حقائب سفره، ولا عُرفت حقائق ظفره، حتى استدعاه إلى مجلس غيم الند فيه صفيق، ومطر الكؤوس في جوِه لا يفيق. ونُداماه لا يرى إلَّا شفقاً يقربُه بكأسه إلى شفيق، ولديه غدير ينقصفُ كأنَّه مرمر، ويتحيَّل كأنَّه بالنجوم مُشمَّر.

والدوح قد أرخى عمائمه الساذجَ والمشمر، وخاض الماء وذبلُهُ مسبل ومُشمَّر في حيِّز روضٍ لو خُيِّر الحسن لما تعدّاه، أو دنا من الحبتين لوداه.

وبروق نوّاره يكاد سناها يخطف البصر، وأطابت لومهِ لا يُعاب بالقصر. فلما حلَّ في كنفه، وأقام له الحظُّ مائل حَنَفه، وقرَّبه منه نجيَّاً لا يملُّ منه سمرا، ولا يجتني سوى حديثه ثمرا، ثم أقبل يُبلِّغهُ الوطر، ويمسحُ عطفه بيدٍ يُنسي بنائلها المطر. فقال قصيدة منها:

قم فأطلع الشمس بكأس العُقار	قد ذهب اللّيلُ وجاء النهار
حتى إذا ما غربت في فمٍ	أبرز خدّ الشفق الاحمرار
خمرٌ إذا خامرها مزجها	تبسَّم عن مثل الثنايا الصغار
يلتئمُ الماء بأجزائها	سبحان من ألَّف ماءً ونار
قم عاطها أغيد ذا وجنةٍ	يُعذرُ من يخلعُ فيه العذار
كأنَّه والكأس في كفِّه	بدرُ الدُّجى قابل شمس النهار
ظننت والخمرة في بريقه	إنَّ لها من وجنتيه اعتصار

جاد بما كان ضنيناً به | فانعقد الوزرُ وحلَّ الإزار
[٤٢٤] ظبي من الترك إذا ما رنا | قد جذب القوس وسلَّ الشفار
له عذارٌ تاه في خدِّه حتى | إذا رُندح بالشعر حار
كيف أُرجّي كتم وجدي به | وحبُّه قد هتك الأستار
دع غزل الشعر فرصفي به | فضل أبي بكرٍ لمثلث شعار
ملك إذا ما سار في جحفل | قُدّامه النصر به حيث سار
تعرفُهُ السمر الطوال التي | طابقها بالمرهفات القصار
وردّها مخضوبةً بعدما | جراحُها يُسمعُ منها خوار
إن جاد بالرفد على وافدٍ | أعجز عن جود يديه البحار
أو كاد أضحت منه أعداؤه | في قبضةِ الذُّلِّ وهون الصغار
قد خصَّه الله وشكراً له | برفعه البيت وطيب النجار
من طينة الفاروق نجم الهُدى | أعظم بهذا في عريق الفخار
جرى به طرف العُلى سابقاً | إلى مدى النصر فقلُ لا عثار
وجدّل الأقران بأسٌ له | غزاهم بالرُّعب وسط الديار
يا ملكاً لاح لنا وجهُهُ | كالبدر في أفق السَّنا والوقار
تهن مثوى لم يزل غرسه | يجنيك بالنصر اللذَّ الثمار
وانعم بعيشٍ دام في غبطةٍ | دارت به الأفلاك في خير دار
لما رأيناك بها طالعاً | ظننت أن الشرق أضحى جدار
وخلتُها جنَّة عدن بها | ما تشتهي أنفسنا من مسار
فاسعد بها واصعد إلى | مُرتقى تسكن أعداءك دار البوار

[٤٢٥] ومنهم:

١٣٣ ـ أحمد اللخمي

أحمد بن محمد بن زياد اللَّخمي. أبو العباس إمام تقي وورع، وزمام زُهدٍ كفَّ هواه ووزع، وقائمٌ في محرابٍ صفّ إقدامه ووضع، وحائمٌ على جنانٍ حلّق إليه قوادمه

ووقع، أظنُّه من مالقه أتى المدينة الشريفة وجاور بها، ونزل بقباب قباء على غربها، وأخذ ذماماً بذلك الجوار، واقتبس ضراماً من أشعَّة تلك الأنوار، وأقام على ربى تلك الربوع، وقام يغرف من صفاء ذلك الينبوع.

وقدم دمشق عليّ وكتب إليّ:

تشرف باب الملك إذ أنت قفله ... فما لسديد الرأي عنه قفولُ
تصوِّبُ للرأي القويم طريقَهُ ... فأنت على فعل الجميل دليلُ
إذا عنَّ لي ذكر العقيق ومن به ... توقّد مني في الفؤاد عليلُ
رضيت ببعدي عن دياري لأجله ... وظنّي فيما قد رضيتُ جميلُ

وقوله:

هل مانع أم أنت لي تتمنَّعُ ... في كل حالٍ ما لغيرك أرجعُ
عوّدتني كرماً وأصعب ما يرى ... عادات خيرٍ من كريم يقطعُ
ثقتي بفضلك منذ كنت فإن ... أخب مما لديك فأيُّ شيءٍ أصنعُ
ولقد علمتَ بأنّني في حاجةٍ ... ما لاحتمال الصبر فيه موضعُ
أنّى أضيعُ وفي جنابك موئلي ... أنّى أخيب وباب فضلك أقرعُ
أوليس أقبح ما يكون لسامعٍ ... إنّي على قربي إليك أُضيَّعُ

وقوله:

عهود هوىً لم يبل عندي جديدها ... ومثلُك لا يبلي لديّ عهودُها
فتاة تُريك الغصن في الروض قدُّها ... وينبيك عن غزلان رامة جيدها
قضى ردفها والنهد هجران بُردها ... فمثل الذي أشكوه يشكو برودها
[٤٢٦] ويا عجباً من حملها ثقل حليها ... على أنَّ هبّات النسيم تؤُدها
وما هي إلّا الشمس لولا دلالها ... وما هي إلّا الغصنُ لولا نهودها
يودّ هلالُ الأفق لوزار ربعها ... عسى صفةٌ من حسنها نستفيدها
ويطمع قضيب البان يحكي انثناءها ... فتعجز عن ذاك التثني قدودها
وليلة زرناها على غير موعدٍ ... وقد شغل الأبصار عنّا هجودُها

فمالت بنا على جانب الحيِّ موضعاً بحيث أمنَّا كيد واشٍ يكيدها
فقلتُ يمين الله إنَّا بمأمنٍ وتلك عيون لم تنبِّه رقودها
فباتت تهاديني حديثاً كأنَّما تناثر من شدِّ العناق عُقودُها

وله بقيةُ من النثر، اروته جرعها، وآوته إلى جانب البيوت أربعها، منها قوله: فآويت إلى منزلٍ قد قرن الخير بنزوله، لا يفرق الناظر بين ربِّه ونزله، فأضحت به كمن لم يرم عن كناسه، ولا رحل عن أناسه. فقلتُ لنفسي ليُفرج همك، فرُبَّ أخٍ لم تلده أمك. فلما تعرفت عوارف ذلك المنزل، وتعرضتُ لما فيه ذلك المُنزل، وجدتهُ لا يُطلبُ بغامض معي إلَّا كشف معمَّاه، وألفته زيناً في اسمه ومُسماه، فما زال بي إلى استغربت ورغبت، ورأيت عجائب الفضل فعجبت. فقال: أخالك قد استكثرت جواهر بحري، وغلبتك قمائم سحري، قلت له: والذي أتاك من كل شيءٍ سبباً، ما رأيت كهذا عجباً، وهل وراء هذا البحر من مسبح. أو بعد هذا الساحل من مسرح. فقال: أي والذي أنزل الماء من الغمام، وفضل زيداً على بني الأنام. فقلت له: كنت مُشيراً، فقال: نعم، وأسأل به خبيرا [٤٢٧]

ولست أعجب أن أصبحت ذا أدبٍ من جاور النيل لم يصبح على ظمأِ

فقلت له: أأتكلم بين يدي قدامه، أو أتكلَّم بحضرة كعب بن مامه، فقال: إنَّما يكلَّف المرء ما يستطيعه، وجُهد المُقلِّ دموعه.

ومنهم:

١٣٤ ـ محمد المكودي

محمد بن محمد المكودي، قادح نار، وقاذف حصى لعناد، وأيُّ رجلٍ هو يجنى من أدبه؛ ويغنى بذهبه؟

أنشدني له صاحبنا أبو عبدالله الشلالجي:

بقلبي من بني الأتراك ظبي يغار بحسنه البدر التمامُ
تعانقه الخمائل لا بودِّي وتلثمه على رغمي اللثامُ

ومنهم:

١٣٥ - إبراهيم التلمساني

إبراهيم بن محمد التلمساني. نزيل سبته، ومزيل النجوم لئلا تبلغ سمته.

أنشدني له صاحبنا الشلالجي قوله، وقد قال له محبوبه أنت ثلج:

يـا غـزالاً لـه حـديـثٌ خـلـوب   قُـلـبـت فـي لـظـى هـواكَ الـقـلـوبُ
كـيـف تـعـزوا إلـى مـحـبِّـك بـرداً   ومـن الـشـوق فـي حـشـاه لـهـيـبُ
أنـت شـمـس وقـلـت أنـي ثـلـج   فـلـهـذا إذا طـلـعـت أذوبُ

وهذا آخر الشعراء المغاربة الممخضين للغرب أمواتاً وأحياءً، ممن وقع عليهم الاختيار ممن هو من شرط هذا الكتاب على ما وقع إلينا، وسقط طائره علينا، وجاب [٤٢٨] إلينا جانب ذلك البر والبحر، وقطع إلينا مدى الليل والنهار.

آخر السفر السابع عشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ويتلوه إن شاء الله تعالى في السفر الثامن عشر.

وأما جماعة المصريين ممن ذكر ابن سعيد، ومن نكب عن طريقه، وما هو منه بعيد.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليما كثيراً إلى يوم الدين.

حسبنا الله ونعم الوكيل



قائمة المصادر

إبراهيم بن سهل الإشبيلي،

ـ الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

الأعمى التطيلي،

ـ الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.

ابن بسام،

ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

الجوهري،

ـ الصحاح، دار الفكر، بيروت.

ابن حجر، أحمد العسقلاني،

ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تصحيح عبدالوارث محمد، دار الكتب، العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن خاقان، الفتح الإشبيلي،

ـ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء.

ابن خلكان،

ـ وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن سعيد،

ـ المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ـ المرقصات المطربات، دار حمو ومحيو، بيروت، ١٩٧٣م.

ابن شاكر الكتبي،

ـ فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الصفدي،

ـ الوافي بالوفيات، فيسبادن، بيروت.

ـ أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، بيروت.

عصام عقلة،

ـ الأمويون في العصر العباسي، دار حمادة، إربد، الأردن، ١٩٩٩م.

العماد الأصفهاني،

ـ الخريدة (قسم المغرب)، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبدالعظيم، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.

القفطي،

ـ المحمدون من الشعراء.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني،

ـ نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

ياقوت الحموي،

ـ معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

يوسف بني ياسين،

ـ بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م.

اليونيني، قطب الدين موسى،

ـ ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٠م.

فهرس الأشعار

أول البيت	آخره	البحر	الصفحة
أُتَتْني	وَبْلُ		١٧
شوقي	ونوائبُ		١٨
لك الخير	السباسبُ		١٨
وأفقدنيها	رفدين		١٩
وفجّعني	الجدبا		١٩
حَلّيتَ	بأحدل		٢٠
وما الشِّعر	غَوالبي		٢٠
لعينيك	وتعذيبُ		٢٠
ومُنكرةٍ	غُروبُ		٢٠
ذكرتُ	فارقْتها		٢١
رأى	الطَّوقِ		٢١

٧ ـ الحكم البكري

أول البيت	آخره	البحر	الصفحة
ألاحت	النصلُ	الطويل	٢٢
أرَّقني	السُّهادُ	مخلع البسيط	٢٢
أعْحبْ	الماءِ	الكامل	٢٣
مَضيتُ	والمتبسِّمُ		٢٣
تدرَّعتُ	الدرعُ		٢٤
أقرنُ	يعقلُ		٢٤

الشنتمري

أول البيت	آخره	البحر	الصفحة
أما الوراقة	الحرمان		٢٦
وإن فمِن	السيادة		٢٦
ومهفهفٍ	يُشرقُ		٢٦
أسنى	أعمالِ		٢٦
وصاحبٍ	للراعي		٢٦
وهل هندُ	بغلُ		٢٧

أول البيت	آخره	البحر	الصفحة
	٤١ ـ ابن المصيصي		
من استطال	الأسلِ		٩١
بياضَ	الرِّماحُ		٩٢
ليس العلا	سطحُ		٩٢
شِذْ	والصرحُ		٩٢
غنَّى	جناحا		٩٣
روضُ	بهاره		٩٣ ـ ٩٤
	٤٢ ـ ابن الجد		
كتبتُ	أجفانُ		٩٥
أهدى	أبصرا		٩٥
تحكَّمت	وبالسُّروجِ		٩٥
	٤٣ ـ أبناء حزم ـ أبو الحكم		
رأى	الطوقِ		٩٦
قل لعمرو	أرتجي		٩٦
أرى	الدَّهر		٩٧
زُرني	أُناسِ		٩٧
لعمرو	صادرِ		٩٧
يا ابن	وعقيقاً		٩٧ ـ ٩٨
لا غرو	السفرُ		٩٨
إيهٍ	والصورُ		٩٨
يهني	والحكم		٩٩
يا من	الخدم		٩٩
	٤٤ ـ أبو الوليد ابن حزم		
أتجزعُ	لهيبها		١٠٠

الفهرس



